الكشوف الجغرافية

دكتور
فتحى أبو عيانه

دكتور
محمد خميس الزوكة

دار المعرفة الجامعية

دار المعرفة الجامعية

ش سوتير - الأزاريطة ت: ٤٨٧٠١٦٣

ش قنال السويس - الشاطبي ت: ٥٩٧٣١٤٦

دار المعرفة الجامعية

سوتير - الازاريطة ت: ١٦٣٠...

ش قنال السويس - الشاطبي ت: ...

الكشوف الجغرافية

دكتور

فتحي محمد أبو عيانه

أستاذ الجغرافيا البشرية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتور

محمد خميس الزوكة

أستاذ الجغرافيا الاقتصادية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

دار المعرفة الجامعية

للطبع والنشر والتوزيع

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة - الإسكندرية ت : ٤٨٧٠١٦٣

٣٨٧ شارع قنال السويس - الشاطبي - الإسكندرية ت : ٥٩٣٢١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

تمثل الكشوف الجغرافية خطى الإنسان على طريق المعرفة بالأرض وما عليها من ظاهرات، ورغم أن هذه الكشوف قد حظيت باهتمامات كثيرة في العصر الحديث خاصة منذ أوائل القرن السادس عشر، فإنها في الواقع قديمة – قدم الحضارات البشرية في العصر التاريخي، واذا كان العالم قد بهرته كشوف العالم الجديد منذ ١٤٩٨ فصاعداً وهو عالم بعيد عن أوروبا وحوض المتوسط، فإن أفريقيا المدارية وهي الأقرب، ظلت تحمل ألغازاً غامضة حتى تم كشف النقاب عنها وإن جاءت في ذلك متأخرة عقب كشف العالم الجديد.

ومن نافلة القول أن الدافع الرئيسي لأي كشف جغرافي كان – ومايزال – هو حب الاستطلاع لدى البشر والميل نحو ارتياد المجهول والرغبة الكامنة في إضافة كل ما هوجديد إلى المعرفة الإنسانية، كذلك فإن شخصية المكتشف وميله للمغامرة كانا دافعين حاسمين للقيام بالكشوف عبر العصور المختلفة رغم الصعاب الجسيمة والمخاطر المتوقعة في المناطق المجهولة.

والقارئ لتاريخ الكشوف الجغرافية يجد فيها نماذج فذة من المكتشفين – والذين تعددت دوافعهم نحو الكشوف التي قاموا بها، غير أن هناك صفات مشتركة في شخصياتهم لعل أبرزها قوة الإرادة، والشجاعة، والمقدرة على تحمل الصعاب، والإلمام بالمعارف والعلوم المناسبة التي تفيده في رحلات الكشف مثل معرفة اللغات واللهجات وعادات الشعوب والقبائل التي سيرتاد

أراضيها وملماً ببعض فنون الطب وطرق الوقاية من الأمراض ، وعلى دراية باستخدام الخرائط وملماً بقراءات عمن سبقه من رحالة فى العصور السابقة.

ونأتى فى هذا السياق إلى سؤال هام لماذا هذا الكتاب عن الكشوف الجغرافية رغم أن المكتبة تحوى عدداً غير قليل من الكتابات عن هذا الموضوع؟ والواقع أن المؤلفين يدركان تماماً أن تاريخ الكشوف الجغرافية عبر العصور مواكب – لتطور الفكر الجغرافى والمعرفة فى آن معاً، فقد أدت الكشوف الجغرافية إلى نتائج مذهلة فى تطور علم الجغرافيا، فقد وسعت من دائرة المعرفة الجغرافية وأضافت للمعروف من العالم حتى أوائل القرن السادس عشر – أربع قارات جديدة، وأدت إلى تطور كبير فى علم الخرائط، وصححت كثيراً من المعلومات المتوارثة عن شكل الأرض وظاهراتها الجغرافية العديدة، كما أماطت اللثام عن أسرار كثيرة من الأقاليم ، وأسهمت فى دراسة كثير من الشعوب وحضاراتها، وفوق ذلك كله أظهرت مقدرة البشر على ارتياد المجهول وتحدى الصعاب فى سبيل العلم والمعرفة وخدمة الإنسانية.

إضافة إلى ما سبق، فقد اشترك فى الكشوف الجغرافية عدد كبير من الرواد والرحالة فى العصور المختلفة، وإذا كانت هناك أسماء مشهورة بدورها الذى سجله التاريخ ، فهناك جنود مجهولون كانوا وراء ذلك وأدلاء من أبناء الأقاليم المكتشفة ربما لم يأت ذكرهم فى ثنايا الكشوف ، وأن كان دورهم حاسماً فى ذلك الأمر، وبمعنى آخر فإن تكاتف جهود الرحالة كان إيذاناً بتعاون عالمى مبكر – أو عولمة مبكرة جعلت العالم فى النهاية أقرب إلى بعضه بعضاً، وأكثر اتصالا عن ذى قبل.

ويحوى هذا الكتاب أربعة أبواب تضم أحد عشر فصلاً، جاء **الباب الأول**

عن المعرفة الجغرافية القديمة عند المصريين القدماء والأغريق والرومان وصولاً للعرب والمسلمين فى العصور الوسطى، والباب الثاني عن الكشوف الجغرافية فى العالم القديم بدءاً بقارة افريقيا وبعدها قارة اسيا. أما الباب الثالث فقد خصص لدراسة الكشوف الجغرافية فى العالم الجديد بادئا إياها بكشف أمريكا الأنجلوسكونية، وبعدها أمريكا اللاتينية ثم الكشوف الجغرافية فى استراليشيا وأخيراً الكشوف فى المناطق القطبية سواء فى الأقاليم الشمالية أو القارة القطبية الجنوبية.

وخصص الباب الرابع لدراسة دوافع الكشوف الجغرافية ونتائجها وختم هذا الباب بعرض لكوكب الأرض الذى اكتشفه الإنسان مع تفصيل القول عن القارة البيضاء - إنتاركتيكا - التى تعد آخر القارات المكتشفة وأكثرها غموضا وإثارة ومن ثم حظيت بتفصيل رأينا ضرورته خاصة فى ملامحها الطبيعية وجغرافيتها السياسية الفريدة، وختم الكتاب بقائمة وافية من الملاحق المفيدة لقارىء الكتاب.

هذا وقد كتب الدكتور فتحى أبو عيانة الفصول الأربعة الأولى، والفصلين التاسع والعاشر والحادى عشر والملاحق، وكتب الدكتور محمد خميس الزوكة الفصول الخامس ، والسادس، والسابع، والثامن، وجاء ترتيب الفصول متكاملاً وفق رؤية زمنية ارتبطت بالكشوف الجغرافية عبر العصور.

ونرجو فى النهاية أن يكون هذا الكتاب عوناً لأبنائنا الطلاب فى فهم تطور العلم والمعرفة الجغرافية ، وأن يجدوا فيه ما يطمحون إليه من زاد علمى مفيد.

والله الموفق المستعان،

في الإسكندرية ١/١١/٢٠٠٥ **المؤلفان**

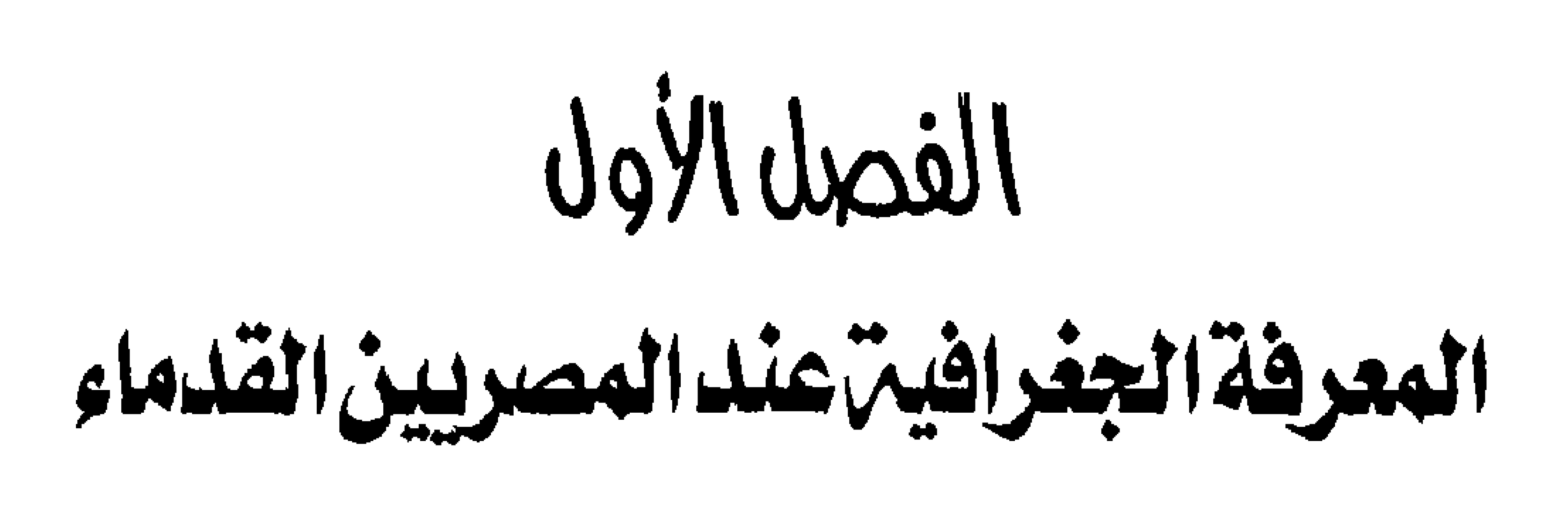
الباب الأول

المعرفة الجغرافية فيما قبل العصر الحديث

- الفصل الأول: المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء
- الفصل الثاني: المعرفة الجغرافية عند الاغريق والرومان
- الفصل الثالث: المعرفة الجغرافية عند العرب والمسلمين في العصور الوسطى

• راجع في ذلك:

فتحي أبو عيانة - دراسات في التراث الجغرافي العربي - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ٢٠٠٤.



الفصل الأول

المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء

الفصل الأول

المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء

مقدمة:

رغم أن الجغرافيا – كعلم مستقل – ينسب إلى اليونانيين القدماء عندما ابتكر إراتوسثينس - Eratosthenes - أمين مكتبة الإسكندرية القديمة – هذا المصطلح من كلمتين اغريقيتين Geo وتعنى أرض، Graphy وتعنى يكتب وذلك فى القرن الثالث قبل الميلاد فإن الإنسان كان دوماً جغرافياً بطبعه، فقد ظهر الفكر الجغرافى مع ظهور الحضارات القديمة – فيما قبل التاريخ – عندما لاحظ الإنسان ظواهر بيئية يعيش بينها ويتفاعل معها ويستفيد منها ويخشاها، وتجلى ذلك بوضوح عندما اخترع الزراعة التى كانت أساساً لحضاراته المتعاقبة منذ فجر التاريخ، وكان اصحاب الحضارات القديمة خاصة فى وادى النيل وميزوبوتاميا ووادى السند والجانج واليانجتسى هم المؤسسون الأصليون للمعرفة الجغرافية، فقد اكتشفوا موارد بيئاتهم واستثمروها مبكراً ومارسوا الزراعة التى علمتهم تحديد المساحات وقياس المسافات والتبادل التجارى داخل بلادهم وبينهم وبين الشعوب الأخرى المجاورة مما أدى إلى تزايد المعرفة الجغرافية بهذه الشعوب والمسالك التى تؤدى إليها خلال العصور القديمة.

ومصر هى أقدم دولة لها تاريخ مكتوب، فهناك مادة أركيولوجية عن هذا البلد أكثر من أى بلد آخر فى العالم حتى أصبح هناك ما يعرف بعلم المصريات Egyptology، ومنذ فجر التاريخ تأصل لدى المصريين الباعث الدينى وتصور الكون، واعتقدوا أن هناك قوى خفية تسيطر على السماء التى تبدو على شكل قبة هائلة، واعتقدوا أن العالم يأخذ شكل المستطيل وأن نهر النيل يجرى وسط هذا المستطيل فى حوض منخفض هو أرض مصر. وكان للموقع الجغرافى وللحضارة المصرية القديمة تأثير مباشر فى تطور معرفة الإنسان المصرى

بالشعوب المجاورة وبفنون الملاحة البحرية ورصد حركة النجوم، حيث سعى المصريون القدماء إلى تحديد بعض المواقع على سطح الأرض عن طريق رصد حركة النجوم.

وعرف المصريون القدماء الكثير عن جغرافية مصر القديمة واستغلوا مواردها المعدنية فى شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية وبلاد النوبة على نطاق واسع، وعرفوا رسم الخرائط سواء لتوضيح المسالك المؤدية إلى المناجم فى الصحراء أو التى توضح الحملات العسكرية نحو البلاد المجاورة. وكان نهر النيل العظيم هو الملهم الأكبر للمعرفة الجغرافية عند قدماء المصريين، فعرفوا نظام جريانه ووضعوا تقويماً زراعياً فى سنة ٤٢٣٦ قبل الميلاد، وقسموا السنة إلى ثلاثة فصول أولها للفيضان والثانى للبذر والثالث للحصاد.

ويهدف هذا الفصل إلى تحديد ملامح المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء، ذلك لأن الأدب الجغرافى الحديث يهمل مرحلة ما قبل الاغريق فى مجال الفكر الجغرافى، فالجغرافية السياسية مثلاً يبدأ الحديث فيها بتطور مفهوم علم السياسة والدولة عند اليونانيين القدامى ومن جاء بعدهم فى الوقت الذى تؤكد فيه كل الدراسات التاريخية أن مصر أقدم دولة فى لعالم (ومعها الصين) وأن فكرة الدولة كأرض وشعب ونظام وعاصمة وأقاليم ومجال حيوى ارتبطت بقيام الحضارة المصرية فى العصر التاريخى وبالتحديد منذ توحيد الوادى والدلتا بداية العصور التاريخية إضافة إلى ذلك فإن الحديث عن تطور الخرائط يذكر فى عجالة أن من أقدم خرائط العالم تلك الخريطة المصرية القديمة التى رسمت فى عهد الفراعنة ويحتفظ بها متحف تورينو فى الوقت الحاضر، كما أن تاريخ الكشوف الجغرافية يذكر ضمن الرحلات القديمة البعثة التى أرسلها نخاو للدوران حول أفريقيا.

كل ذلك كان مدعاة للتفكير فى إجابة سؤال هام هو: إلى أى حد عرف المصريون القدماء الجغرافية ؟ أو بمعنى آخر ما هى المعلومات الجغرافية التى توفرت لديهم والتى يمكن أن تشكل الفصل الأول فى أى سفر عن تطور هذا العالم ؟

مصادر المعرفة الجغرافية وأبعادها عند المصريين القدماء:

كان نهر النيل هو المدرسة الأولى التى علمت المصريين القدماء الجغرافيين وآثار لديهم كثيراً من الأسئلة عن منابعه وفيضانه ومواسمه، وأتاح لهم هذا النهر العظيم - بما يحمله من مياه وطمى كل عام - ظروفاً أسهمت مع المناخ المناسب فى قيام حضارة عريقة فى واديه ودلتاه منذ ما يربو على ستين قرناً، وتفوق المصريون القدماء فى كثير من نواحى المعرفة الإنسانية، وأرجعوا كل ظاهرة حسية أثرت فى حياتهم إلى قوة خفية علوية تحركها وتتحكم فيها وتستحق تقديسهم، مما أدى إلى تعدد ما قدسوه من القوى الربانية المتعلقة بالرياح والأمطار وظواهر السماء وبجريان النيل وتعاقب الفيضان وتجدد خصوبة الأرض ونمو النبات، وأوحى لهم نهر النيل بفكرة البعث، إذ أنهم يرون فيضانه يتجدد كل صيف، فتتجدد الحياة وتخصب التربة وتنبت البذور. واستمد المصريون أملهم فى البعث من ملاحظة حركة الشمس الدورية وارتباط شروقها بيقظة الكائنات الحية بعد النوم - والنوم هو الموت الاصغر كما يقولون - وبالحركة بعد الخمول والضوء بعد الظلام[٢].

ويمكن تحديد خمسة مجالات للمعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء تتمثل فى المعلومات الجغرافية المحلية عن مصر القديمة، وعن الاقطار والشعوب المجاورة وعن الظاهرات الفلكية والطبيعية، ثم الرحلات الخارجية والخرائط.

أ - المعلومات الجغرافية عن مصر القديمة:

أطلق المصريون القدماء على وطنهم أسماء تخالف أسماءه فى العصور

اللاحقة، فقد أطلقوا عليه اسم (كمى - أوتا - كمى)[٣] فى نهاية الدولة القديمة ومعناه الأرض المثمرة امتدت على جانبيها أرض صحراوية حمراء هى (دشرت). وفى عصر آخر اصبحت الأرض المثمرة تعرف باسم (كمى) أى الأرض السوداء. وأحياناً سميت (تامرى) أى أرض الفلاحة والفأس، ثم اندثر هذا الإسم، وتردد إسم (تامحيت) أرض الشمال (وتاشمع) أرض الجنوب؛ هذه الأرض الطيبة المثمرة كانت تقع فى وسط العالم، ويرويها النهر العظيم (حابى) الذى ينبع من نهر سماوى عند شلال فى البلاد الجنوبية ويجرى شمالاً ليصب فى (الأخضر الفاقع) - أى البحر المتوسط، أما الشديد السواد (البحر الأحمر) فكان الطريق إلى (بنت) - بلاد البخور والحيوانات الغريبة[٤].

ولم يكن لمصر خارج وادى النيل حدود ثابتة خلال تاريخها الطويل، ويذكر استرابون (٦٣ ق.م إلى ٢٤ ق.م) فى هذا الشأن أن القدماء قبله كانوا يطلقون اسم ايجبتوس (مصر) على ذلك الشريط الضيق من الأرض الزراعية التى كونها نهر النيل ورواها بمائة وهذا الشريط يمتد من أسوان حتى البحر، ولكن يظهر من الآثار المصرية القديمة أن مصر اصبحت تشمل إل يجانب الوادى (شمال اسوان) والدلتا - الصحراء الشرقية وشمال سيناء وجزءاً كبيراً من الصحراء الغربية بما فيها واحات سيوة والبحرية والفرافرة والداخلةوالخارجة[٥].

وقد توفرت لدى المصرى القديم حاسة المعرفة الجغرافية عما تقع عليه عينه ويبدأ فى تسجيلها وتصنيفها، وما ورد الينا من معلومات منها ما هو سطحى وما هو خاطئ، ولكنها فى النهاية تعطى صورة عن إرهاصات المعرفة الجغرافية المبكرة لدى المصرى القديم، ولعل ما أورده المتخصصون فى التاريخ الفرعونى ومنهم عبد العزيز صالح ما يلقى الضوء على الثقافة الجغرافية عند قدماء المصريين، وعما كان يتعلمونه عن وطنهم وعن الأقطار المجاورة له، وكان من مصادر الدروس الجغرافية ما عرف باسم مجموعة (أمنموبى) فى عصر الرعامسة والتى تتناول (السماء بأحوالها، أو بأبراجها والأرض وما فيها، وما تلفظه الجبال، ويغمره الفيضان، ومن كل ما تشرق عليه الشمس، وينمو على ظهر البسيطة)[٦].

وتعتمد كثير من المعارف الجغرافية فى العصر الفرعونى على ما ورد فى مجموعة (أمنموبى) التعليمية(*)، فقد ذكرت هذه المجموعة نحو ثلاثمائة أسماً، فمن الظواهر الفلكية والطبيعية ٦٢ اسماً، ومن أسماء المدن المصرية ١٠٦ إسماً، ومن أسماء الشعوب والبلاد الاجنبية ٥٦ اسماً ومن اسماء الأراضى الزراعية والحاصلات ٨١ اسماً . فقد بدأ امنموبى مجموعته بذكر طائفة من الظواهر الكونية والطبيعية، ففى السماء شمس وقمر ونجوم ذكر أشهرها، ومن ظواهرها السحاب والمطر والرعد والعواصف، والندى وفى الأرض ماء خالد وبحر ونهر .....، وفيها جزر وأنواع مختلفة من الأراضى، ويسكن السماء والأرض كائنات حية ففى السماء الهة وإلهات وأرواح، وفى الأرض بشر مختلفون حاول ترتيبهم وفق مراكزهم الاجتماعية ووفق ما يشغلونه من مناصب حينا، ثم وفق شعوبهم ومواطنهم حيناً آخر. وأتبع أمنموبى ذلك بطائفة من أسماء ما فى مصر من معالم جغرافية، فذكر مائة مدينة ورتبها من جنوب الوادى إلى شماله وذكر أنواع الأرض الزراعية وما ينبت فيها من حب وما يصنع من الحب من أصناف الخبز والجعة وكانت اصنافها عديدة لدى المصريين القدماء ثم انتهى بذكر انواع اللحوم خاصة لحم الثور.

وقد حددت مجموعة أمنموبى مواقع سبع مدن فى الصعيد ورتبتها مكانياً من الجنوب إلى الشمال مع جريان النيل وأهميته فى الوصل بين المدن وهذه المدن هى. البجة وابو وكوم أمبو والسلسلة وإدفو وبحدة ومخن

(*) فى عصر الرعامسة كان ثمة مرجع كبير لكثير من المعلومات العامة عرف باسم مؤلف أو كراسة امنموبى - وهو من رجال دار الحياة - والتى رأى بعض الباحثين أنها نوع من الاكاديميات أو المعاهد العليا أو الجامعات أو المكتبات، فى حين رأى (ألن جاردنر) أنها كانت أقرب إلى دار النسخ والتصنيف، وعرفت دور الحياة فى مصر منذ الدولة القديمة وكانت توجد فى الحواضر الهامة وحيث وجدت المعابد الكبيرة، وقد نسبها البعض إلى تحوتى - بصفته إله العلم والحكمة والكتابة - ومؤلف «أمنموبى» يعد مرجعاً كبيراً لكثير من المعلومات كما سبق القول.

(عبد العزيز صالح - التربية والتعليم فى مصر القديمة، القاهرة ١٩٦٦، ص ص ٢١٩ - ٢٤٠).

(نخن)(*) ورغم ذكر هذا التتابع من الجنوب إلى الشمال فإن الصعوبة تتمثل في معرفة المصرى القديم على أى الضفتين تقع المدينة، فقد ورد أن البجة وأبو جزيرتان بالنيل، وكوم امبو والسلسلة تقعان على الضفة اليمنى، وإدفو وبحدة ونخن تقع ثلاثتها على الضفة اليسرى(**).

ولم تكن مجموعة أمنموبى هى الأولى من حيث الاهتمام بالمعلومات العامة والجغرافية منها على وجه الخصوص، وإنما سبقتها إلى ذلك مجموعة أخرى ترجع إلى الدولة الوسطى وتعرف باسم (بردية الرمسيوم)، وقد تضمنت اسماء ٢٩ مدينة من مدن الصعيد مرتبة ترتيباً صحيحاً ، فضلاً عن طائفة كبيرة من أسماء النباتات والطيور والأسماك والحيوانات الأليفة وغير الأليفة، وكان مما تتميز به هذه المجموعة أنها خصصت اسم كل مدينة من مدنها برمز يدل عليه(٧).

والواقع أن الاستعانة بمجموعتى الرمسيوم وأمنموبى توضح بجلاء معرفة المصرى القديمة باتجاه نهر النيل والتتابع المكانى للمدن الواقعة عليه، وتحديد ملامح جغرافية مصر القديمة بصفة عامة ولم يقتصر ذلك على مصر العليا فقط بل شملت مصر السفلى أيضاً، فقد أشارت مجموعة أمنموبى مثلاً إلى المدن فى وسط الدلتا وعلى جانبيها، وأشارت إلى فروع النيل الثلاثة الرئيسية وهى: النهر الغربى، والنهر الكبير، ومياه رع(٨)، كما تخير من مدن الدلتا ٢١ مدينة وموضعاً، ثم ذكر الشريط الساحلى المطل على البحر، وإنتهى فى شمال الدلتا، وشمالها الشرقى، إلى ما يعرف بتل بليم(؟)، على الحدود الشرقية وعلى امتداد خط الشرق الخارج من بر رمسيس وبحيرة المنزلة، وقلعة ثارو التى كانت تعتبر نقطة الفصل بين

(*) يرى جاردنر أن اسمى ادفو وبحدة لمسمى واحد، حيث يقعان معاً على الضفة اليسرى للنيل، وأنهما على التوالى يمثلان الإسم الدينى والدنيوى للمدينة.

(**) وردت هذه المواقع فى درس مكتوب على لوح صغير لتلميذ يسمى (باشرى ن باستت)، ويحتمل أن هذا اللوح يرجع إلى عصر الاسرة الثالثة والعشرين، وأبعاده ٢٨,٥ × ١٣ سم، ويوجد فى أعلاه ثقب ليعلق منه، ويميزه أن خطه الهيراطيقى شديد الشبه بالخط الهيروغليفى.

العمران فى مصر وبين الطريق إلى فلسطين. وهكذا كون المصرى القديم فكرة عن جغرافية بلاده المعمورة التى تبدأ من البجة جنوباً حتى ساحل البحر المتوسط شمالاً، ويساير النيل امتداد واديه وعمرانه من الجنوب إلى الشمال إلى أن يبلغ نقطة الفصل بين الوجهين عند منف أو برحعبى أو فم البحر، فيتفرع إلى ثلاثة فروع رئيسية يقع العمران فيما بينها وفيما حولها، وقد دلت نقوش الآثار على معرفة المصريين القدماء للأبعاد الطولية منها على أقل تقدير، إذ جعلوا طول الوادى من جنوبه إلى شماله ١٠٦ إترو، أى فراسخ (والإترو يوزى ٢٠٠٠٠ ذراع أو ١٠,٥ ك.م)، ستا وثمانين منها لما بين أسوان وبين برحعبى والعشرين الباقية لما بين برحعبى وبين بحيرة (تل البلامون) فى شمال الدلتا[٩]. (شكل رقم ١).

وكان للدين أثره فى شيوع اسماء المدن المهمة وذلك نتيجة ارتباط الألهة عادة بأسماء المدن التى يعبدون فيها مثل أوزير رب جدو وتحوتى رب الاشمونين وحتحور ربة دندرة وأطفيح، وتبدو هذه الظاهرة بوضوح ى نقوش المعابد ومناظرها حيث يذكر مع اسم كل معبود اسم إقليمه أو إسم مدينته الكبرى، وحين ذاك ترتب الأقاليم ومدنها بترتيبها الجغرافى الصحيح.

وبالإضافة إلى تلك المعارف الجغرافية عن الامكنة وخاصة المدن – فقد عرف المصرى القديم حاصلات البلاد ومنتجاتها وطيورها وحيواناتها، ومعنى ذلك أن المصرى القديم كان يستقى معرفته الجغرافية المحلية من بيئته، غير أن أبرز ظاهرة فى المعرفة الجغرافية المحلية لمصر القديمة أنها اهتدت إلى تصور البلاد كوحدة «جغرافية» متميزة لها ملامحها المميزة خاصة التجانس بين أهلها جنسياً ولغوياً وكذلك فى التقاليد، كما كانوا يميزون بين المصريين كشعب متجانس وغيرها من الشعوب المجاورة.

المعرفة الجغرافية من خلال التقسيم الاداري:

من المعروف تاريخياً أن مصر كانت تنقسم فى عصر ما قبل الأسرات إلى عدد من الإمارات اتحدت الجنوبية منها قبل فجر التاريخ وكونت مملكة مصر

العليا، واتحدت الامارات الشمالية وكونت مملكة مصر السفلى ثم استطاع «مينا» أن يوحد الوجهين تحت زعامته ويؤسس الأسرة المصرية الأولى فى حوالى عام ٣١٠٠ قبل الميلاد.

وفى العهود اللاحقة – خلال عصرالاسرات – قسمت الدولة إلى اقسام كبرى تشمل وحدات أصغر اطلق المصريون القدماء على الواحدة منها سبت Sepet أو سبات Sepat (عرفت أيام الإغريق بتاسم نوموى Nomoi وأيام العرب بالكور أو الأعمال).

ومن الصعب رسم صورة واضحة عن التقسيم الإدارى لمصر الفرعونية لقلة المتاح من المعلومات عن ذلك، ولكن من المرجح أن مصر الفرعونية كانت تنقسم إلى إقليمين إداريين هما مصر السفلى ومصر العليا ثم تغير هذا التقسيم فى فترة متأخرة فأصبح هناك ثلاثة اقاليم رئيسية هى مصر السفلى وعاصمتها هليوبوليس ومصر الوسطى وعاصمتها منف ومصر العليا وعاصمتها طيبة، وانقسمت هذه الوحدات الكبيرة إلى مقاطعات أو أقاليم Se-pat قدرها «إرمان» Erman باثنين وأربعين إقليماً منها ٢٢ فى الوجه القبلى والباقى فى الوجه البحرى.

ويرى موريه Moret أن هذه الأقاليم ظهرت قبل بدء التاريخ ومنذ أن استغل المصريون مياه الفيضان فى الزراعة، فقد قسموا الأرض إلى أحواض وأحاطوها بالجسور وشقوا فيها القنوات، وهذه الأحواض فى الواقع هى الأقاليم التى نشأت فيها الإمارات المصرية قبل التوحيد، فكانت هذه المقاطعات صغيرة المساحة بلغ متوسط طولها نحو ٢٠ ميلاً، أما عرضها فكان يتوقف على الموقع بالنسبة للوادى، فحيث يتسع الوادى تقع المقاطعة على جانب واحد، وحيث يضيق تمتد على كلا الجانبين. وشملت كل مقاطعة إلى جانب العاصمة عدداً من القرى وما يحيط بها من أرض زراعية ومنافع ومراع.

وأطلق عليها فى الغالب اسم حاضرة وعبد أهلها ألهة محلية كان بعضها يكتسب قداسة واسعة إذا ما أرتفع شأن المقاطعة، وعلى أية حال كان لكل أقاليم

جوه الدينى ومسكلاته الزراعية وبيئته الجغرافية التى تختلف فى تصضيلاتها عن بقية البيئات(١٠).

ب- المعرفة الجغرافية عن الأقطار المجاورة:

من المعتقد أنه منذ بداية عصر الأسرات فى مصر، بدأت تتزايد دائرة المعرفة الجغرافية عن الأقطار والشعوب المجاورة على الحدود فى شمال إفريقيا، وفى غرب اسيا وشرقى البحر المتوسط. وقد تعرضت مصر فى فترات مختلفة لغزو الشعوب المجاورة مثل الهكسوس (أو ملوك الرعاة -Shep herd Kings) الذين غزوا مصر وحكموها نحو خمسة قرون امتدت تقريباً من ٢٢٠٠ ق. م حتى ١٧٠٠ ق.م ولكن مصر نجحت فى طردهم بل وملاحقتهم وغزو أراضيهم البعيدة وتم ذلك فى عهد الفراعنة الأقوياء مثل تحتمس الثالث ورمسيس الثانى.

بلاد الجنوب:

كان المصريون القدماء على اتصال بثلاثة أقطار رئيسية جنوب مصر وهى بلاد كوش Kush (النوبة) التى احتلتها مصر خلال الأسرة الثالثة، ولم تكن الحدود الجنوبية محددة بدقة ولكنها تختلف فى إتساعها من وقت لآخر حسب قوة مصر أو ضعفها وكانت بلاد النوبة أوفر الأقطار والشعوب الخارجية حظاً فى المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء، وذلك نظراً لقربها وقدم الاتصال بها ولأنها بقيت فى نطاق الإدارة المصرية أماداً طويلة. فعرف المصريون عنها أكثر مما عرفوا غن غيرها. وقد تضمنت المعرفة الجغرافية عن النوبة أنها البلاد التى تتوافر فيها الحيوانات والنباتات والمنتجات والأرقاء. والتى يدفع حاكمها الجزية منها، وأهم ما كانت تدفعه فى الجزية الحيوانات والمنتجات الطبيعية مثل الذهب والعاج والأبنوس وريش النعام. والقطر الثانى كان بلاد يام Yamغرب النيل وعلى الأرجح أنها شملت الأراضى الواقعة غرب كوش، وتتمشى مع ما هو معروف الآن بدارفور وكردفان، وعرفت هذه البلاد بسكانها الأقزام، وقد أظهرت كثير من رسوم

الفراعنة أقزاماً مما يدل على معرفة المصريين بهم، غير أن الأقزام – كما نعرفهم اليوم – موجودون فى أعالى حوض الكونغو ومن ثم فإن الأقزام فى مصر القديمة إما أنهم جلبوا من بلاد يام حيث كانوا يسكنونها ثم هاجروا منها بعد ذلك إلى الكونغو وتلك قصة مازالت فى حاجة إلى دليل، غير أن بلاد الأقزام فى العصر الفرعونى امتدت إلى منطقة بحر الغزال وأجزاء من أعالى النيل مما يوحى بأن المصريين القدماء وصلوا إلى أعالى النيل حتى أتصال النيل بنهر السوباط أى أنهم عرفوا منطقة بحر الغزال(١١).

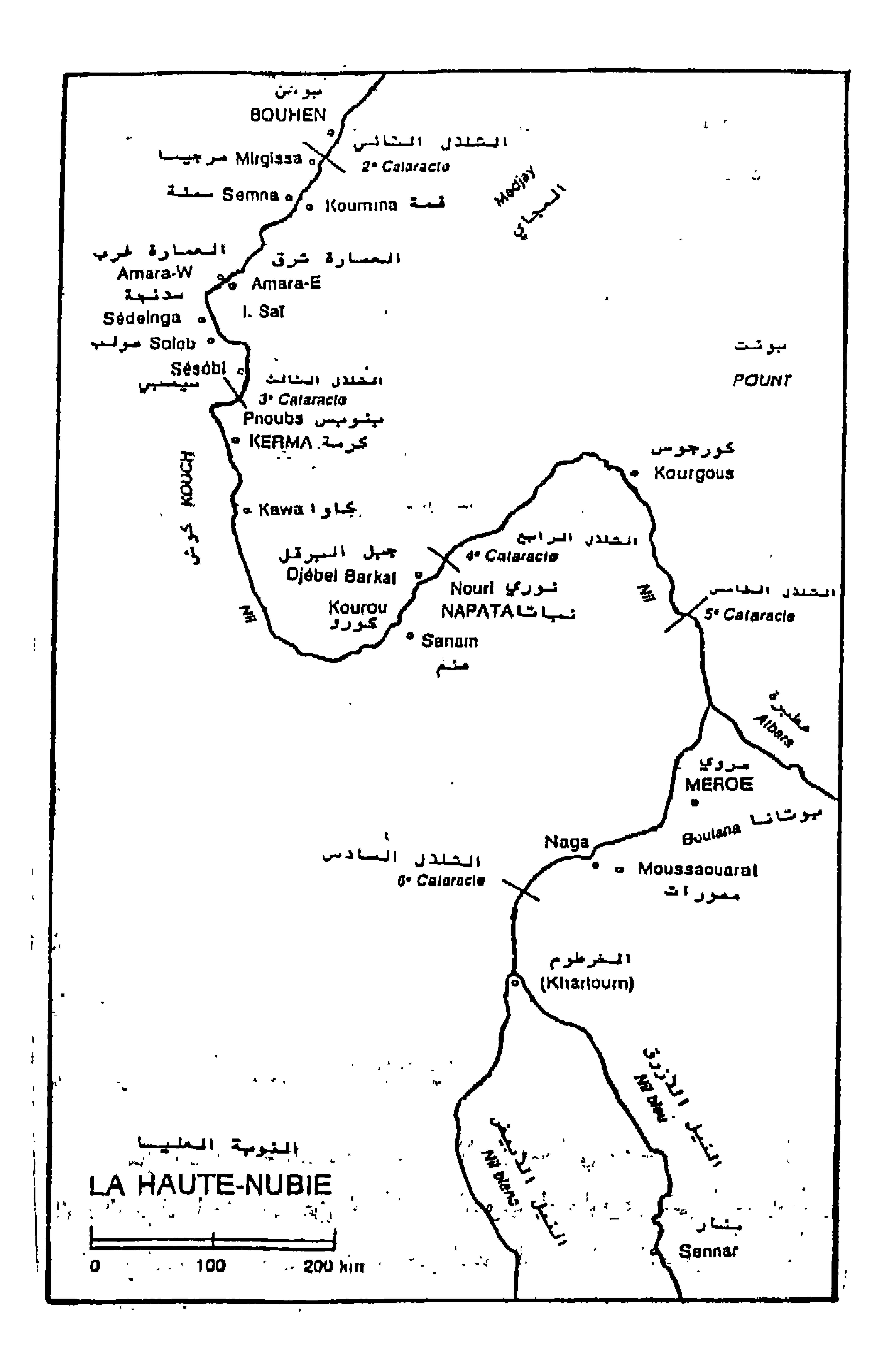
وكانت مصر تتصل بالأراضى المجاورة لها جنوباً – فى السودان الحالى عبر ثلاثة طرق هى:

١- الطريق الجنوبى الشرقى ويسلك وديان الصحراء الشرقية مثل وادى العلاقى الذى ينتهى عند بلدة العلاقى ووادى خريط الذى ينتهى عند كوم أمبو.

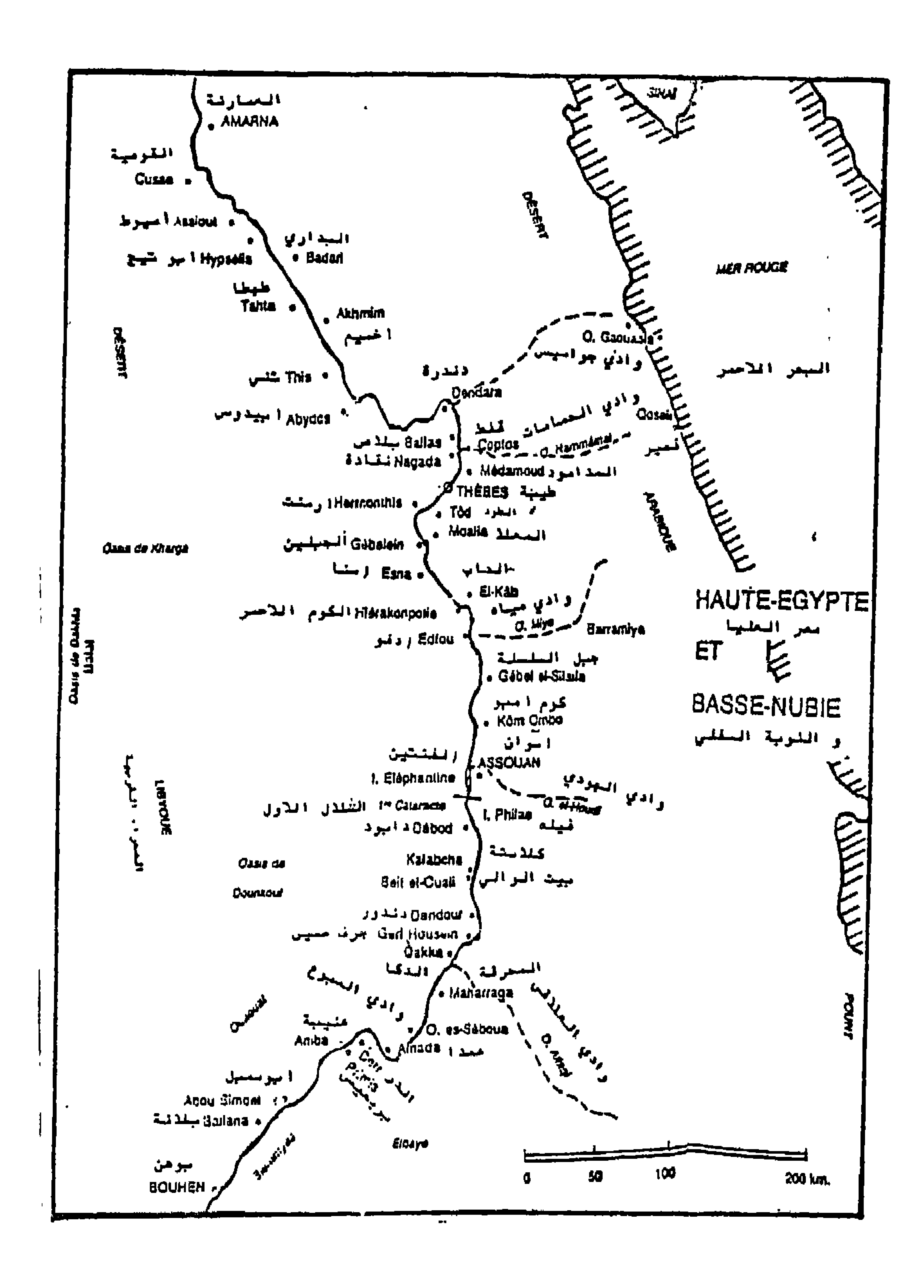
٢- الطريق الأوسط وهو نهر النيل رغم صعوبة الملاحة فى النهر جنوب أسوان فقد وصلت الحضارة المصرية القديمة إلى شمال السودان وكانت جزيرة فيلة فى عهد الأسرات المصرية وsyene أو أسوان فيما بعد السوق التى يلتقى فيها تجار الجنوب مع تجار الشمال أى تجار النوبة مع تجار مصر ووصلت منه سلع متعددة منها الذهب والفضة وريش النعام والعاج والأخشاب والبخور.

٣- درب الأربعين ويبدأ من دارفور وكردفان وينتهى عند مصر الوسطى ماراً بالواحة الخارجة وهو طريق قديم اشتهر بتجارة الرقيق والعاج وريش النعام.

أما الإقليم الثالث اذى عرفه المصريون القدماء جنوباً فكانت بلاد (بونت) Punt ويبدو أنها كانت تضم أراضى السواحل الجنوبية للبحر الأحمر والتى تعرف الآن بإرتريا والصومال وربما اليمن أيضاً، وقد عرف المصريون هذا الإقليم منذ عصر خوفو Khufu or Cheops (بانى الهرم الأكبر فى الفترة من ٢٥٨٩ – ٢٥٦٦ق.م).

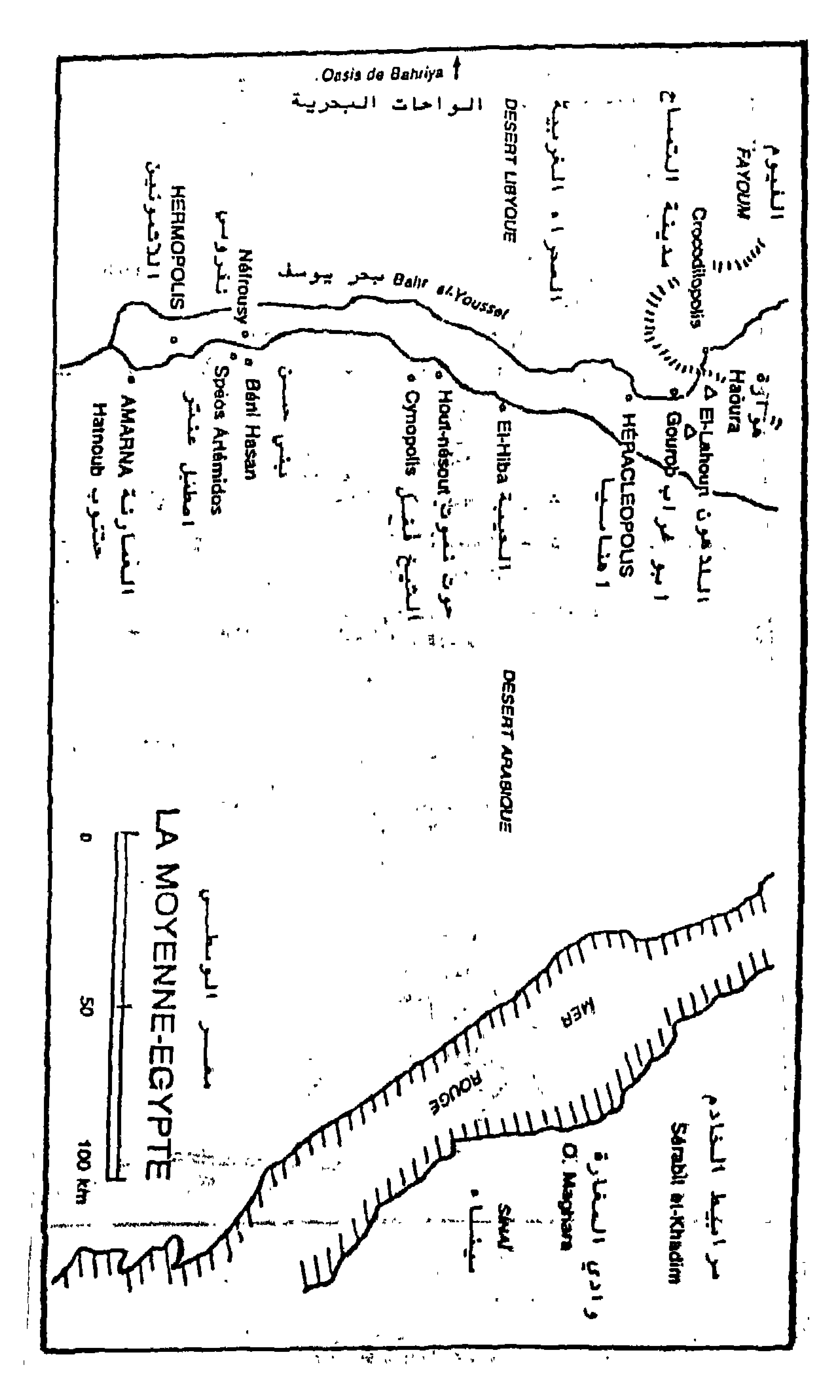

بوهن
BOUHEN
الشلال الثاني
2° Cataracte
مرجيسا Mirgissa
سمنة Semna
Koumma قمة
Medjay
المجاي
العمارة غرب
Amara-W
العمارة شرق
Amara-E
سدنجة
Sédeinga
I. Saï
صولب Soleb
بونت
POUNT
Sésébi
سيسبي
الشلال الثالث
3° Cataracte
Pnoubs بنوبس
KERMA كرمة
كورجوس
Kourgous
KOUCH
كوش
Kawa كاوا
الشلال الرابع
4° Cataracte
جبل البرقل
Djébel Barkal
Nouri نوري
NAPATA نباتا
Kourou
كورو
Sanam
صنم
Nil
الشلال الخامس
5° Cataracte
عطبرة
Atbara
مروي
MEROE
بوتانا
Boutana
Naga
الشلال السادس
6° Cataracte
Moussaouarat
مصورات
الخرطوم
(Khartoum)
النيل الأزرق
Nil bleu
النيل الأبيض
Nil blanc
النوبة العليا
LA HAUTE-NUBIE
0
100
200 km
سنار
Sennar

شكل رقم (١-أ)



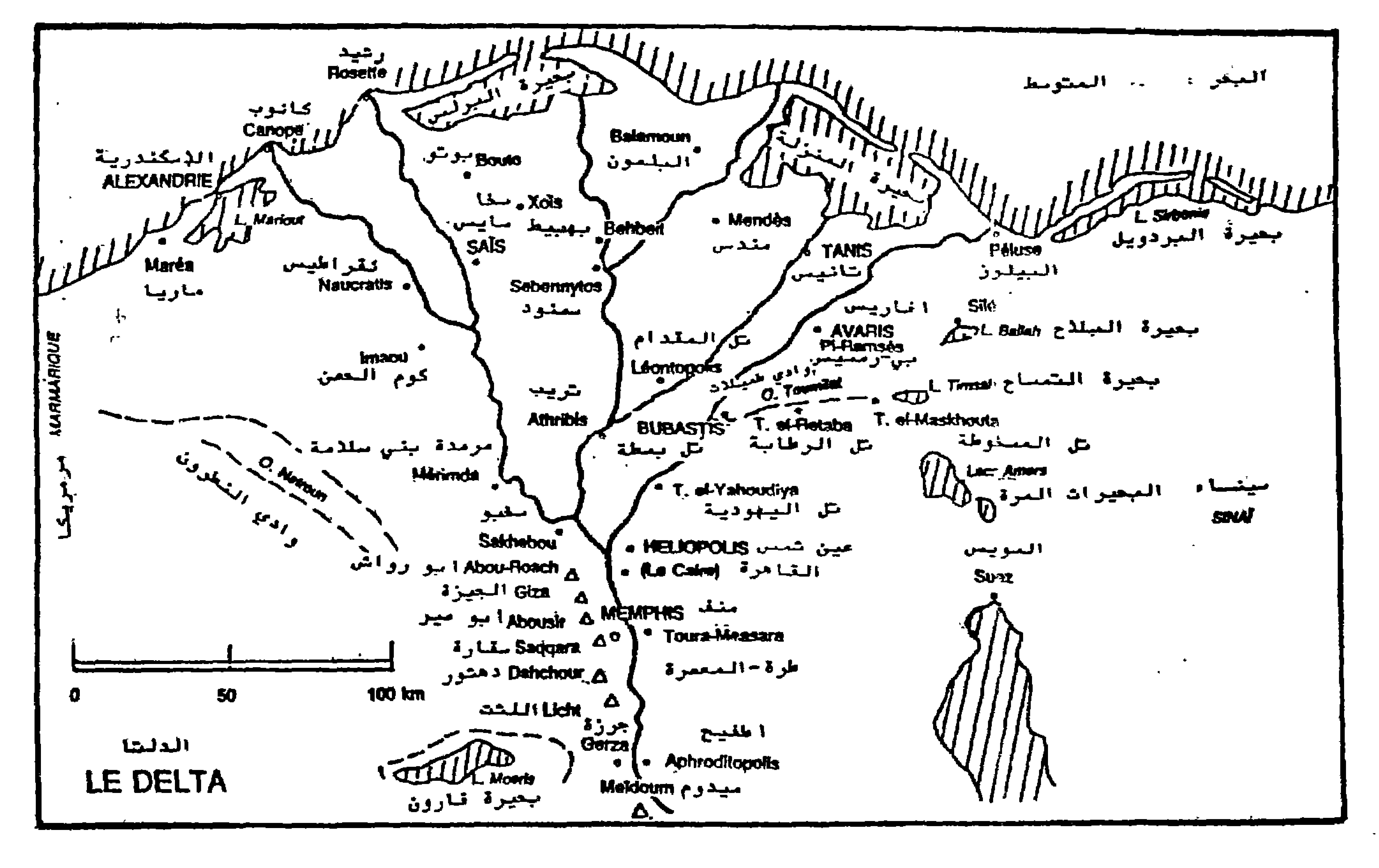
العمارنة
AMARNA
القوصية
Cusae
أسيوط Assiout
البداري
أبو تيج Hypselis
Badari
طهطا
Tahta
Akhmim
اخميم
This
Abydos
دندرة
Dendara
وادي جواسيس
O. Gaouasis
البحر الاحمر
MER ROUGE
SINAI
DÉSERT
وادي الحمامات
قفط
Coptos
O. Hammâmât
Qoseir
القصير
بلاص Ballas
نقادة Nagada
Médamoud المدامود
THÈBES طيبة
أرمنت Hermonthis
Tôd الطود
Moalla المعلا
الجبلين Gébelein
إسنا Esna
الكاب
El-Kâb
وادي مياه
O. Miya
Barramiya
الكوم الاحمر Hiérakonpolis
إدفو Edfou
جبل السلسلة
Gébel el-Silsila
كوم أمبو
Kôm Ombo
أسوان
ASSOUAN
الفنتين
I. Eléphantine
وادي الهودي
O. el-Houdi
الشلال الأول 1re Cataracte
I. Philae
فيله
دابود Dâbod
كلابشة
Kalabcha
Beit el-Ouali
بيت الوالي
دندور Dandour
جرف حسين Gerf Housein
Dakka
الدكة
المحرقة
Maharraga
وادي السبوع
O. es-Sêboua
وادي العلاقي
O. Allaqi
عنيبة
Aniba
Amada عمدا
أبو سمبل
Abou Simbel
بلانة Ballana
بوهن
BOUHEN
Oasis de Kharga
Oasis de Dakhla
Oasis de Dounkoul
LIBYQUE
ARABIQUE
HAUTE-EGYPTE
مصر العليا
ET
BASSE-NUBIE
والنوبة السفلى
POUNT
0
50
100
200 km.

شكل رقم (١-ب)



Oasis de Bahriya
الواحات البحرية
FAYOUM
Crocodilopolis
DESERT LIBYQUE
Bahr el-Youssef
بحر يوسف
Haoura
El-Lahoun
Gourob
HÉRACLEOPOLIS
El-Hiba
Hout-nésout
Cynopolis
Néfrousy
HERMOPOLIS
Béni Hasan
Spéos Artémidos
AMARNA
Hatnoub
DESERT ARABIQUE
LA MOYENNE-EGYPTE
مصر الوسطى
0
50
100 km
MER
ROUGE
Sérabit el-Khadim
O. Maghara
SINAI

(شكل رقم ١ -جـ)


LE DELTA
الدلتا
البحر المتوسط
MARMARIQUE
مرمريكا
الإسكندرية
ALEXANDRIE
كانوب
Canope
رشيد
Rosette
Maréa
ماريا
L. Mariout
نقراطيس
Naucratis
Imaou
كوم الحصن
O. Natroun
Mérimda
مرمدة بني سلامة
بوتو Bouto
سخا Xoïs
سايس
SAÏS
بهبيط
Behbeit
Sebennytos
سمنود
Athribis
تريب
Balamoun
البلمون
Mendès
منديس
TANIS
تانيس
AVARIS
أفاريس
Pi-Ramsès
Léontopolis
تل المقدام
O. Toumilat
BUBASTIS
تل بسطة
T. el-Retaba
تل الرطابة
T. el-Maskhouta
تل المسخوطة
T. el-Yahoudiya
تل اليهودية
HELIOPOLIS
عين شمس
(Le Caire)
القاهرة
Sakhebou
سخبو
Abou-Roach
أبو رواش
Giza
الجيزة
Abousir
أبو صير
MEMPHIS
منف
Saqqara
سقارة
Toura-Measara
طرة - المعصرة
Dahchour
دهشور
Licht
اللشت
Gerza
جرزة
Aphroditopolis
أطفيح
Meïdoum
ميدوم
L. Moeris
بحيرة قارون
Péluse
البيلوز
Silé
L. Ballah
بحيرة البلاح
L. Timsah
بحيرة التمساح
Lac Amers
البحيرات المرة
Suez
السويس
L. Sirbonis
بحيرة البردويل
SINAÏ
سيناء
0
50
100 km

(شكل رقم ١ -د)

وفى عهد حتشبسوت أشهر ملكات مصر القديمة(١٤٧٣ – ١٤٥٨ ق.م) أرسلت بعثة إلى بلاد بونت بحثاً عن الأخشاب والبخور لاستخدامها فى المعابد، وعادت البعثة ومعها أخشاب السنط بل وجلبت معها قردة وطواويس كهدايا للملكة، ورغم أن بلاد بونت – كانت ولاتزال – مجاورة للحبشة – المنبع الرئيس لنهر النيل – فإن المصريين القدماء لم يعرفوا ذلك ولم تكن لديهم معرفة جغرافية بمنابع النيل الحبشية، بل إن الحبشة ذاتها كانت قطراً غامضاً وأسطورياً بالنسبة لهم، وإن كان من المرجح أن بعض الرحالة المصريين القدماء قد وصلوا إلى هضبة الحبشة وكانت هناك اتصالات معها فى فترات تاريخية قديمة.

ورغم إحاطة الصحارى بوادى النيل ووجود عقبات طبيعية للوصول إلى سواحل البحر الأحمر والبحر المتوسط واعتراض الجنادل للنيل جنوبى أسوان الأمر الذى جعل سكان وادى النيل (يختلفون عن بقية الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم) كما يقول هيرودت، فقد اتصلت مصر بالعالم المجاور والبعيد عن طريق ثغور ومداخل على طول حدودها الشمالية والشرقية والجنوبية، فقد اتصلت مصر بشرق البحر المتوسط – خاصة فينيقيا وبلاد الإغريق – عن طريق موان عديدة، كذلك عبر الحدود الشرقية التى تطل منها مصر على البحر الأحمر بجبهة واسعة، ورغم قلة الموانى الصالحة على طول هذا الساحل وصعوبة الملاحة فى مياهه وفقر ظهيره الجغرافى، فإن سكان وادى النيل القدامى اتصلوا بالأقاليم الواقعة فى جنوبه والمطلة عليه بل وببلاد الهند وجنوب شرق آسيا، عن طريق ثغور ظهرت فى فترات مختلفة من التاريخ ارتبطت بوادى النيل بواسطة وديان الصحراء الشرقية كوادى الحمامات[٢١].

واتصلت مصر ببلاد بونت وأمم الشرق الأقصى، فقبل ظهور أية آثار مكتوبة عن العلاقات التجارية عبر البحر الأحمر كان قد وصل مصر من الشرق الأقصى أنواع البخور والمر والأصباغ والبرنز والقصدير، وربما حمل

هذه التجارة الشرقية القديمة وكذلك منتجات بلاد بونت وسطاء تجاريون من جنوب الجزيرة العربية نقولها أول الأمر إلى ميناء قرب سواكن الحالية ثم حملت بعد ذلك بالدواب إلى مدينة مروى على النيل النوبى، ومن ثم وصلت مصر، ويبدو أن المكاسب الضخمة التى كانت تجلبها هذه التجارة أغرت الفراعنة بتحويلها على ساحل البحر الأحمر المصرى عند مرفأ يقع قرب القصير الحالية (ساو أو فيلوتيرا). ويلاحظ أن منطقة القصير الحالية قريبة من النيل، فالنهر يصنع فى هذه العروض ثنية قنا التى تجعل وادى النيل على بعد نحو ١٥٠ كيلو متراً من البحر الأحمر، وعلى هذه الثنية ظهرت مدن خلال فترات التاريخ مثل طيبة وقفط وقوص وقنا، اكتسبت أهميتها من موقعها على النيل قرب البحر الأحمر عند ملتقى الطرق النهرية مع طرق القوافل عبر وديان الصحراء الشرقية خاصة وادى الحمامات. وكان عبر هذا الوادى بالدواب لا يستغرق أكثر من ستة أيام، وقد حفرت فيه الآبار على مسافات متقاربة كما كانت حراسته شديدة أيام الحكومات القوية، ويمكن القول بصفة عامة أن تجارة مصر مع بلاد بنت كانت نشطة مزدهرة خلال الجزء الأكبر من التاريخ المصرى القديم، ولكنها كانت أنشط ما يكون فى أيام الإمبراطورية خاصة أيام الرعامسة(١٣).

جنوب غرب آسيا:

وسع المصرى القديم دائرة معارفه الجغرافية لتشمل بلاد ما بين النهرين وسورية وجنوب الأناضول وقبرص وما اشتهرت به تلك البلاد من المنتجات خاصة النبيذ والتين من سورية والرقيق الكنعانيين الذين يتميزون بدقة الملامح، ولاشك أن معرفة المصريين بموانى فينيقيا كانت أكثر من معرفتهم بالمدن السورية، فقد عرفوا جبيل وبيروت وصيدا ونهر نثن القاسمية وأوزر ثم صور وذلك بالإضافة إلى قادش وتوبيخى (تقع توبيخى جنوب دمشق) وما جاورها من أقاليم البدو، ويبدو أن قاديش وتوبيخى كانتا مركزين للحاميات المصرية التى تولت حماية الاستقرار فى تلك الربوع، كما شملت معرفتهم بسورية المرتفعات الجبلية والفيافى والغابات.

ويعد المصريون القدماء أول من وصل إلى قارة آسيا من سكان القارات الأخرى، واكتشفوا أجزاء منها وتعاملوا مع سكانها ونقلوا إليها مؤثرات حضارية جديدة، واقتصرت علاقة مصر القديمة بغرب آسيا فى بادىء الأمر على تأمين حدود مصر الشرقية، كما كان للمصريين نشاط تجارى كبير فى فلسطين وسورية على الساحل الشرقى للبحر المتوسط طوال عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٠ - ١٧٨٠ق.م) وامتد نشاط المصريين حتى منطقة ما بين النهرين فى شمال شرق سورية والتى نجحت فى ضمها إلى أراضيها سنة ١٥٠٠ ق.م وعندما وصل إليها تحتمس الأول أقام على ضفة نهر الفرات لوحة تذكارية ترمز إلى انتصاراته على أعدائه من الثوار[١٤].

وقد كانت شبه جزيرة سيناء مجالا خصباً للمعرفة الجغرافية عند الفراعنة حيث كانت معبراً لموجات بشرية متعاقبة على مصر القديمة من شمال غرب بلاد العرب ومن سورية وفلسطين، وقد شهد تاريخ مصر غزوات سامية متتابعة تشتد حيناً وتضعف حيناً آخر، لكنها كانت فيما يؤكد المورخون دائمة ومستمرة، وكان حكام مصر يضطرون إلى تجريد حملات كثيرة لتأديب البدو المغيرين، بل وقام فراعنة مصر بتحصين حدود مصر الشرقية ببناء حائط كامل فى رأى بعض المؤرخين، وبناء حاميات وقلاع حربية فى رأى كتاب آخرين[١٥].

وقد شهدت شبه جزيرة سيناء فى الزمن القديم غزوات جيوش منظمة قادمة إلى مصر حين لمست فى حكامها ضعفاً، وقطعتها راجعة إلى آسيا ثانية حين قوى ملوك مصر على طردها، بل إن مصر ذاتها كثيراً ما اتخذت سيناء طريقا لتوسعها الخارجى عندما يشتد بأسها فتمد نفوذها على بلاد الشام وتبسط سلطانها على أراضى الجزيرة، وتخضع الآشوريين والبابلين، بل إن مصر بعد إن طردت الهكسوس أيام «أحمس» دخلت فى طور فتح جديد فى آسيا، وتجلى ذلك فى نشاط الأسرة الثامنة عشر أيام تحتمس الأول الذى قطع

سيناء إلى بلاد النهرين، وأيام تحتمس الثالث الذى خلدت غزواته على جدران معبد الكرنك، وكذلك فى نشاط ملوك الأسرة التاسعة عشر - سيما رمسيس الأكبر - الذين شنوا حملاتهم عبر سيناء فأدبوا الحيثيين وأخضعوا تلك البلاد لمصر خضوعاً تاماً. وفى خلال ذلك كله كانت المعرفة الجغرافية لمسالك سيناء ودروبها وخاصة الطريق الشمالى أساساً اعتمدت عليه تلك الحملات العسكرية التى شنها ملوك الفراعنة.

ليبيا:

تمثل ليبيا الإقليم الغربى الذى عرفه المصريون القدماء وقامت بينهم وبينه إتصالات قديمة على الأقل منذ بداية تاريخ عصر الأسرات، فقد كانت غارات القبائل الليبية على غرب الدلتا لا تنقطع منذ فجر التاريخ، وهى لا تعدو فى مظهرها أن تكون مظهراً للعلاقات المألوفة بين الرعاة والزراع أو بين الرمل والطين، فكانت غارات جماعات المشوش Mesh Wesh، والتامحو Tamehu، والتحنو Tehenu، والريبو أو الليبو Lebu, Rebu.

وفى وجه هذه الغارات المتلاحقة تواترت الحملات المصرية المضادة التى كان تتوغل بعيداً داخل برقة وتخضعها عادة، ويبدو أن بعض هذه الحملات وصلت أحياناً إلى أعماق الصحراء الداخلية وواحاتها حيث تشير إليها السجلات المصرية القديمة باسم شعب الواوات(١٧). ولا يكاد يخلو تاريخ أى من الفراعنة الكبار من مثل هذه الحملات، على أنه من الواضح أنها لم تكن استعماراً إمبراطورياً بقدر ما كانت غزواً دفاعياً أو حرباً وقائية فى الأعم الأغلب، كذلك فإن مثل هذه الحملات التى عبرت الصحراء أو اتخذت الطريق الساحلى الشمالى اعتمدت بالضرورة على معرفة جغرافية بتلك الأقاليم استطاعت الجيوش من خلالها أن تحقق أهداف تلك الحملات، كما تدل على ذلك معرفة المصريين القدماء بالواحات خاصة واحة سيوه.

جـ- المعرفة الجغرافية الفلكية:

وردت المعلومات الجغرافية عن الظواهر الطبيعية والفلكية العامة فى مجموعة (أمنموبى)، فقد ورد بها ذكر السماء والشمس، والنجم القطبى والنوء والفجر والظلام والنور والظل وضوء الشمس وأشعتها والإعصار والندى والصقيع والعاصفة الممطرة والماء والفيضان (أو النيل).

ورغم أن هذه الظواهر قد وردت فى مجموعة (أمنموبى) التعليمية فإن المعرفة بها قد بلغت شوطاً طيباً لدى المتخصصين، وليس أدل على ذلك من تجميع المسطحات المائية الكبيرة المعروفة لهم منذ عهد الدولة القديمة فى خمسة أسماء رتبت فى عبارات متتالية فى متون الأهرام، وهى: الأسمر الكبير، ويشمل البحيرات المرة، والأخضر الكبير، والمحيط الكبير (الهندى) والدائرة التى تحيط بالجزر، والمحيط العظيم وكذلك ما اهتدى إليه نص مصرى قديم من إرجاع فيضان النيل إلى سقوط الأمطار الغزيرة فى الجنوب، وما ذكره متن دينى من الدولة الحديثة عن الرياح الشرقية التى تهب من شرق البحر الأخضر الكبير، وذلك فضلاً عما احتفظت به سقوف بعض المعابد والمقابر من صور الخرائط الفلكية[١٨].

واستمد المصريون القدماء من السماء أكبر أربابهم حينما لاحظوا ما لاحظه أغلب الشعوب القديمة من أثر الشمس فى دورة الحياة اليومية وارتباط شروقها بيقظة الكائنات بعد النوم وبالحركة بعد الخمول، وردوا ذلك كله إلى رب قادر اتخذ الشمس آيته الكبرى، وتخيلوا هذا الرب (رع) وله من أجل هاتين الغايتين مركبان: مركب يعبر بها فى النهار (معنجة)، ومركب يعبر بها سماء الموتى بالليل (مسكته) وهى التى تتجه إلى الغرب فيبتهج الموتى فى قبورهم ويعتقدون أنها تزورهم.

وساعد صفاء سماء مصر منذ أقدم العصور على رؤية الإجرام السماوية بوضوح ومتابعتها، وربط المصريون بين ظهور النجم (سيروس Sirius)

المعروف بالشعرى اليمانية فى الصباح قبل الشمس لفترة قصيرة، وبين مجيء الفيضان، وأطلقوا على هذا النجم اسم «سبدت» Sepdt ومنها اشتق الاسم اليونانى «سوزيس» Sothis وقد لاحظ المصريون القدماء مع مرور الزمن أن بشائر الفيضان كانت تطالعهم مع ظهور هذا النجم الذى يبدو فى سمائهم الصافية واضحاً قبيل شروق الشمس، ومكانه فى دوائر الفلك خلف الجوزاء. وقد عشق المصريون القدماء هذا الكوكب وتغنوا بطلعته فى أشعارهم وأطلقوا عليه (مجلب الفيضان). وقد ذكر المؤرخون أن المصريين القدماء تمكنوا من رصد مسيرة هذا الكوكب حوال عام ٤٢٤٠ ق.م وعرفوا دائرة البروج وقد إستدل على ذلك من الرسوم التى وجدت فى أسقف بعض المقابر مثل مقبرة الملك سيتى الأول (١٢٩٤ - ١٢٧٩ق.م) بوادى الملوك، وفى المعبد الجنائزى الخاص برمسيس الثانى (١٢٧٩ - ١٢١٣ق.م) (الرمسيوم)[١٩]. وقد اهتم به كهنة مصر القديمة لارتباطه الوثيق بمجيء الفيضان فلم يكن ليمضى على ظهوره أكثر من بضعة أيام حتى يأتى الفيضان، وقد يحمل معه الأخطار. وقد وجد المصريون القدماء أن الفترة التى تنقضى بين ظهور هذا النجم مرتين تقدر بنحو ٣٦٥ يوماً أو أكثر بقليل، ومن المعروف فلكياً أن النجم (سيوس) يشرق مع الشمس فى ١٩ يوليو، وقد توصل المؤرخون أن التقويم المصرى بدأ فى ١٩ يوليو ٤٢٤١ق.م، ومعنى ذلك أن قدماء المصريين سبقوا الرومان فى استخدام التقاويم بأكثر من ٤٠٠٠ سنة، وعلى ذلك فالتقويم المصرى القديم هو أول تقويم وضع فى العالم[٢٠].

وقد قسم المصريون القدماء السنة إلى ١٢ شهراً فى كل شهر ثلاثة عقود، كل عقد عشرة أيام، أى أن السنة ٣٦ عقداً كل منها يرتبط بمجموعة من النجوم فى الدائرة السماوية، وكل شهر ٣٠ يوماً يضاف إليها بعد الشهر الأخير خمسة أيام سموها الأيام المضافة أو اللواصق، جعلوها أعياداً كانوا يحتلفون فيها بذكر ميلاد خمسة من أكبر أربابهم وهم على التعاقب:

أوزوريس وإيزيس وست ونفتيس ثم حوريس[٢١]، كذلك قسموا السنة إلى ثلاثة فصول لكل منها أربعة أشهر.

الفصل الأول: فصل (أخت Ekhet) وهو فصل الفيضان وأول فصول السنة.

الفصل الثاني: فصل (برت Pert) (فترة انحسار الفيضان عن الأرض وبذر الحب). ومعناه فصل الخروج إشارة إلى خروج النبات من الأرض بعد الفيضان، وكان هذا الفصل فصل الفلاحة والزراعة.

الفصل الثالث: فصل الجفاف ويسمى (شمو Shmiw) (فترة ا لتحاريق لندرة المياه) وهو فصل الحصاد والجفاف.

وفى مجتمع غلب عليه الطابع الدينى مثل المجتمع المصرى القديم كان المعبد مركزاً للتعليم، وكان الكهنة يعلمون الأطفال نوعين من الكتابة: إحداهما المسماه بالكتابة المقدسة (هيروغليفى أو هيراطيقى) والأخرى الأكثر شعبية وانتشاراً (ديموطيقى) لأغراض التعليم العام، وكان الفلك من العلوم التى تلقى عناية خاصة فقد حدد المصرى القديم مواقع النجوم ونظامها وحركتها، ويصف (هيكاتايوس) نشاطهم فى هذا المجال بقوله «لقد احتفظوا إلى يومنا هذا بسجلات خاصة بالنجوم على مدى عدد من السنيين يصعب تصديقه...» وهم يراقبون بيقظة شديدة حركات الأفلاك ومداراتها ومنازلها، وكذلك تأثير كل واحد منها على كل نوع من مظاهر الحياة، التأثيرات النافعة والضارة ونتيجة لخبرتهم الطويلة فى هذا المجال أصبح لديهم معرفة مسبقة بالزلازل والفيضانات[٢٢].

د- الرحلات:

أسهمت الرحلات بدور كبير فى تحقيق المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء، وكانت هذه الرحلات للتجارة أو لشن حملات عسكرية على المناطق والشعوب المجاورة، وكما سبق القول فإن نهر النيل كان الملهم

الرئيسى فى المعرفة الجغرافية العامة، كما كان المدرسة الأولى التى تعلم فيها قدماء المصريين الملاحة مبكراً، وساعدهم على ذلك عدة عوامل لعل من أبرزها.

١- توفر البردى والأخشاب التى صنع منها المصريون القوارب، وقد ذكر هيرودوت أن المصريين يصنعون سفن البضائع من أشجار السنط والشراع من البردى، وفى أيام الملكة حتشبسوت صنعت سفينة من خشب الجميز بلغ طولها ٨٢ متراً، وعرضها ٢٩ متراً(٢٣).

٢- هبوب الرياح الشمالية فى عكس إتجاه مجرى مياه النيل - الذى يتجه من الجنوب إلى الشمال - وقد يسرت هذه الحقيقة استغلال الرياح فى الملاحة فى هذا النهر العظيم مبكراً.

٣- بالإضافة إلى نهر النيل توفرت لمصر مسطحات مائية أخرى مثل البحيرات - والبحر الأحمر والمتوسط - والتى وفرت أماكن مناسبة للتدريب على الملاحة وساعدت على كشوف جغرافية مبكرة.

ورغم تعدد الرحلات فى مصر القديمة برزت ثلاث رحلات تجارية وهى:

١- رحلة أو بعثة سنفرو (٢٦١٣ - ٢٥٨٩ق.م) لجلب الأخشاب من فينيقيا وذلك لبناء السفن.

٢- رحلة حتشبسوت (١٤٧٣ - ١٤٥٨ق.م) إلى بلاد «بنت» وكانت تتكون من خمس سفن لإحضار منتجات مدارية من هذا الإقليم وخاصة البخور الذى كان يستخدم فى الطقوس الدينية فى المعابد المصرية القديمة.

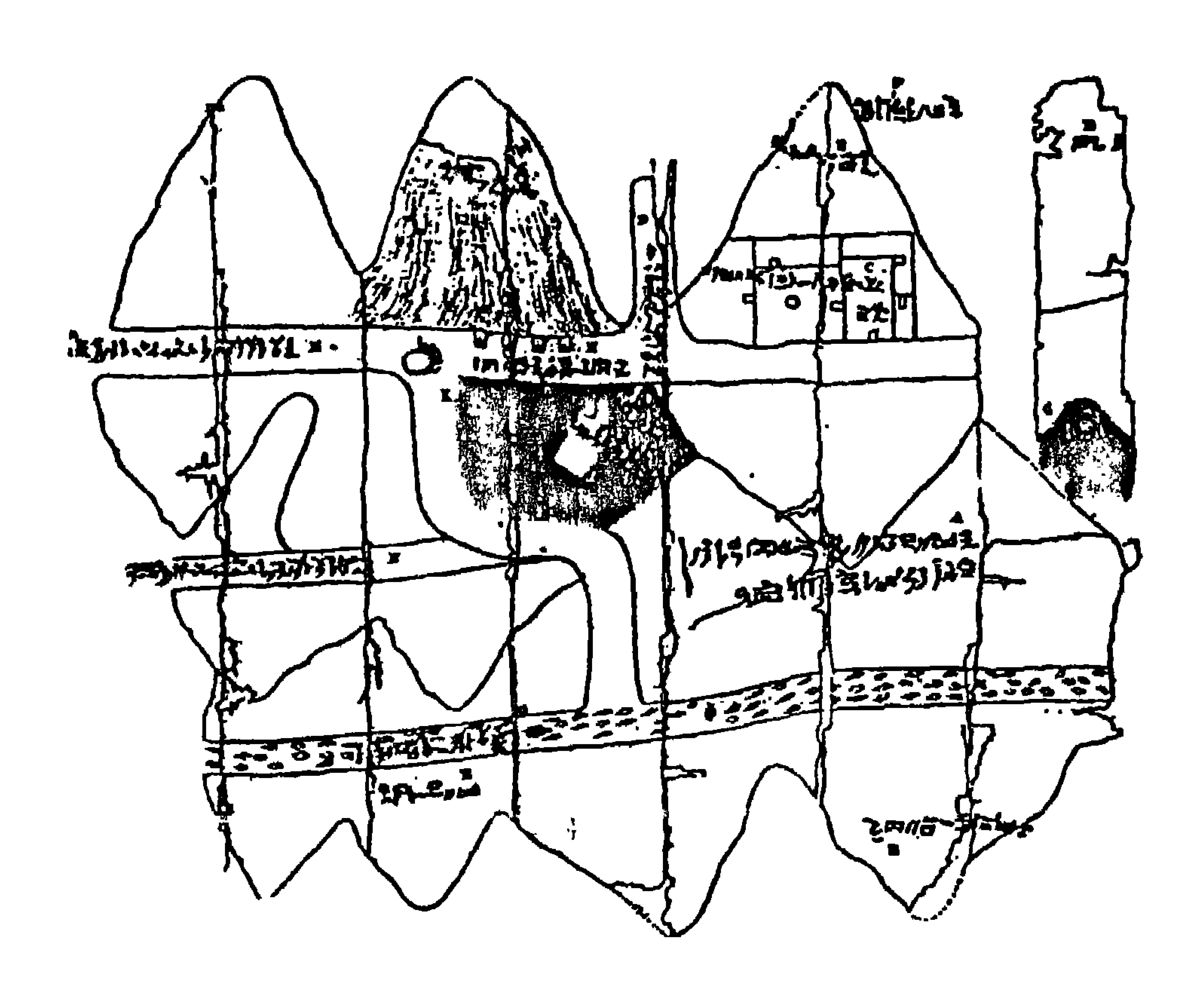
٣- رحلة نخاو الذى اشتهر برحلاته الجغرافية، وقد أورد هيرودوت ذكر هذه الرحلة التى بعث بها نخاو (٦١٠ق.م - ٥٩٥ق.م) للدوران حول إفريقيا، تلك الرحلة التى لم تتكرر ثانية إلا بعد مرور نحو ألفى سنة، وقد أرسل نخاو فيها بعثة فينيقية دارت حول إفريقيا من الشرق إلى الغرب فى ثلاث

سنوات، وقد ذكر هيرودوت أخبار هذه الرحلة والتى أثارت كثيراً من الشكوك فى مدى قيامها ودورانها حول القارة، ولكنها هيرودوت الذى استقى أخبار هذه البعثة من الكهنة المصريين، يذكر أن الرحلة بدأت من البحر الأحمر جنوباً وتغلب أفرادها على نقص المؤن بالزراعة وتربية الحيوانات فى محطات ساحلية على طول الطريق البحرى الذى سلكوه واستطاعوا أن يكملوا رحلتهم حول إفريقيا حتى وصلوا إلى مضيق جبل طارق وعادوا بعدها إلى مصر بعد مرور ثلاث سنوات على قيام هذه البعثة.

بالإضافة إلى هذه الرحلات، فقد قام المصريون القدماء بحملات عسكرية خاصة فى عهد كل من تحتمس الثالث ورمسيس الثانى واتجهت هذه الحملات إلى سوريا وفلسطين شمالاً بشرق وإلى النوبة جنوباً، أطلق جنود تحتمس على نهر الفرات (النهر ذو المياه العكسية) لأنه يسير من الشمال إلى الجنوب عكس ما ألفوه من نهر النيل، ولا شك أن هذه الحملات والرحلات قد وسعت من رقعة المعرفة الجغرافية لدى المصريين القدماء(٢٤).

رسم الخرائط:

يذهب كثير من الباحثين إلى أن مصر من أقدم دول العالم التى عرفت المساحة والقياس وذلك بهدف تقدير الضرائب المستحقة على الأراضى الزراعية، وكان مسح هذه الأراضى يتم بعد كل فيضان وذلك عند بذر البذور للزراعة، والباحث فى تطور علم الخرائط يدرك أن المصريين القدماء أسهموا بدور ملحوظ فى هذا المجال، وإذا كان الخرائط البابلية قد اعتمدت فى نشأتها على تصور السكان للإقليم أو على أفكار فلسفية، فإن الخرائط المصرية القديمة كانت نتيجة عمليات مساحية فقد أجمع الباحثون على أن مصر قد عرفت المساحة التفصيلية الدقيقة منذ أقدم العصور، وكان الدافع الأساسى إلى الاهتمام بها – كما سبق القول – هو تقدير الضرائب التى كان



شكل رقم (٢) بردية تورينو

(أقدم خريطة مصرية - مناجم الذهب في بلاد النوبة) .

تحتاج إليها الحكومة لمواجهة النفقات الباهظة التى كان يتطلبها نظام حكم الفراعنة.

وكانت عمليات حصر الأراضى تتم سنوياً لأنه لم يكن لأحد من السكان حق فى ملكية الأراضى، ومن ثم كانت الحكومة تلجأ إلى تأجير الأرض بعد كل فيضان بطريق المزاد، فتتم مساحتها بعد إتمام الزراعة لتنظيم جباية الضرائب، ورغم براعة المصريين فى الرياضيات لم يتركوا لنا إلا القليل من الخرائط المنقوشة على أوراق البردى، مما دعا البعض إلى القول بأن جهود المصريين فى الخرائط لا تمثل إلا نقطة هامة فى تاريخها.

وقد وجدت عدة لوحات مصرية ترجع إلى عهد رمسيس الثانى (١٢٧٩ - ١٢١٣ق.م) تبين مواقع الأعمدة التى تحدد الأحواض والأقسام الإدارية وحدود الأراضى الزراعية. وأقدم خريطة مصرية هى الخريطة الموجودة فى متحف تورينو والتى يعود إنشائها إلى سنة ١٣٢٠ ق.م وهى مرسومة على ورقة بردى، وتوضح أحد مناجم الذهب المصرية فى النوبة، وإن كان موضع هذا المنجم غير معروف بالضبط. وقد ظهر فيها أهم معالم المنطقة من مبان وطرق وأنهار وجبال. (شكل رقم ٢) وقد كان كثير من المشتغلين بالدراسات المصرية القديمة يعتقدون أن هذه الخريطة هى أقدم خريطة عرفها العالم، ولكن اكتشاف الخرائط البابلية أثبت خطأ هذا الاعتقاد. كما وجدت ورقة بردى أخرى محفوظة فى ذات المتحف تبين الطريق الذى سلكه (سيتى الأول) أثناء عودته منتصراً من حملته على سورية وذلك فيما بين بلوز (الفرما) وهليوبوليس، كما توضح الخريطة القناة التى كانت تربط النيل ببحيرة التمساح[٢٥].

ـمصر – أقدم دولة لها تاريخ مكتوب –ومنذ فجرالتاريخ تأصل لدى المصريين القدماء الباعث الديني الذى حدا بهم إلى تصور الكون واعتقدوا أن هناك قوى خفية تسيطر عليه، بل إنهم رأوا العالم على شكل مستطيل يجرى نهر النيل فى حوض منخفض وسط هذا المستطيل، وعرفوا الكثير عن جغرافية بلادهم واستثمروا مواردها على نطاق واسع بل وعروفا رسم الخرائط والقياس والمساحة، وكان النيل العظيم هو الملهم الأكبر للمعرفة الجغرافية عند قدماء المصريين فقد راقبوه وعرفوا نظام جريانه ووضعوا تقويماً زراعياً فى فترة مبكرة ترجع إلى ٤٢٣٦ ق.م، وقسموا السنة إلى ثلاثة فصول تبدأ بفصل الفيضان ويتوسطها فصل البذر وتنتهى بفصل الحصاد.

والواقع أن المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء يمكن أن تتحدد فى خمسة مظاهر هى معرفتهم بجغرافية بلادهم سوآء فى الوادى أو فى الدلتا أو المسطحات المائية النهرية والبحرية، وكذلك من خلال تقسيم إدارى واضح المعالم لمصر العليا والوسطى والسفلى ثم توسعت معارفهم الفلكية والطبيعية وعرفوا الكثير عن الشعوب والأقاليم المجاورة فى الجنوب والشرق والغرب ورسموا لها عدداً من الخرائط التى توضح المسالك المؤدية إليها، ولكن لم يعثر على كثير منها، وعلى أية حال يحوى متحف تورينو بشمال إيطاليا خريطة مصرية قديمة توضح أحد مناجم الذهب المصرية فى النوبة وترجع إلى سنة ١٣٢٠ق.م، وهى مرسومة على ورق بردى، كما وجدت ورقة بردى أخرى محفوظة بذات المتحف تبين الطريق الذى سلكه الملك سيتى الأول – أحد ملوك الأسرة التاسعة عشر (١٢٩٤ – ١٢٧٩ق.م) توضح عودته منتصراً من حملته على سورية، كما وجد على أحد جدران معبد آمون بالكرنك نقش يمثل خريطة تفصيلية توضح الطريق الموصل إلى غرب آسيا عبر شبه جزيرة سيناء وموضحاً عليها مواقع آبار المياه والقلاع المحصنة على طول الطريق.

إضافة إلى ذلك فقد كان النيل والبحر المجاور لمصر القديمة مدرسة تعليم فنون الملاحة مبكراً، وقد كانت الرحلات البحرية والبرية معاً من مصادر المعلومات الجغرافية التي وسعت دائرة المعارف الجغرافية عند المصري القديم، ويذكر التاريخ أن أبرز الرحلات تلك تمت في عهد سنفرو (٢٦١٣ق.م)، وحتشبسوت (١٤٧٣ق.م)، ونخاو (٦١٠ق.م) وهي الرحلة التي استمرت ثلاث سنوات استطاعت خلالها أن تدور حول قارة إفريقيا بادئة ذلك من الشرق – من البحر الأحمر واستمرت في دورانها حول القارة حتى عبرت مضيق جبل طارق ثم عادت إلى مصر بعد ذلك.

قائمة الهوامش:

(١) استخدم لفظ جغرفيا لأول مرة بمدينة الإسكندرية فى القرن الثالث ق.م، حيث تداوله الباحثون فى الموسيون Mouseion وهى دار البحث والدراسة ذات الشهرة العالمية التى ألحقت بها مكتبة الإسكندرية أعظم مكتبات العالم آنذاك.

(٢) عبد العزيز صالح – الشرق الأدنى القديم – الجزء الأول – القاهرة ١٩٦٧ ص ٢٩٧ – ٣١٥.

(٣) سليم حسن: أقسام مصر الجغرافية – القاهرة – ١٩٤٤ ص ٦.

(4) Ball, J. Egypt in the Classical Geographers, Cairo, 1942, p. 384.

جدير بالذكر أن الأسماء التى عرفت بها مصر تغيرت وتبدلت على مر العصور، ففى العصر الإغريقى الرومانى عرفت مصر باسم (إيجبتوس) ربما نسبة إلى بلدة Co-pots (قفط) – أو ربما نسبة إلى كلمة (حاكابتاح) وهى اسم بلدة منف القديمة، وقد صارت إيجبتوس المصدر لأسماء مصر فى اللغات الحديثة. وتغير إسم (حابى) فى العصر الإغريقى الرومانى فأصبح (نيلوس).

ومنذ دخول العرب وادى النيل حلت كلمة مصر محل (إيجبتوس) – وهى كلمة تعنى فى اللغة العربية – الصقع أو المدينة أو القطر، أما نهر النيل فاحتفظ باسمه الإغريقى وعرب فأصبح النيل.

(٥) وهيبه – المرجع السابق – ص ص ١٦ – ١٧.

(٦) عبد العزيز صالح – التربية والتعليم فى مصر القديمة – ١٩٦٦ – ص ٣١٣.

(٧) المرجع السابق – ص ص ٢٤٠ – ٢٤١.

(٨) عن احتمالات مقابلة هذه الفروع الرئيسية لما سمى فيما بعد بالفرع الكانوبى، والفرع البيلوزى أو البوباستى راجع:

- Gardiner, A. H., Ancient Onomastica, Oxford, 1947, I.P., 152.

(٩) عبد العزيز صالح - المرجع السابق - ص ٣١٦.

(١٠) أدولف إرمان وهرمان رانكه: مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة - ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال - ص ١٠ (عن عبد الفتاح وهيبه - المرجع السابق ص ١٠٩).

(11) A - Sharaf, A.T., A Short History of Georaphical Discovery, Alexandria, 1963, p. 8.

ب- عبد الفتاح وهيبه - المرجع السابق -ص ص ٢٣ - قا ٢٤.

(12) Ball, J. Egypt in the Classical Geographers, London, 1942, pp. 3 - 6.

عن : عبد الفتاح وهيبه - دراسات فى جغرافية مصر التاريخية - المرجع السابق - ص ص ص ١٦ - ١٧.

(١٣) المرجع السابق - ص ٢٠ - ولتحقيق ارتباط النيل مع البحر الأحمر عن طريق شمالى آخر حفر الفراعنة قناة عبر وادى طميلات وبحيرة التمساح والبحيرات المرة التى كانت متصلة بخليج السويس خلال فترة طويلة من التاريخ، وكانت هذه منفذاً من منافذ مصر على البحر الأحمر، وقد حفرت هذه القناة عدة مرات، ولكنها سرعان ما كانت تهمل لتردمها الرمال. فقد حفرها لأول مرة الملك سيزوستريس الثانى أحد ملوك الدولة الوسطى (١٩٠٠ق.م)، ثم سيتى الأول (١٢٧٩ق.م)، ثم نخار (٥٩٥ق.م)، ثم داريوس الفارسى (٥٢٠ق.م)، وجاء بعده بطليموس الثانى (٢٨٥ق.م)، وتراجان (٩٨ميلادية)، ثم عمرو بن العاص (٦٤٠ميلادية).

(14) Breasted, J. H., Ancient Recor of Egypt, Vol. 3, Chicago, 1906, p. 478.

(١٥) عباس عمار - المدخل الشرقى لمصر - القاهرة ١٩٤٦ - ص ص ٣ - ٤.

(16) Breasted, J.H., A History of Egypt, London, 1948, pp. 27 - 32.

- عن جمال حمدان - الجمهورية العربية الليبية - عالم الكتب - ١٩٧٣ - ص ١٦.

(١٧) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية - القاهرة - ١٩٦٥ - ص ٢٩٧.

(١٨) عبد العزيز صالح - المرجع السابق، - ص ٣٣٢.

(١٩) محمد صقر خفاجي وأحمد بدوى - هردوت يتحدث عن مصر - دار القلم القاهرة - ١٩٦٦ - ص ص ٧٠ - ٧١ (عن محمد محمود محمدين - الجغرافيا والجغرافيون: دراسة زمكانية - الرياض - ط ٣ - ٢٠٠١ - ص ٥٥).

(٢٠) محمد محمود محمدين - المرجع السابق - ص ٥٦.

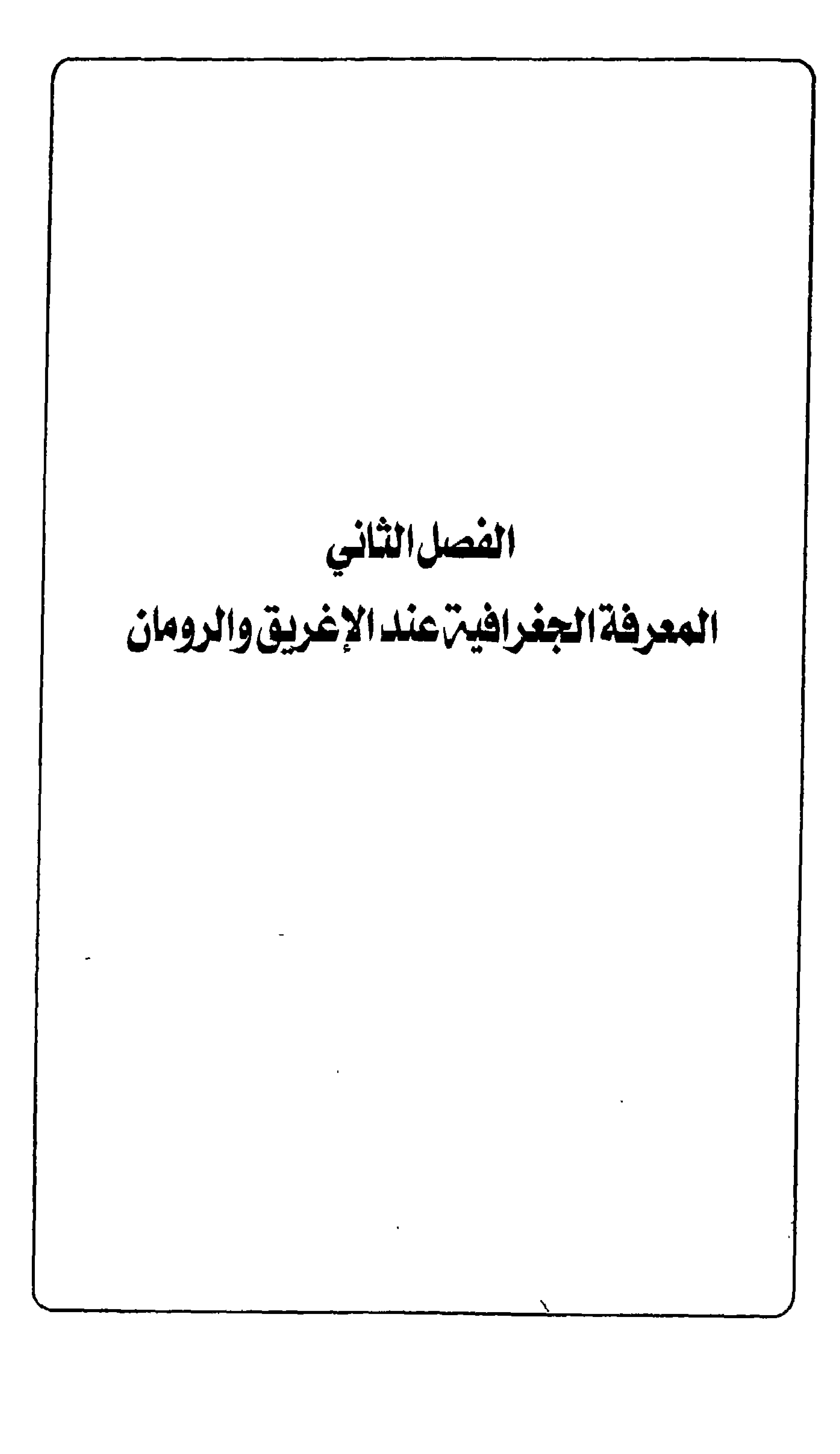
(٢١) محمد صقر خفاجي - وأحمد بدوى - المرجع السابق - ص ص ٧١ - ٧٢.

(٢٢) هيكاتايوس: أورده ديودور ١/٨١ - عن مصطفى العبادى - مكتبة الإسكندرية القديمة: سيرتها ومصيرها - المجلس الأعلى للآثار القاهرة - ٢٠٠٢ - ص ٦٨.

(٢٣) محمد صقر خفاجي وأحمد بدوى - المرجع السابق -ص ٢٠٩.

(٢٤) محمد محمود محمدين: المرجع السابق - ص ٥٩.

(٢٥) محمد صبحى عبد الحكيم وماهر الليثى - عالم الخرائط - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٦ - ص ص ٢-٤.



الفصل الثاني

المعرفة الجغرافية عند الإغريق والرومان

الفصل الثاني

المعرفة الجغرافية عند الإغريق والرومان

كانت المعرفة عند الفراعنة مصدراً هاماً للمعرفة عند الإغريق، وكان الإغريق هم أول من حاول بلورة المعارف الجغرافية، فهم الذين أوجدوا كلمة جغرافيا من جملة جيو وتعنى أرض وجرافيا وتعنى وصف أو كتابة، ورغم أن الشعوب الأخرى فى الشرق كالبابليين والفينيقيين والفرس قدموا معلومات جغرافية، إلا أنها كانت عن المناطق المجاورة لبلادهم، أما الإغريق فقد عملوا على توسيع مجال دراساتهم لأبعد مدى يمكنهم بلوغه فى العالم القديم.

١- الأفكار الجغرافية عند البابلين والفرس والفينيقين:

يرجع الاهتمام بالفلك – وهو علم وثيق الصلة بالجغرافيا، إلى تاريخ يبدأ فى الألف الرابع قبل الميلاد، وذلك فى كل من بابل ومصر، فقد تم أول تحديد لطول السنة الشمسية كما حسبه الفلكيون البابليون كما تصوروا أن العالم سطح دائرى تحيطه مياه الخليج العربى، مما يعنى أن معلوماتهم الجغرافية كانتتقتصر على باب وأشور.

وقد عمل المصريون القدماء – كما سبق القول – على نفس المنوال – وانتعشت دراسات الفلك قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، بسبب صفاء السماء بأرض النيل، كما رسم الفراعنة خرائط لم يصل منها إلا القليل منها خاصة خريطة منطقة تعدين الذهب فى بلاد النوبة التى تعود إلى عام ١٣٢٠ ق.م. والمرسومة على ورق البردى ولا زالت محفوظة فى متحف تورينو.

وبعد ذلك أصبح للفينيقين شأن كبير فى التجارة بالبحر المتوسط وامتد نفوذهم إلى الجزء الغربى من البحر المتوسط حتى مضيق جبل طارق. ويذكر «هيرودوت» أن الملاحين الفينيقيين قاموا برحلات لعل أبرزها الرحلة التى تمت تحت رعاية الملك نخاو – فرعون مصر نحو ٦٠٠ قبل الميلاد للدوران حول أفريقيا ابتداءً من البحر الأحمر.

أما الفرس القدماء – فقد ساد اعتقاد بينهم أن الأرض على هيئة دائرة مسطحة – مثل البابليين. ومن المؤكد أنه فى عصور متأخرة اعتقد الفرس أن الأرض على شكل كروى، ومن المعتقد أن الأرض تتكون من سبعة أجزاء أو عوالم، وكان يحيط هذا العالم بحر من الشرق والجنوب والغرب، بينما يوجد جبل مرتفع فى الشمال (١).

٢- الجغرافيا عند الإغريق:

يرى كثير من الباحثين فى تاريخ العلوم أن اليونانيين القدماء قاموا بأعظم إنجاء حضارى فى العالم القديم وهو نبذ التفكير الأسطورى وإحلال نظرة علمية محله للعالم والمجتمع، وقد استغرقت مرحلة العلوم اليونانية تسعمائة عام، حيث بدأ حوالى القرن السادس قبل الميلاد وانتهت فى نهاية القرن الثالث الميلادى، وهى تقع ضمن ثلاث فترات تمتد الأولى وهى أكثرها أصالة وإبداعاً بين عام ستمائة قبل الميلاد إلى عام ٣٢٢ ق.م (عام وفاة أرسطو)، وتمتد الثانية حتى بدء العهد المسيحى، وتمتد الثالثة حتى نهاية القرن الثالث الميلادى(٢)، ويطلق على المرحلة الأولى اسم العصر الهلينى، وعلى الثانية اسم العصر الهللينستى، أما الثالثة فتعود إلى عصر

الامبراطورية الرومانية والتى اشترك فيها علماء يونانيون ورومانيون معاً، وقد انطلقت هذه النهضة العلمية الكبرى حوالى ٦٠٠ ق.م. من أحدى مناطق اليونان الكبرى التى أطلق عليها اسم الساحل الإيونى (وهو الساحل الجنوبى الغربى لشبه جزيرة الأناضول المطل على بحر إيجه) حيث نشأت به مراكز حضرية لعل أبرزها مدينة أزمير.

وكان البحر المتوسط مركز ثقل العالم القديم، فهو بحر داخلى بين ثلاث قارات هى أوربا فى الشمال وآسيا فى الشرق وأفريقيا فى الجنوب، وأبعاده ليست طويلة أو معقده، فهو لايتجاوز ٤٠٠٠ كيلو متراً من الغرب إلى الشرق، ولايتجاوزعرضه الأقصى ٧٥٠ كيلو متراً. وكان لانتشار الجزر فى حوضه الشرقى أثر مباشر فى تسهيل الاتصال بين البلاد المطلة عليه، وقد أسهم بدور كبير فى تاريخ الامبراطوريات البحرية التى نشأت فى حوضه وامتد نفوذها ليشمل مساحة كبيرة من هذا الحوض مثل دولة الإيجتين (من بحر إيجه) والفينيقيين الذين امتد تأثيرهم إلى الحوض الغربى للبحر المتوسط حتى مضيق جبل طارق، فمنذ الألف الثانية قبل الميلاد، كان الإغريق يعرفون إيطاليا، وفى حدود نحو ألف قبل الميلاد بلغ الفينيقيون بلاد أيبيريا (أسبانيا والبرتغال)، وبين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد استطاع الإغريق أن ينشئوا لهم مستعمرات على كل سواحل البحر المتوسط(٣).

وقد اتجهت مجارى المعرفة الجغرافية فى العالم القديم اليونان حيث تم توجيهها إلى مسارات مفيدة، وكانت قصائد هوميروس أول إنتاج أدبى للإغريق يمثل نظرة شاملة فى المعرفة الجغرافية فى ذلك الوقت، ففى الالياذة تصور هوميروس أن الأرض على شكل دائرى مسطح يحيطها محيط

اعتبر مصدر كل المياه على سطح الأرض، وانحصرت المعرفة الجغرافية اليونانية حول الأراضى المجاورة لبحر ايجه، واتسع المجال الجغرافى نسبيا بعد ذلك، وكانت أولى المدارس التى ساهمت فى الجغرافيا العملية هى المدرسة الأيونية – Ionion School – التى أسسها طاليس Thale الملطى – (٥٨٠ق.م) – الذى زار مصر وأسس علم الهندسة القياسية بناء على القواعد العملية لمسح الأرض، وقد أعقتد أن الأرض على هيئة قرص يعوم فى ماء(٤).

ويبدو أن (أناكسماندر) Anaximander – الذى تبعه كان أول إغريقى يقوم بعمل خريطة للعالم، وكان أيضا أول من لاحظ أن السماء تدور حول النجم القطبى وأن الأرض احتلت مكاناً وسطاً، وقد مثلت الأرض بأسطوانة مفرطحة على القبة السماوية وتحيطها نطاقات من الماء والهواء والنار.

وكان هيكاتيوس Hecataeus الملطى (٥٠٠ق.م) مشهور بأنه (أبو الجغرافية)، وكانت لديه أفكار جغرافية أوضح. وينسب إليه كتاب عنوان Periode – أو (دوران الأرض) يمثل أول محاولة لوصف العالم المعروف أنذاك وصفاً منظماً. وقد قسم هذا الكتاب إلى جزءين، تناول الأول أوربا، وتناول الجزء الثانى آسيا وأفريقيا. وقد احتوت الخريطة التى يفترض أنها كانت ترافق هذا الكتاب على إتجاهات المدرسة الأيونية(٥).

ولقد لقيت الجغرافيا دفعا قوياً على يد هيرودوت (٤٨٤ – ٤٢٥ق.م) فرغم أن هدفه الرئيسى هو كتابة التاريخ فأنه قدم بيانات جغرافية وفيرة واعتبر أن المخيطات امتدت بصفة متصلة من سواحل الهند إلى سواحل أسبانيا واعتقد بوجود ذراعين بحريين يتوغلان فى اليابس من الميحط

وهذان الذراعان هما البحر المتوسط والبحر الأحمر. واعتبر بحر قزوين بحر داخلياً (شكل رقم ٢-١).

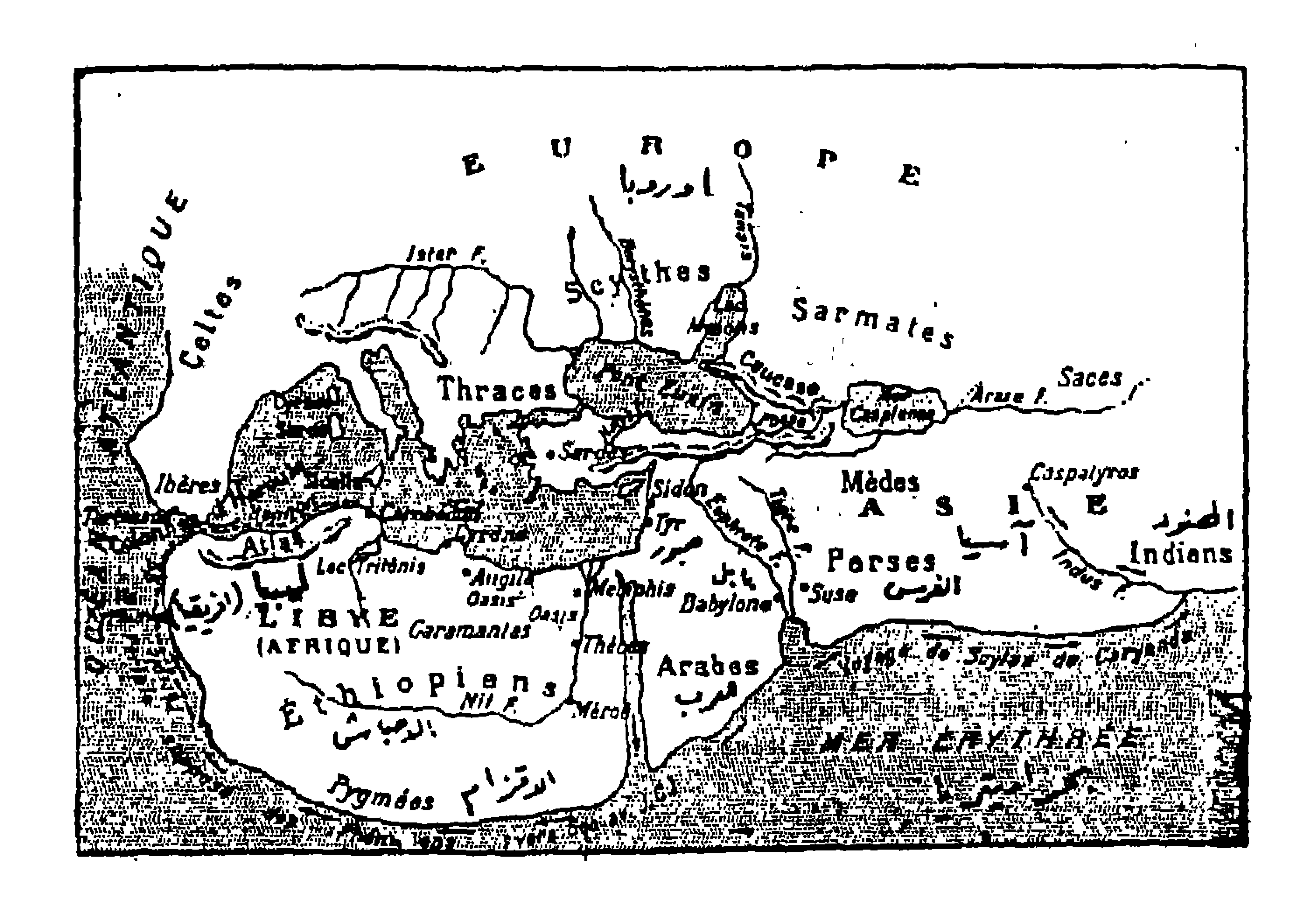
أما عن النظرية الكونية عند الأغريق، فقد ظهرت فى كتابات فلاسفتهم فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد فقد اعتقد أفلاطون (٤٢٨ - ٣٤٨ق.م) بأن الأرض كروية وتتحرك حركة واحدة وهى دورانها بانتظام حول محوريها دون أن تتحرك من موضعها، أما الأجسام الكونية الدائرية الشكل، المكونة من النار (ويقصد النجوم) فهى فى رأيه تتحرك حركتين: حركة فى نفس الموضع، وأخرى أمامية، وقد نشر أفلاطون فى كتابه (طمياوس) فكرة فيثاغورث القائلة بكروية الأرض وأنها تتحرك فى مدارها من الغرب إلى الشرق.

كذلك اعتقد أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ق.م) أن الكون كروى الشكل - وبرهن على أن الأرض كروية بدليل أن ظلها على القمر الناتج عن الخسوف يتخذ الشكل المستدير.

وقد اتسعت المعرفة الجغرافية بواسطة حملات الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ق.م) وحمل رجاله الثقافة الإغريقية إلى الشرق، كما تيسر الاتصال المباشر بين بابل ومصر والهند وأوربا.

٣- مدينة الإسكندرية:

انتقل المركز الثقافى العالمى فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث قبل الميلاد من أثينا إلى الإسكندرية، وقامت مكتبة الإسكندرية القديمة بدور حاسم فى ذلك من خلال عدد من العلماء والباحثين كان من نتائج عملهم تحديد مواقع النجوم بالآت دقيقة، ورسم خرائط للعالم، ومن أبرز هؤلاء



(شكل رقم - ٢-١) العالم عند هيرودوت

(القرن الخامس قبل الميلاد)

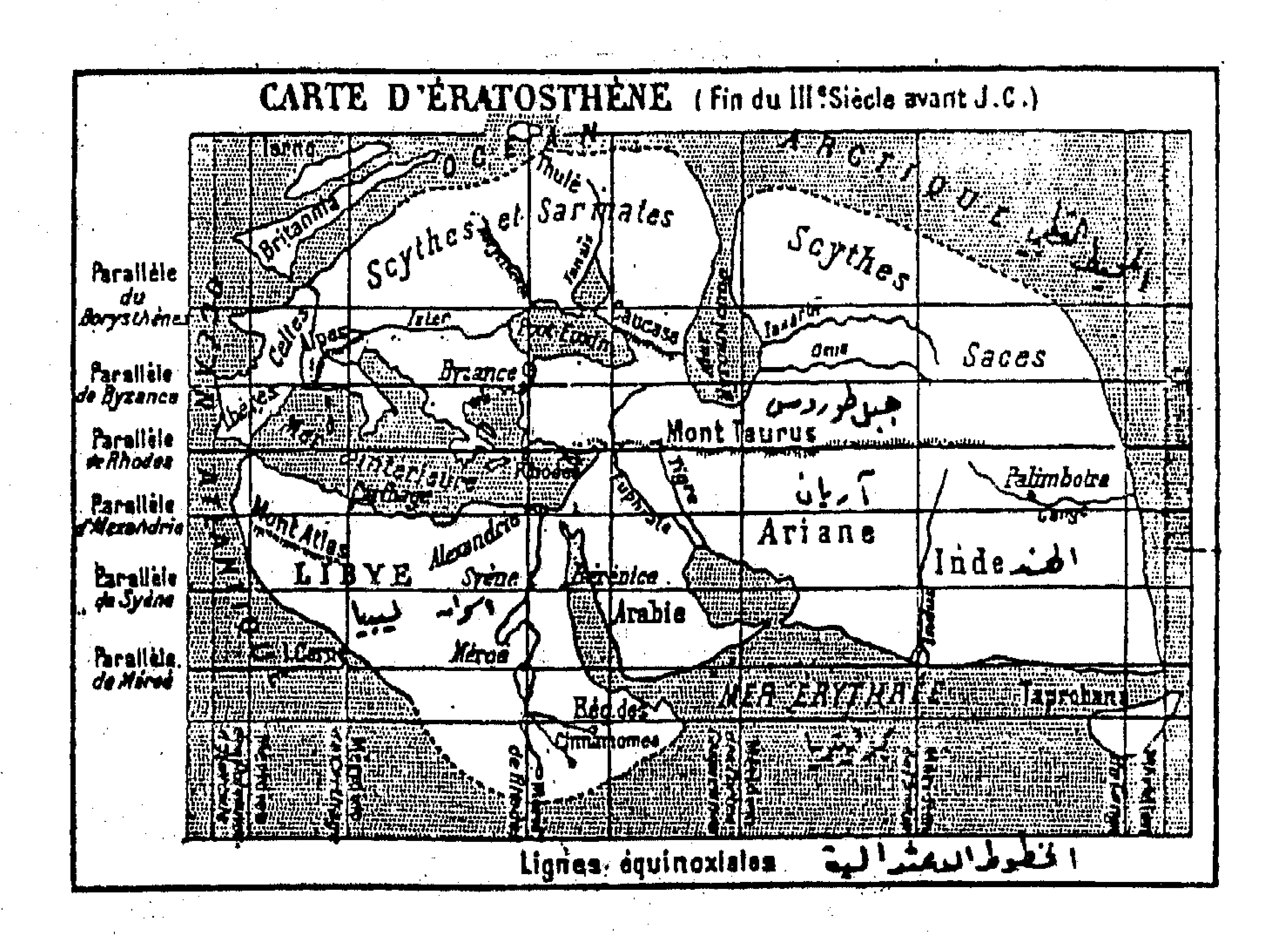
العلماء أريستارخوس Aristarchus ، وإراتوسثنيس Eratosthence وهيبارخوس Hipparchus وبطليموس وكانت طريقتهم خطوة كبيرة للأمام قياساً إلى فلسفة أفلاطون المثالية وتفسيرات أرسطوا الميتافيزيقية.

وقد تقدم اريستاخوس (٢٨١ق.م) بنظرية حركة الأرض حول الشمس، وإن كان بعض الجغرافيين العرب قد نسبوا هذه النظرية إلى (فيثاغورث) وتطورت الجغرافية الرياضية على يد (إر اتوستنيس (٢٧٦- ١٩٤ق.م) أمين مكتبة الإسكندرية، وكتب مؤلفاً ضخماً أسماه (الجغرافيا)، وعمل خريطة للعالم تضمنت خطوط العرض (شكل رقم ٢-٢). وحاول قياس محيط الأرض وكان وفق حساباته ٢٦٠ ألف ستاديا، وبعد حوالى مائة سنة نأتى إلى جغرافى فلكى هو هيبارخوس (١٦٠ ق.م) والذى عرف بالجدول الذى عمله عن النجوم ولاكتشافه ظاهرة الاعتدالين.

ولقد بقيت الدراسات الكونية التى تمت على يد «هيبارخوس» شائعة لمدة ستة عشر قرناً بعد ذلك، وكان هناك إتفاق على أن الأرض فى وسط المجموعة الشمسية، وقد ارتكب هيبارخوس خطأ واحداً - وهو أنه لم يأخذ بفكرة(اريستاخوس) القائلة بدوران الأرض والكواكب حول الشمس، مما جعل معظم علماء الفلك الذين أتوا بعده يتمسكون بأن الأرض مركز الكون لفترة اقتربت من الف وثمانمائة عام(٧).

وكان أهم إضافات (هيبارخوس) فى مجال الخرائط - فقد كان أول من أوضح تحديد الأماكن بواسطة خطوط العرض والطول.

وقد توجت الحركة العلمية فى فترة الإسكندرية الأخيرة بكتابات كلوديوس بطليموس Claudius Ptolomy فى القرن الثانى بعد الميلاد وأحسن



(شكل رقم - ٢-٢)

خريطة إيراتوستين (أواخر القرن الثالث قبل الميلاد)

ما عرف من أعماله كتاب (الجغرافيا) - وكتابه الذى حمل اسم Syntaxis والذى شاعت تسميته بالمجسطى - ويعد بطليموس من أكبر الجغرافيين الأغريق الذين اعتمد العرب على كتاباته بشكل واضح وعلى نطاق واسع - ويشيرون إلى ذلك صراحة عرافناً بالجميل له (٨).

ويضم كتاب الجغرافيا لبطليموس ثمانية فصول. وخصص الفصل الأول للجغرافية العامة ووصف لطرق الاسقاط التى يمكن اتباعها فى عمل الخرائط، وتغطى الفصول التالية خطوط عرض وخطوط طول كل الأماكن التى وردت بالخريطة. ورتبت الأماكن فى أقسام بحسب الدولة أو المنطقة التى تتبعها، وقد خصص الفصلان الأخيران من الكتاب لدراسة الخرائط التى ترافق النص.

وتعد خريطة بطليموس الأول - خريطة هامة ومفيدة، وأن كانت فيها مبالغة فى أبعاد نصف الكرة اليابس، وقد قدر لخرائط بطليموس كما هى الحال بالنسبة لمؤلفه فى الجغرافيا والمجسطى أن توجه العرب فى مجالى الجغرافيا والخرائط، وقد كان تحديد بطليموس لخطوط العرض والطول وتحديد المواقع فى بعض الحالات تحديداً غير سليم لقلة الملاحظات الفلكية وعدم إكتمالها وكان هذا السبب فى إتاحة الفرصة أمام العرب لإظهار تفوقهم (٩).

والواقع أن كتاب بطليموس عن الجغرافيا يعد خاتمة مرحلة هامة فى علم الجغرافيا، وقد كان ثراء تصنيف هذا الكتاب وطريقة الحصول على الوثائق التى اتبعها المؤلف - كان ذا تأثير كبير فى الفكر الجغرافى خلال عدة قرون تالية، وقد ظل بطليموس حتى عصر النهضة - شأن أرسطو

بالنسبة للفلسفة – ظل المصدر الذى لا ينازع فى معرفة الأرض ومنظومة العالم.

٤- أنكماش النشاط العلمي في الإسكندرية في العصر الروماني:

انكمش النشاط العلمى فى الإسكندرية وقت أن ظهر الرومان كقوة عظمى، وتتمثل الجغرافية عند الرومان أحسن تمثيل فى أعمال اصطرابون Strabon وبلينى Pliny، فقد كان اصطرابون جغرافياً عظيماً، وتميز أنه كان من الرحالة الممتازين واستفاد كثيرً من أعمال اراتوستوسين – وهيبارخوس. وتضمن كتابه (الجغرافيا) عدة أجزاء خصصها عن الجغرافية بعامة وتقرير عن جغرافية أسبانيا والغال (فرنسا) وبريطانيا وإيرلنده وبلاد الألب وايطاليا وماجاورها وآسيا الصغرى وأفريقية. أما بلينى (٢٣-٧٩)م فيذكر بمؤلفه (التاريخ الطبيعى) الذى يعد موسوعة العلوم فى عصره ويضم بعض البيانات الجغرافية عن أوربا وأفريقية.

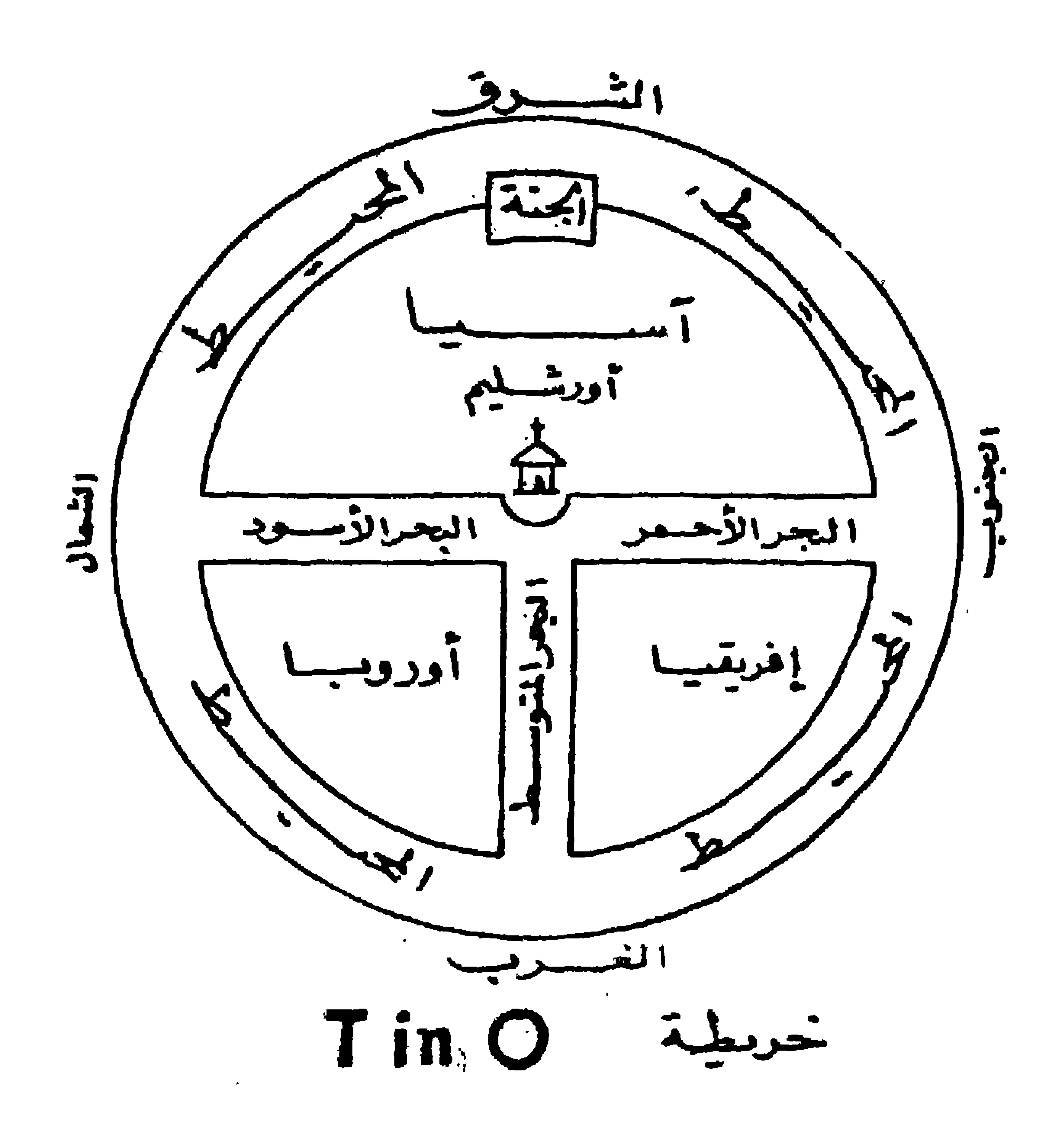
إضافة إلى ذلك فقد كانت هناك بعض الأعمال قليلة الأهمية من الناحية العلمية ولكنها رغم ذلك تعد حلقة وصل بين الجغرافيا القديمة والجغرافيا فى نهضتها على يد العرب. وأبرز هذه الأعمال تقارير الرحلات إلى بيت المقدس ورحلات التجار والبعثات التبشيرية وبعض الكتابات عن المبادىء الجغرافية وتمثيل البيانات الجغرافية بالخرائط، وكان الكتاب المقدس – وماورد به من أفكار دينية موجهاً لكثير مما ذكر فى هذه الكتابات، والتى أوردت أن الأرض سهل مسطح تحيطها جدران من جميع الجهات، وأن السماء على هيئة غطاء شبه إسطوانى ارتكز على هذه الحوائط الأربعة وبذلك شكل غطاء للسهول الأرضية، وأن القوى المحركة للأجسام السماوية مصدرها الملائكة.

وأما عن خرائط تلك الفترة - فقد تأخرت كثيراً عن التطورات التى حققها الجغرافيون فى مدرسة الإسكندرية، ومن أبرز تلك الخرائط ما يعرف بخريطة حرف T التى تمثل توضيحاً مبسطاً للقارات - فقد ظهر بها العالم المعروف آنذاك على هيئة حرف T يحيطه حرف O، (شكل رقم ٣) وهكذا ينقسم العالم إلى ثلاثة أقسام - الشرق فيها من الناحية العلوية - وتمثل الأجزاء العليا من الخريطة آسيا، وتمثل الأجزاء السفلى أوربا وأفريقيا وزينت الخريطة برموز الكنائس - والمبانى، والأنهار (١٠).

خاتمة:

هكذا بدأ الفكر الجغرافى الإغريقى - الرومانى بالاضمحلال منذ القرن الثالث الميلادى، فاختفى الجغرافيون الكبار وكان آخرهم بطليموس ومنذ أن تحولت الدولة الرومانية إلى الديانة المسيحية بتبنى الامبراطور قسطنطين للديانة المسيحية عام ٣٢٤ ميلادية سيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة على الفكر، وأصبح رجال الدين هم القيمون على الثقافة، كما أصبحت الكنيسة هى المؤسسة الثقافية الوحيدة فى الدولة، وأصبحت تعاليمها هى وحدها السائدة، وكون رجال الثقافة الكنيسة المسيحية مدرسة فكرية جديدة أطلق عليها اسم (مدرسة الانكار العنيف) عملت على مسح جميع الأفكار القديمة عن الأرض واعتبارها باطلة، وحرمت الكتب القديمة لأن ما ورد فيها من معلومات عن الأرض والكون والبشر مناقض لما جاء فى الكتاب المقدس (١١).

وسادت أفكار جديدة عن الأرض تنكر كرويتها وتزعم أنها مسطحة وأن طولها ضعف عرضها وهى طافية فوق المياه ومحاطة بالمياه، وتقع



خريطة T in O

(شكل رقم ٢-٣)

الفردوس وراء المحيطات الشاسعة واشتهرت فى القرن الرابع الميلادى خريطة للأرض المعمورة أطلق عليها اسم خريطة Tin التى سبقت الإشارة إليها كما تدهورت الكشوف الجغرافية، واقتصرت المؤلفات الجغرافية على كتب أشبه بكتب الدليل التى تصف الطرق بين بعض الأقطار الأوربية وبين بيت المقدس، وهكذا طمست العلوم الجغرافية وفقدت أهميتها كلية.

وظل الحال كذلك بضعة قرون حتى ظهر الدين الإسلامى، وعلا شأن الدولة العربية الإسلامية وإمتدت رقعتها لتشمل مساحة واسعة فى العالم القديم واستتبع ذلك نهضة فكرة وحضارية كبرى صاحبت إزدهار الدولة الإسلامية، والتى يمكن القول أنها بدأت تجود بثمارها الفكرية منذ مطلع القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، وكان نصيب الفكر الجغرافى من تلك النهضة عظيما كما سيتضح من الفصول التالية.

قائمة الهوامش:

(١) س.م.علوى – الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين – (الثالث والرابع الهجريين) – ترجمة: عبد الله يوسف الغنيم وطه محمد جاد – الكويت – ١٩٨٠ – ص ص ٢٥ – ٢٦.

(٢) بنيامين فارنتن – العلم الإغريقى – الجز الأول – الكويت – سلسلة الألف كتاب – ترجمة أحمد ص ص ٢١ – ٢٦ شكرى سالم – القاهرة ١٩٥٨ – ص ٣٨ – عن: شاكر خصباك – تطور الفكر الجغرافى – الكويت – مكتبة الفلاح – ١٩٨٦ – ص ٢٩.

(٣) رينيه كولزبيه – تطور الفكر الجغرافى – ترجمة عبد الرحمن حميدة – دار الفكر – دمشق – ١٩٨٢ – ص ص ١٥ – ١٦.

(٤) علوى – المرجع السابق – ص ٢٦.

(5) Kellie and Howarkhi History of Geography, pp. 11 - 12.

(٦) علوى – المرجع السابق – ص ٣٠ – ٣١.

ولقد كانت مكتبة الإسكندرية القديمة – التى انشئت سنة ٢٩٥ قبل الميلاد على الأرجح – مجالا رحبا لتطور العلوم، ولم تقتصر على احتواء التراث الفكرى اليونانى فحسب، بل ضمت كثيرا من كتابات جميع الشعوب لتترجم إلى اللغة اليونانية آخر الأمر، وقد أمكن فى هذه المكتبة ولأول مرة – إرساء قواعد منهج البحث العلمى على أسس راقية فى علوم متعددة مثل الرياضيات والجغرافيا والفلك والطبيعة والطب.

(راجع: مصطفى العبادى – مكتبة الإسكندرية القديمة: سيرتها ومصيرها – المجلس الأعلى للآثار – القاهرة – ٢٠٢٢ – ص ١٠٢.

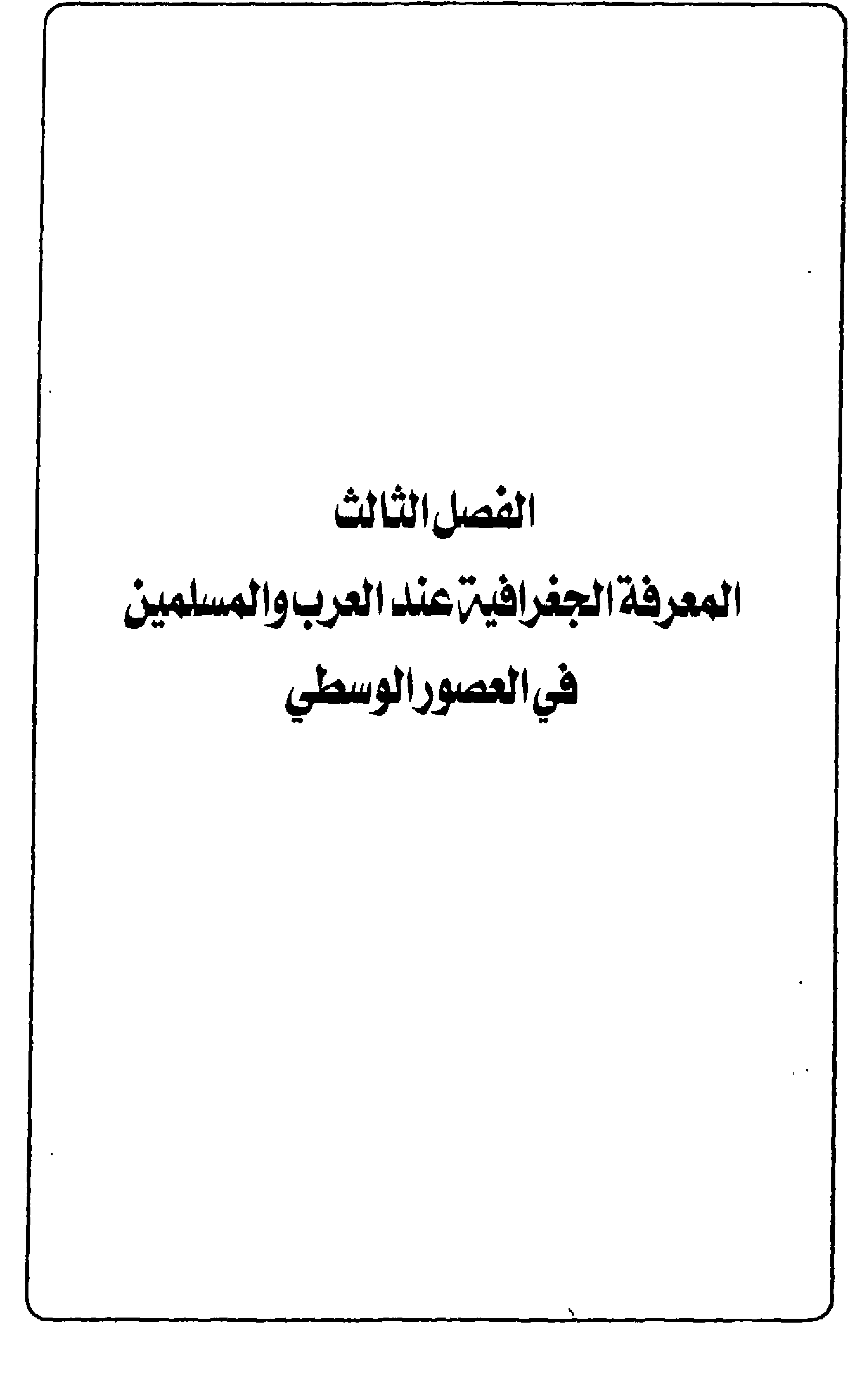
(٧) المرجع السابق – تعليق المعربين – ص ٣١.

(٨) تمت ترجمته إلى العربية فى عهد هارون الرشيد المأمون – وعدلت الترجمة بعد ذلك بواسطة ثابت بن قره.

(٩) المرجع السابق – ص ٣٣.

(١٠) المرجع السابق – ص ٣٧.

(١١) شاكر خصباك – تطور الفكر الجغرافى – مكتبة الفلاح – الكويت – ١٩٨٦ – ص ص ٧١ – ٧٢.



الفصل الثالث
المعرفة الجغرافية عند العرب والمسلمين في العصور الوسطي

الفصل الثالث

المعرفة الجغرافية عند العرب والمسلمين في العصور الوسطي

مقدمة

لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن فى هذا البحث هو هل استخدم العرب مصطلح – الجغرافيا – فى كتاباتهم الذاتية كما كانت سائدة من قبلهم منذ أن وضعها المفكر السكندرى إراتوستين فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. والواقع أن الجغرافيا عرفت عند العرب بأسماء عديدة منها «علم تقويم البلدان». وعلم «المسالك والممالك»، و«صورة الأرض»، «وصور الأقاليم»، وعلم عجائب البلاد، وعلم البلدان، وعلم الأطوال والأعراض، وعلم الأنواء (المناخ)، وعلم الهيئة (جغرافيا فلكية).

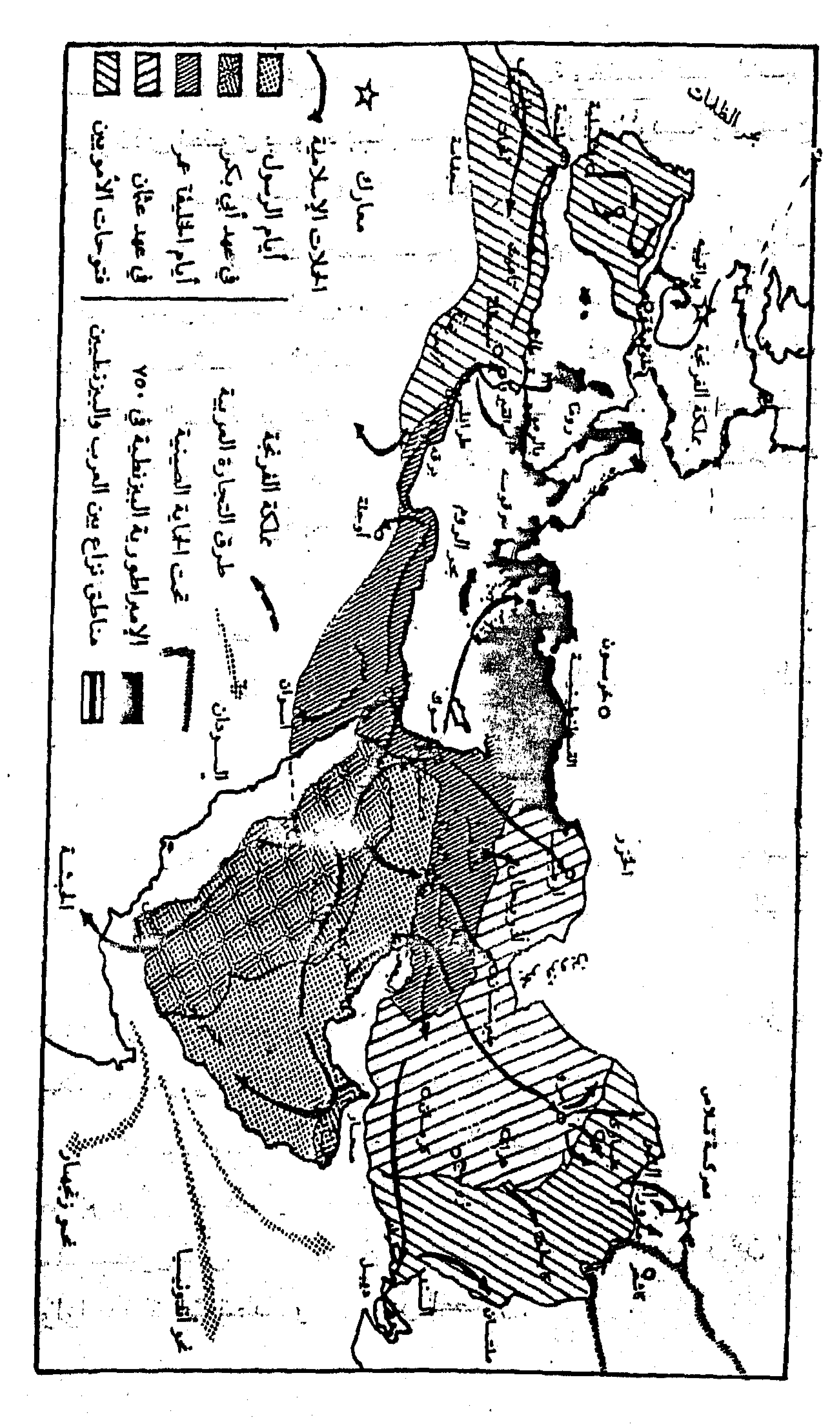
ومع ذلك فقد استخدم الجغرافيون المسلمون مصطلح (جغرافيا) للدلالة على خريطة العالم المعروف حينئذاك، مثل أخوان الصفا فى الرسالة الرابعة من القسم الرياضى [١]. – حيث قالوا: «رسالة وابعة فى جغرافية – يعنى صورة – الأرض والأقاليم» (*).، كما ذكر ابن خلدون فى مقدمته: «وصوروا فى الجغرافيا جميع ما فى المعمور من الجبال والبحار والأودية» [٢]، ويذكر ياقوت الحموى أن من قصد العمران من الفلاسفة والحكماء القدامى – ومنهم بطليموس سموا كتبهم فى ذلك (جغرافيا)، سمعت من يقوله بالعين المعجمة، والمهملة ومعناه صورة الأرض» [٣].

(*) أخوان الصفا – جماعة دينية فلسفية ظهرت بمدينة البصرة بالعراق فى بداية النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، ووضعت اثنتين وخمسين رسالة تناولت فروع العلم المختلفة.

وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية أن كلمة (جغرافيا) «وينطق أحيانا بفتح الجيم» – لم تستعمل للدلالة على علم الجغرافيا إلا متأخراً، واستعمل الجغرافيون المسلمون هذه التسمية علماً على كتاب بطليموس المعروف في الجغرافيا –واستعملت لأول مرة بمعنى الجغرافيا فى رسائل (أخوان الصفا)، على أنها أيضاً (صورة الأرض)، وظل هذا المعنى شائعاً فى العصور الوسطى ولم يصبح لهذه الكلمة المعنى الذى نعرفه اليوم من علم الجغرافيا إلا فى الأزمنة الحديثة (٤).

والتراث الجغرافى إسلامى أكثر منه عربى، فلم يكتب فى الجغرافيا إلا عدد قليل من الجغرافيين العرب، والجغرافيون الأفذاذ ليسوا عرباً – مثل الخوارزمى والاصطخرى وياقوت الحموى والبيرونى. أما أبرز العرب وهم قلة فمنهم المقدسى والمسعودى وأبو الفدا وغيرهم. وذلك رغم أن بعض الباحثين يلجأ إلى استخدام صفة العروبة فى مثل هذه الدراسات نسبة إلى لغة الكتب – لا إلى الأمة العربية – كما فعل «كارلو نلينو» فى دراسته عن علم الفلك وتاريخه عند العرب فى العصور الوسطى، وكراتكشوفسكى فى مصنفه (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) حيث تناول كل منهما علمى الفلك والجغرافيا عند المسلمين عامة معتمدين على ما كتب باللغة العربية (٥).

وقد ارتبط الفكر الجغرافى لدى العرب والمسلمين بعوامل أبرزها ظهور الإسلام وانتشاره من شبه جزيرة العرب إلى مناطق شاسعة لامست المحيط الأطلسى غرباً وسهول وسط آسيا شمالاً وحدود الصين شرقاً، (شكل رقم ٢) وواكب التوسع الأرضى فى دولة الإسلام تزايد فى المعرفة بعامة وإنفتاح على قبائل وشعوب وامصار شتى كانت مهمة لكثير من الجغرافيين العرب القدامى فى كتاباتهم الجغرافية المبكرة وصفا كان أو دراسة جغرافية سائدة.



(شكل رقم ٢ - ١)

خريطة توسع الدولة الإسلامية حتي سقوط بني أمية ٧٥٠ م

والمتأمل فى تطور الفكر الجغرافى العربى الإسلامى يدرك أنه كان لدى العرب منذ أقدم العصور معلومات مكتوبة عن الحضارات الأخرى المجاورة أو التى تعامل معها العرب على إمتداد تاريخهم الطويل، لذا كانت جغرافية ما قبل الإسلام مرتبطة مباشرة بمعاجم عامة احتوت كثيراً من البيانات الجغرافية فى المؤلفات الأدبية وخاصة فى الشعر الجاهلى والذى أحتوى بدوره إشارات عن الجبال والأودية والرياح والأمطار والمراعى والمساكن فى شبه جزيرة العرب.

وكما سبق القول فقد أعطى ظهور الإسلام دلالة أعرق للمعرفة الجغرافية عندما وفر للمسلمين فلسفة جديدة للحياة ونظم علاقات البشر ونشاطهم فقامت شعائره الدينية مثلاً على عناصر ذات طبيعة فلكية، وارتبط توقيت الصلاة اليومية بخط عرض المكان، وبالتوجه نحو مكة المكرمة (القبلة) مما تطلب فى النهاية معرفة فى جغرافية الفلك وظاهراته المختلفة. وقد ورد فى القرآن الكريم آيات عديدة تدعو إلى التأمل الجاد فى خلق الله فى المظاهر الطبيعية بصورة بلاغية رائعة مثل قوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل فى فلك يسبحون﴾ يس آية ٤٠، وكذلك الآية الكريمة ﴿إنا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾.

وبالإضافة إلى ذلك – فإن فريضة الحج على من استطاع إليه سبيلاً كانت وما تزال فرصة للتعرف على الدول والشعوب المختلفة، والتبادل التجارى بين الشعوب الإسلامية وغيرها – وكانت كل تلك الإشارات مما ورد فى القرآن الكريم وأركان الإسلام ذات تأثير كبير على الفكر الجغرافى الإسلامى والعربى وزيادة المعرفة الجغرافية فى العصور الوسطى.

وتعتمد دراسة التراث الجغرافى العربى والإسلامى على بعض المصادر

والروافد لعل أولها مؤلفات هؤلاء الجغرافيين أنفسهم وما كتبه علماء مسلمون آخرون عنهم، وتليها بعد ذلك دراسات المستشرقين الذى تناولوا هذا التراث تحليلاً وتقييماً عبر العصور.

مراحل المعرفة الجغرافية عند العرب:

ولم يكن لدى العرب فى بادىء الأمر من المعرفة الجغرافية إلا القليل جداً ولكنهم بقدراتهم العقلية والوجدانية استوعبوا الأقطار الجغرافية التى نشأت مع الحضارة القديمة التى اتصل بها العرب، وكانت عناية العرب الجغرافية وليدة ظروف البيئة إلى حد كبير، ذلك أن نشأتهم الأول كانت فى وسط يحتم عليهم أن يلموا ما وسعهم الإلمام بالمعلومات الجغرافية المختلفة، فقد ساعد تنقلهم فى صحاريهم الواسعة على معرفة الكثير عن النجوم والكواكب، يهتدون بها ويتخذون منها أدلة، وكذلك معرفة موارد المياه ومنابت الأعشاب.

وقد اشتملت أشعار العرب على كثير من الحقائق الجغرافية الخاصة بوصف بيئتهم الطبيعية حتى أصبح الشعر العربى القديم مصدراً هاماً من مصادر الكتابات الجغرافية الأولى، فهو غنى بالأعلام الجغرافية من أودية وابار، وجبال وتلال، ومعالم ورسوم. ونظرة سريعة فى المعلقات السبع أو العشر توضح مدى احتفال العرب بالمظاهر الجغرافية لبلادهم، وقد انتقلت هذه المعلومات الجغرافية من جيل إلى جيل على ألسنة الرواة، فقد كانت رواية الشعر من أهم ما عنى به العرب على مر العصور، ولذلك لم يكن غريباً أن نجد الجغرافية بين الفنون التى يشتغل بها اللغويون، وظلت هذه الصلة بين الجغرافية واللغة قائمة حتى عصر متأخر بعد ظهور الإسلام مثلما نجدها عند الأصمعى (القرن الثامن الميلادى) وهو من العارفين بجغرافية

بلاد العرب معرفة دقيقة، كما نجدها فى (تاج العروس) للزبيرى وهو من معاجم اللغة [1].

١-فجر المعرفة الجغرافية عند العرب:

ظهر الإسلام فى منتصف القرن السابع الميلادى، ولم يمضى على ظهوره قرنان حتى كانت الدولة الإسلامية قد اتسعت لتشمل مساحات فسيحة فى قارة آسيا وأفريقيا، وأدى هذا التوسع إلى زيادة أهمية المعلومات عن أطراف العالم الإسلامى، وأصبح من الضرورى الوقوف على أحوال البلاد التى فتحها المسلمون، ومعرفة الطرق التى تربط بين أجزاء هذه الدولة الشاسعة، والمسافات بين الأماكن بعضها وبعض، فقد كانت السياسة، والإدارة، والتجارة وما إليها تتطلب وصفاً دقيقاً للأمكنة والبقاع، وتفصيلاً لأحوال شتى الأقطار، وما تنتجه أرضها من غلات [2].

والواقع أن كثيراً ممن كتبوا عن جغرافية ديار الإسلام فى العصور الأولى لم يكونوا جغرافيين بالحرفة، بل إن التخصص فى الجغرافيا لم يعرف إلا فى عصر متأخر للغاية، وقد ظهرت المعلومات الجغرافية فى هذه المرحلة من خلال كتابات علماء اللغة – كما سبق القول – يدفعهم إلى ذلك الاهتمام بجزيرة العرب وباللغة العربية وبالشعر القديم، ومن أمثلة تلك الكتابات المبكرة مثل كتاب «الأمصار والبلدان» للجاحظ وكتاب «البلدان الكبير» وكتاب «البلدان الصغير» لهشام الكلبى. وكانت تلك الكتابات المبكرة هى ذكر مناطق الجزيرة العربية ومعالمها الطبيعية والبشرية وهى ليست فى الجغرافية الحقيقية بشىء وإنما هى إرهاصات جغرافية، أو فجر المعرفة الجغرافية العربية الإسلامية [3].

وقد شهدت هذه المرحلة - وخاصة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى اهتماماً كبيراً بالفكر الأجنبى، فقد ترجمت ثمار الفكر الهندى والإغريقى والرومانى إلى اللغة العربية، وتأثر هذا العصر تأثراً كبيراً بالمعرفة الإغريقية الرومانية وخاصة آراء بطليموس السكندرى Claudius Ptolomy الذى عرفه العرب باسم بطليموس القلودى وركزوا اهتمامهم على كتابه «الجامع» فى الفلك، وقد قام بترجمته الحجاج بن يوسف بن مطر (١٧٠ - ٢٢٠ هـ = ٧٨٦ - ٨٣٥م) تحت عنوان (المجسطى) بفتح الميم أو كسرها وبعدها جيم مكسورة ومعناه (الكتاب الأعظم) وأصلح من ترجمته ثابت بن قره الحرانى (٢١٩ - ٢٨٨ هـ = ٨٣٤ - ٩٠١م).

أما كتاب بطليموس الآخر (المدخل إلى الجغرافية) والذى عرفه العرب باسم (جغرافيا) فقد ترجم إلى العربية أكثر من مرة، وأشهر ترجماته تلك التى قام بها ثابت بن قرة، ثم ترجمه محمد بن موسى الخوارزمى (ت ٢٣٦ هـ = ٨٥٠م)، والذى استفاد منه فى وضع كتابه (صورة الأرض)، وهو كتاب يقول عنه «نللينو Nallino» أنه لا يوجد شعب أوربى واحد يستطيع أن يفخر بمصنف يمكن مقارنته بهذا الكتاب، الذى يعتبر أقدم أثر فى الجغرافية العربية، (وذلك رغم أن الخوارزمى لم يشتهر فى أوربا كجغرافى، وإنما قام صيته العريض على مؤلفاته فى الرياضيات حتى إن «سارطون» Sarton يعتبره «واحد من أكبر رياضى جميع العصور على الإطلاق، إذا أخذنا فى الاعتبار اختلاف الظروف»[٥].

٢- عصر الازدهار في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين):

كان الجزء الأخير من القرن الثانى الهجرى والعقود الأولى من القرن الثالث الهجرى (الثامن الميلادى والتاسع الميلادى) فترة إنتقالية من عصر

الظلام والخرافات إلى عصر النور والمعرفة العلمية، ويرجع ذلك إلى النمو السريع للقوة الفكرة والروح العلمية، وما ورثه العرب من علوم ودراسات فلكية هندية استفاد منها العرب فائدة كبرى، كما ترجم العرب مؤلفات فارسية إلى اللغة العربية عرفوا من خلالها كثيراً من الحقائق الفلكية التى أعانتهم على حسابهم خطوط الطول والجداول الفلكية، كذلك كان للتأثير الإغريقى الدور الأكبر حيث كان من أسس التفكير الجغرافى العربى المبكر، وقد وصلت معارف الإغريق للعرب بواسطة رهبان بلاد الرافدين، وترجمت كثير من الأعمال إلى العربية.

وقد تفتحت آفاق فكرية جديدة فى العصر العباسى حيث تم نقل العلوم اليونانية والفارسية الهندية على نطاق واسع، كما ترجمت كثير من المراجع أبرزها كتاب الجغرافيا لبطليموس - فى عهد هارون الرشيد (*) كما بلغت الترجمة من الإغريقية أوجها فى عهد الخليفة المأمون (**) وكانت المجهودات الكبيرة التى بذلها الدارسون فى هذا العصر الذهبى وراء استحواذ العرب على ثروة هائلة من المعرفة فى كثير من العلوم مثل الفلك والرياضيات والجغرافيا (٦).

وقد ترتب على توسع الدولة العربية والإسلامية فى مساحة مترامية الأطراف من العالم القديم اهتمام بالغ بجغرافية هذه الدولة الشاسعة المساحة، ولذا بدأت الكتابات الجغرافية فى إتجاه عمل جديد ابتداء من بدء القرن الرابع الهجرى. وأصبحت المعرفة الجغرافية فى خدمة متطلبات الدولة عسكرياً وإدارياً وإقتصادياً.

ومن هناك انتقت المصنفات الجغرافية الحقيقية التى يمكن اعتبارها (جغرافية وصفية) وإن كانت قد حملت أسماء مختلفة مثل «المسالك

(*) هارون الرشيد تولى الخلافة فى ١٧٠ هـ - ٧٨٦م.

(**) الخليفة المأمون تولى الخلافة فى ١٩٨ هـ - ٨١٣م.

والممالك» . وبدأت هذه الكتابات تعتمد على خبرة شخصية، وتوارت تدريجياً الثقافة الجغرافية الإغريقية، بل ضعف الإهتمام بها خاصة تلك المتعلقة بشكل الأرض وحجمها وأقاليمها السبعة، وابتعدت عن المنهج الرياضى الفلكى حتى يمكن القول بأن هذا العهد شهد انفصالاً بين علماء الفلك والجغرافيين أو بين الجغرافيا الرياضية والجغرافيا الوصفية(٧) .

والواقع أن مرحلة الازدهار الجغرافى العربى الإسلامى التى امتدت منذ بداية القرن الرابع الهجرى وامتدت حتى أوائل القرن السادس الهجرى تمثل قمة ما وصلت إليه الجغرافيا العربية من تطور، كما أنها تمثل الشخصية الحقيقية الناضجة الأصلية للجغرافيا العربية، فقد كانت معلوماتها تعتمد فى المقام الأول على الدراسة والمشاهدة والاختبار الشخصى، وكان معظم كتابها من الرحالة العلميين، ويأتى على رأس هؤلاء الجغرافيين العظام - ابن خرداذبة ، واليعقوبى والبلخى، والاصطخرى، وابن حوقل والمقدسى والمسعودى والادريسى.

وقد أدخل هؤلاء الجغرافيون تقليداً جديداً فى الكتابة الجغرافية العربية وهو استخدام (الخريطة) فى المتن لتوضيح التفصيلات الواردة فيه، وتمثل ذلك فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة وكتاب «الخراج» لقدامة ابن جعفر، وهما كتابان يعنيان بطرق المواصلات وبأطوالها، وبحالة الأمن فيها وذلك حتى يتعرف الحكام على أسماء المدن الهامة والطرق المؤدية إليها، وكذلك ليتعرفوا على طبائع السكان وتقاليدهم فى البلدان الجديدة . وكان الجغرافيون يطوفون البلاد الإسلامية شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ساعدهم فى ذلك التجانس فى العقيدة والدين بين أبناء تلك البلاد مما كان خير زاد معين لهم.

كما أسهمت التجارة فى إثراء معلومات الجغرافيين الرحالة بدرجة كبيرة، حيث ساعدتهم كثيراً فى تطوير معارفهم الجغرافية لهؤلاء الرودا - بل إن بعضهم كان يمارس التجارة فضلا عن هوايته العلمية(٨) .

٣- مرحلة الأفول:

بعد عصر الازدهار الذى شهده الفكر الجغرافى العربى الإسلامى على امتداد ما يربو على ثلاثة قرون – بدأت مرحلة الاضمحلال والأفول فى الفكر عامة والجغرافى على وجه الخصوص وارتبط ذلك بتفكك الدولة العربية الإسلامية وإنحلالها سياسياً ابتداء من بداية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)، فقد انصرف الحكام عن تشجيع العلم، وتقلصت رقعة الدولة الإسلامية الموحدة، وانقسمت إلى أمارات وممالك شبه مستقلة، ولم يعد الحكام فى حاجة إلى كتب جغرافية جديدة، ومن هنا لم تشهد هذه المرحلة جغرافيين كبار بالمعنى الحقيقى بل شهدت أنماطاً جديدة من الكتابات الجغرافية تمثلت فيما يعرف بالمعاجم الجغرافية – أو الموسوعات – أو الرحلات ، ولم يضف جغرافيو هذه المرحلة جديداً إلى العلم الجغرافى العربى بل اقتصرت مهمتهم على (الإقتباس) من مؤلفات السابقين وذكر أخبار الرحلات وعجائب الأقطار والأمصار.

وكان ظهور المعاجم الجغرافية فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) – بسبب انعدام الخلق الفكرى والاتجاه نحو وضع موسوعات ومعاجم لعل أبرزها.

١- ياقوت الحموى (معجم البلدان).

٢- أبو الفدا (تقويم البلدان).

٣- الادريسى (نزهة المشتاق).

وقد أصبح لهذه المعاجم الجغرافية أهمية كبرى فى تطور الفكر الجغرافى حيث أصبحت تمثل همزة الوصل بين اللغة العربية وبين علم الجغرافيا.

أما الموسوعات، فقد أصبحت هى الأخرى سمة لهذا العصر (خاصة فى القرن الثامن الهجرى) وكانت ذات أهمية كبرى لرجال الإدارة فى الأقطار

الإسلامية كما كانت فى الواقع مرايا لعصرها عند رصد تطور المعرفة الجغرافية عبر العصور. وتمثلت هذه الموسوعات فى عصر المماليك البرجية فى مصر والشام وكانت تتصف بالاحاطة والشمول وأبرزها ثلاثة:

١- النويرى (نهاية الأرب).

٢- ابن فضيل العمرى (مسالك الأبصار).

٣- القلقشندى (صبح الأعشى).

وقد ارتبط بهذه المرحلة نمط آخر فى الجغرافيا العربية سمى (بالإتجاه العجائبى)، وهو إتجاه قديم ظهرت آثاره المبكرة لدى ابن الفقيه الهمزانى وغيره من الكتاب الأوائل، ولعل أبرز أمثلة هذا الإتجاه:

١- القزوينى (أخبار البلاد وآثار العباد).

٢- الغرناطى (تحفة الألباب ونخبة الأعجاب).

٣- الدمشقى (عجائب الدهر).

وهذا الاتجاه مزج بين العلم والخرافة، وركز فى كتاباته على ذكر عجائب الطبيعية وظواهرها الجغرافية، بل كانت معلوماتهم تخرج عن حدود المنطق والعلم أحيانا إلى حدود الأسطورة والخرافة - مما أدى إلى إنحدار المعرفة الجغرافية انحدارا سريعا وتحولت إلى مايشبه الخطابات وإن كانت لا تخلو من معلومات جغرافية ذات قيمة بطبيعة الحال.

وقد شهدت هذه المرحلة من تاريخ الجغرافيا العربية اهتماما «بالرحلات» إلا أنها أخذت شكلا مغايرا عما كانت عليه فى القرن الرابع الهجرى حيث غلب على هذه الرحلات الجديدة الطابع الأدبى عموما. وكان حج بيت الله الحرام دافعا رئيسياً ورآء هذا النوع من النشاط الجغرافى حيث تهيأت للرحالة فرصة زيارة أقطار عديدة من ديار الإسلام فكتبوا مشاهداتهم عنها. واهتموا بالمزارات الدينية وسعوا إلى لقاء علماء الدين والمتصوفين، وجاءت

المعلومات الجغرافية فى كتاباتهم عرضية. ورغم ذلك فهناك رحلات حفلت بمعلومات انثروبولوجية واقتصادية هامة، ولعل رحلة (ابن جبير) أفضل نموذج على ذلك وإن كانت رحلة ابن بطوطة تتفوق عليها فيما اشتملت عليه من معلومات عن الأقطار الإسلامية فى وسط آسيا وجنوبا وشرقها. كما سيتبين فيما بعد.

ومنذ القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) بدأت شمس الجغرافيا العربية فى الأفول، ولم يظهر فى هذا القرن باللغة العربية سوى مصنفات تنتمى إلى ذلك النمط الذى يمكن تسميته (بالجغرافيا الملاحية) أو الجغرافيا البحرية والتى كان أبرز كتابها ابن ماجد فى كتابه (الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد) - والذى اشتمل على اثنتى عشرة فائدة تتناول الجانب العملى والنظرى لفن الملاحة وخاصة البحر الأحمر والخليج العربى والمحيط الهندى.

وما أن وافى القرن السادس عشر إلا وظهرت دولتان قويتان فى الشرق الأوسط هما الدولة العثمانية والدولة الفارسية، واضمحل الحكم العربى، حتى اختفت الكتابات العربية وحلت محلها كتابات جغرافية باللغة الفارسية أو باللغة التركية، ودخل العالم العربى والإسلامى مرحلة سبات عميق استمرت من أوائل القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر عندما بدأ الفكر الجغرافى العربى يعكس أصداء الفكر الأوربى الحديث بجوانبه المختلفة.

وبدأت مرحلة جديدة من مراحل المعرفة الجغرافية فى العصر الحديث مثلت الكشوف الجغرافية بداياتها المبكرة، ومن المصادفات التاريخية أن تبدأ الكشوف فى نهاية القرن الخامس عشر مباشرة (١٤٩٨) - بعد سقوط الأندلس بست سنوات فقط.

قائمة الهوامش:

(١) محمد محمود الصياد – من الوجهة الجغرافية: دراسة فى التراث العربى – جامعة بيروت العربية – بيروت – ١٩٧١ – ص ص ١١– ١٢ .

(٢) المرجع السابق – ص ١٢ .

(٣) شاكر خصباك – تطور الفكر الجغرافى – مكتبة الفلاح – الكويت – ط ١ – ١٩٨٦ – ص ٧٣ .

(٤) ضاع الأصل اليونانى للكتاب وبقيت الترجمة العربية، فلم نعرف الكتاب إلا فى القرن الثانى عشر الميلادى حينما نقله إلى اللاتينية جيرارد القرمونى فى سنة ١١٧٥م. ومع أن هذه الترجمة كانت من آيات فخار جيرارد فإنها لا تمثل إلا جانباً من عمله العظيم الذى يتصل بجميع العلوم وجميع المؤلفين الاغريق الذين عرفتهم النصوص العربية (محمد محمود الصياد – المرجع السابق – ص ١١٩).

(5) Sarton, G., "Introduction to the History of Science, Baltimore, 1946, vol. I. p. 563.

(٦) س. م. ضياء الدين علوى – الجغرافيا العربية فى قوانين التاسع والعاشر الميلادى (الثالث والرابع الهجريين) – تعريب وتحقيق: عبد الله يوسف الغنيم، وطه محمد جاد، قسم الجغرافيا جامعة الكويت – الكويت – ١٩٨٠ – ص ٤٥ .

(٧) شاكر خصباك – المرجع السابق – ص ٧٤.

(٨) المرجع السابق – ص ٧٦ .

الباب الثاني

الكشوف الجغرافية في العالم القديم

الفصل الرابع

الكشوف الجغرافية في أفريقيا

- الكشوف القديمة للقارة
- الرحالة العرب
- البرتغاليون في القرن الخامس عشر
- مرحلة الركود الكشفي (١٥٠٠ - ١٧٨٨)
- مرحلة الكشوف العظمى (١٧٨٨ - ١٨٨٨)
- كشف اقاليم القارة المختلفة

بالرغم من أن قارة افريقيا تعد من قارات العالم القديم، فإن الكشوف الجغرافية بها جاءت متأخرة، وظلت ردحاً طويلاً من الزمن تعرف بالقارة المظلمة Dark Continent وذلك لأن المعرفة الجغرافية لها اقتصرت على المناطق الساحلية بينما بقيت المناطق الداخلية غير معروفة حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين.

وقد كان تأخركشف افريقيا الداخلية راجعاً لعدة عوامل جغرافية حالت دون ذلك وأبرزها العوائق الطبيعية التى تتمثل فى الصحراء الكبرى وفى طبيعة أنهار القارة التى لم تسهم بدور كبير فى الكشف عن مجاهلها، فنهر النيل مثلاً لم يسمح بالتوغل نحو الجنوب أبعد من أسوان لاعتراض الجنادل لمجراه وإعاقتها الملاحة حتى الخرطوم، كما أنه إلى الجنوب من الخرطوم تشكل السدود فى نطاق بحر الجبل عائقاً آخر.

كذلك فإن الأنهار الرئيسية الأخرى فى القارة لم تخل من عوائق حالت دون استخدامها فى الكشوف الجغرافية أبرزها المساقط المائية كما هى الحال قرب مصب نهر الكونجو ووجود الغابات والمستنقعات التى يصعب اختراقها كما فى دلتا النيجر ويضاف إلى ذلك الظروف المناخية فى أفريقيا المدارية خاصة على ساحل غانا الذى وصف يوماً ما بأنه «مقبرة الرجل الأبيض».

وبالإضافة إلى هذه العقبات الطبيعية كانت هناك عوامل أخرى أخرت من نشاط الكشوف فى القارة مثل العداء الذى كان يضمره السكان الأصليون للرجل الأبيض بصفة عامة بسبب الحملات التى كان يشنها تجار الرقيق الأوربيون لاصطياد الزنوج فى فترة تجارة الرقيق التى ابتليت بها افريقيا المدارية، كذلك فإن «عصر الكشوف» لم تتوفر به الوسائل الحديثة للنقل أو التبريد أو الأودية والاغذية المحفوظة التى يعرفها العالم فى الوقت الحاضر، وقد جعل ذلك كله جهود المستكشفين والرحالة ضرباً من ضروب المخاطرة آنذاك.

الكشوف القديمة للقارة:

كان وادى النيل مهداً لأقدم حضارة عرفتها افريقيا، وقد عرف المصريون

القدماء معظم حوض النيل وسواحل البحر الأحمر حتى اثيوبيا، ولكن وقفت الصحراء الكبرى حائلاً أمام توغلهم نحو الغرب كما كانت سدود اعالى النيل حائلاً دون التوغل نحو الجنوب، وقد ارسلو بعثات اتجهت نحو جنوب البحر الأحمر كما نظموا رحلة فى عهد الملك نخاو (سنة ٦٠٠ قبل الميلاد) للدوران حول قارة افريقيا ابتداء من البحر الأحمر ونجحت فى ذلك وعادت بعد ثلاثة سنوات عن طريق مضيق جبل طارق.

وإلى الغرب من مصر وعلى امتداد سواحل البحر المتوسط نشط الاغريق فى معرفة الساحل خاصة من طرابلس حتى طنجة، وحوالى سنة ٥٠٠ ق.م. رحل الملاح القرطاجى هانو Hanno إلى ساحل غرب افريقيا حتى نهر السنغال.

وقد زار هيرودوت – المؤرخ الاغريقى المشهور – مصر فى سنة ٤٥٠ ق.م. وابحر صاعداً فى نهر النيل حتى الجندل الأول وسجل كثيراً من الظاهرات الجغرافية للمناطق التى زارها.

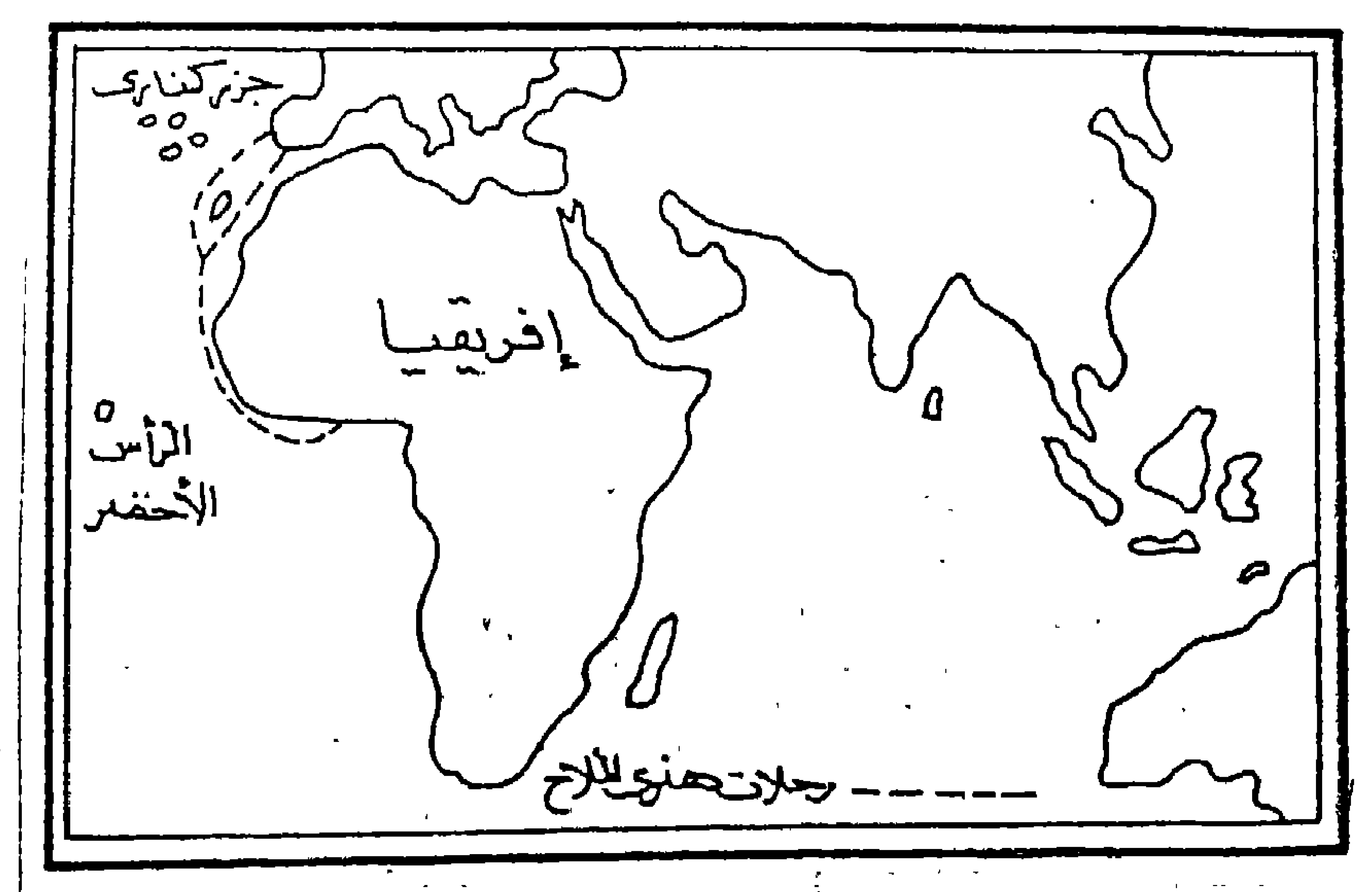
وفى القرنين الأول والثانى الميلاديين نشط الرومان فى كشف بعض مناطق شمال افريقيا ولكن لم يضيفوا كثيراً من المعارف عن داخل القارة، فقد أرسل الامبراطور نيرون بعثتين لكشف منابع النيل (سنتى ٥٤، ٦٨ ميلادية) ولكنهما لم يصلا إلى أبعد من منطقة السدود فى الغالب، وقد أوضح بطليموس فى خريطته عن العالم (١٥٠ ميلادية) بعض المظاهر عن نهر النيل حيث أظهر النيل الأزرق ينبع من بحيرة فى أثيوبيا والمنبع الرئيسى للنيل من جبال القمر فى مكان ما من افريقيا الاستوائية.

الرحالة العرب:

بدأ الفتح العربى لنشر الإسلام فى افريقيا فى القرن السابع الميلادى حيث اتجهت جحافل المسلمين نحو شمال القارة بادئة بمصر سنة ٦٤١ ميلادية ثم وصلت إلى شمال غرب القارة وغزت اسبانيا فى سنة ٧١١، وبالإضافة إلى ذلك فقد امتد نفوذ العرب ومؤثراتهم الثقافية إلى ساحل شرق افريقيا لمسافة بعيدة نحو الجنوب حتى زنجبار ومصب نهر الزمبيزى.

وقد اسهم الجغرافيون العرب بجهد كبير فى الكشف عن غموض اجزاء عديدة من قارة افريقيا خاصة فى الشمال والشرق، ومن أبرز هؤلاء جميعاً المسعودى (القرن العاشر الميلادى) والادريسى (القرن الثانى عشر) وابن بطوطة (القرن الرابع عشر)، وكانت ابرز جهودهم أنهم كانوا أول من ارتاد بعض المناطق الداخلية فى افريقيا.

ويعد ابن بطوطة واحداً من أعظم الرحالة العرب، فقد أبحر سنة ١٣٣٠ من عدن على امتداد ساحل شرق افريقيا وزار بريرة ومقديشيو وممباسا ولكوه (دائرة عرض ٨° جنوباً) حيث قابل هناك عرباً آخرين وصلوا بدورهم إلى صوفالا Sofala (دائرة عرض ٢٠° جنوباً)، إلا أن أهم رحلات ابن بطوطة كانت فى غرب افريقيا حيث بدأ رحلته من مدينة فاس فى سنة ١٣٥١ وعبر جبال اطلس واخترق الصحراء الكبرى ونجح فى الوصول إلى مملكة مالى الافريقية ثم سافر بعد ذلك إلى تمبكتو وجاو Goa سنة ١٣٥٣ وقد اعتقد أن نهر النيجر يتصل باعالى نهر النيل، ومن جاو عاد عبر الصحراء إلى مدينة فاس فى مراكش (شكل رقم ١).



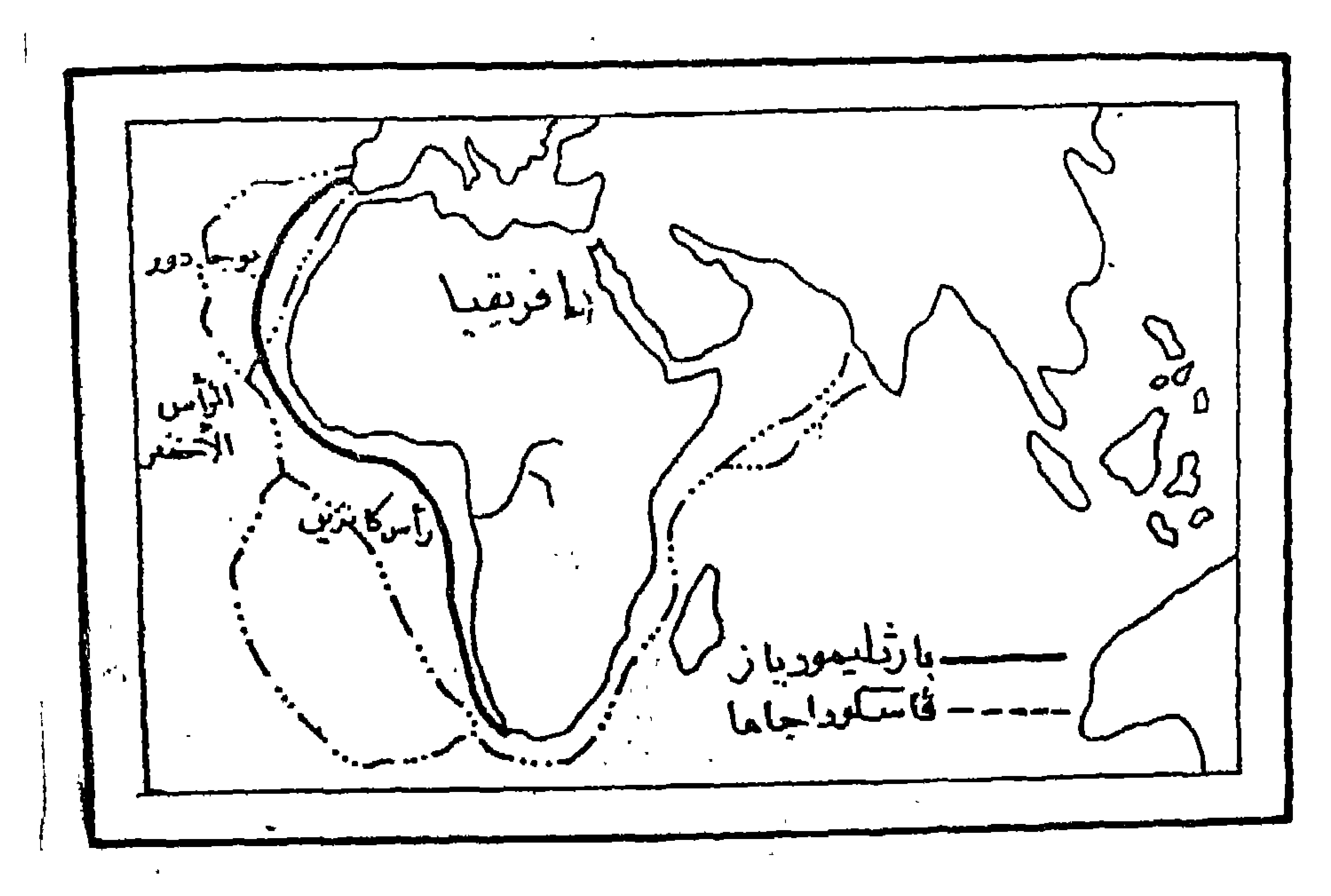
شكل رقم [١]

طريق الشرق حول أفريقيا

البرتغاليون في القرن الخامس عشر:

وصل البحارة البرتغاليون إلى الساحل الغربى لافريقيا فى الفترة من سنة ١٤٣٠ إلى سنة ١٥٠٠، وأبحروا جنوباً حتى الكاب ومنه إلى المحيط الهندى وكان الدافع الرئيسى وراء ذلك هو إيجاد طريق نحو الشرق الأقصى يحل محل الطريق البرى عبر اراضى الامبراطورية العثمانية الإسلامية، وقد وجد البرتغاليون صعوبات فى سبيل ذلك أبرزها التيارات البحرية والضباب على ساحل الصحراء الكبرى الجاف، ولكنهم استطاعوا فى سنة ١٤٣٤ أن يصلوا الى كيب بوجادور (Cape Bajador) (مقابل جزر كنارى) وبعد ذلك باثنتى عشرة سنة وصلوا إلى كيب فرد، كما تمكنوا تحت قيادة الأمير هنرى الملاح أن يصلوا إلى سيراليون فى سنة ١٤٦١ ثم إلى جزيرة فرنانـدبو سنة ١٤٧٢.

وقد أنشأ البرتغاليون على الساحل الافريقى محطات تجارية كانت فى الواقع أول نقاط الالتقاء التجارى بين غرب افريقيا واوربا وقامت هذه المحطات بعد ذلك بدور رئيسي فى تجميع الرقيق من القارة تمهيداً لتصديره إلى امريكا.



شكل رقم [٢] ب - طريق الشرق حول افريقيا

وقد وصل ديجو كاو Diego Cao إلى مصب نهر الكونغو فى سنة ١٤٨٢ ، وفى سنة ١٤٨٦ قام بارتلميوديياز Bartholomew Diaz برحلة ناجحة إلى المحيط الهندى، وكان بذلك أول من أوصل البرتغاليون إليه وكانت رحلته فريدة آنذاك، لأنه لم يبحر موازياً للساحل بل اتجه نحو المحيط الأطلسى الجنوبى حتى دائرة عرض ٤٠° جنوباً ثم اتجه شرقاً بمساعدة الرياح الغربية السائدة حتى وصل إلى خليج موسل Mossel فى سنة ١٤٨٨ ، ولكنه اضطر للعودة إلى لشبونة بعد تمرد البحارة.

ثم جاء بعد ذلك فاسكوداجاما Vasco da Gama سنة ١٤٩٧ والذى يعد أول من وصل إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، فقد بدأ رحلته متخذاً طريقه الجنوب فالجنوب الشرقى من سيراليون، وابحر لمدة ثلاثة شهور بعيداً عن اليابس واستدار نحو الشرق عند دائرة عرض ٣٣° جنوباً ووصل إلى ساحل افريقيا عند خليج سانت هيلانة شمال كيب تاون فى سنة ١٤٩٨ ثم اتجه إلى ساحل ناتال ثم إلى خليج دلاجو وميناء مالبندى فى موزمبيق ومنها أبحر نحو الهند (معتمداً على المعرفة البحرية للعرب) وعبر المحيط الهندى فى اتجاه الرياح الجنوبية الغربية ليصل إلى الهند فى مايو سنة ١٤٩٨ ، ثم يعود بعد ذلك من نفس الطريق إلى مالبندى وراس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٩٩ ، وبذلك تمكن البرتغاليون من الوصول للهند وأنشأوا محطات تجارية عديدة على الطريق الملاحى اليها.

مرحلة الركود الكشفي فيما بين سنتي ١٥٠٠ - ١٧٨٨:

تميزت السنوات التى تلت رحلة فاسكوداجاما، وبالتحديد فى الفترة بين سنتى ١٥٠٠ إلى ١٧٨٨ – بركود حركة الكشوف الجغرافية فى افريقيا، ومع ذلك فقد بدأت دول اوربية عديدة خاصة بريطانيا وفرنسا وهولندة فى منافسة البرتغاليون بانشاء المحطات التجارية على الساحل الغربى لافريقيا، وتركزت هذه المحطات فى النطاق الساحلى دون أن تجرو على التوغل (داخل القارة المظلمة)، وكان ابرز نشاط لمحطات ساحل غرب افريقيا من غانا حتى انجولا

تجميع الافريقين وشحنهم رقيقاً إلى الامريكتين، واستمر الوضع هكذا حتى سنة ١٧٨٨ عندما تأسست الجمعية الافريقية Association African في لندن في نفس السنة والتي كان لها فضل كبير في تنظيم عمليات الكشوف الجغرافية لافريقيا من حيث تخطيط وتمويل كثير من المستكشفين الانجليز والألمان وغيرهم.

على أن مرحلة الركود هذه لم تخل من بعض الكشوف التي شهدتها بعض مناطق في القارة كان أبرزها جنوب افريقيا من ناحية وشرق افريقيا من ناحية أخرى، وقد ارتبطت الكشوف الجغرافية في جنوب القارة بالتغلغل نحو الداخل حيث عرف البرتغاليون منطقة الكاب مبكراً منذ سنة ١٤٨٦ وأسسوا بعض المواضع على الساحل كموان لخدمة تجارتهم على طريق الملاحة نحو الهند. وكانت هذه المراكز العمرانية المبكرة مؤقتة، ومع تدهور السيطرة البرتغالية بقيت اسماؤها فقط، ولكن نشط البرتغاليون في التوغل نحو الداخل في موزمبيق وانجولا واتجهوا من مصب نهر الزمبيري حتى اعاليه، وصلوا إلى الطرف الجنوبي لبحيرة نياسا في سنة ١٦١٦. ولم يأت عام ١٦٥٢ حتى بدأ اقليم الكاب يشهد نشاطاً هولندياً مشابهاً لنشاط البرتغاليين، وقد أسس الهولنديون موان على طريق جزر الهند الشرقية ايضاً، وأصبحت قلاعهم نويات للاستيطان الابيض في هذا الاقليم ثم مالبثت أن تأسست مستعمرة هولندية لتموين هذه النويات والسفن الهولندية العابرة، ونمت مستعمرة الكاب الصغيرة حتى أصبح عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة في سنة ١٧٧٠ ورغم قلة هذا العدد فإن اثره كان عميقاً في هذه المستعمرة.

وقد كان التقدم الكشفي في جنوب افريقيا بطيئاً حيث واجهت المستعمرة الهولندية مشكلات متعددة شغلت المستوطنين وشركة الهند الشرقية الهولندية التي كانت تحكمهم، وتركز معظم المستوطنيين في السهول الساحلية والأودية، وكان السكان الأصليون لمستعمرة الكاب قليلي العدد يتكونون من البوشمن والهوتنتوت، وما لبث أن تراجعوا نحو الصحراء في الداخل بينما عمل والهوتنتوت كرقيق في المستعمرة الهولندية.

ولم يقم الهولنديون بمحاولات للكشف الجغرافي إلا فى سنة ١٧٥٢ عندما اقلعت بعثة فى الاتجاه الشرقى من مدينة الكاب وكشفت خليج موسل Mossel وعبرت نهر جريت فش Gt. Fish إلى منطقة تشغليها قبيلة اكسوازا Xosa احدى قبائل زنوج البانتو القوية الشكيمة والمحبة للحرب، وبدأ بعض التبادل التجارى بينهما ولكن مالبث المنازعات أن نشبت بين الطرفين بعد ذلك.

وكان البحث عن الذهب من أسباب اتجاه الهولنديين نحو الشمال، وكذلك العاج والنحاس الذى كان الهوتنتوت يستعملونه بأسلوب بدائى، وقد عبر الهولنديون الجزء الأدنى من نهر الأورنج سنة ١٧٧٨ ودخلوا منطقة ناماكوا لاند والتى تعرف اليوم بجنوب غرب افريقيا (أو ناميبيا).

وفى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر بدأ النفوذ الهولندى يتدهور فى جنوب افريقيا نتيجة الأوضاع السياسية فى أوروبا، فقد شهدت تلك القارة الحروب النابوليونية التى اشتعلت منذ سنة ١٧٩٥ واستولت فرنسا على هولنده سنة ١٧٩٦ ووضع ذلك نهاية لشركة الهند الشرقية الهولندية بل وأصبح المستوطنون البوير (بوير بالهولندية تعنى فلاح) فى طى النسيان فى الواقع، وبعد ذلك بقليل احتلت بريطانيا مقاطعة الكاب بعد أن بدأت تتدخل فى الهند وذلك لحماية الطريق البحرى الى مستعمراتها الجديدة فى الشرق.

أما فى شرق افريقيا فقد قام جيمس بروس J. Bruce فى الفترة من ١٧٦٨ – ١٧٧٢ برحلة من مصر إلى مصوع عن طريق البحر الأحمر ثم اتجه نحو الداخل إلى قندار عاصمة الحبشة انذاك ووصل إلى منابع النيل الأزرق وكشف بحيرة تانا واعتقد فى البداية انها المنبع الوحيد لنهر النيل، ثم ابحر هابطاً فى النيل الازرق حتى اتصاله مع النيل الابيض عند الخرطوم وعاد إلى مصر عبر الصحراء النوبية.

مرحلة الكشوف العظمي لافريقيا (١٧٨٨ - ١٨٨٨):

سبق القول بأن مرحلة الكشوف العظمى لافريقيا بدأت بإنشاء الجمعية الافريقية فى لندن سنة ١٧٨٨ وذلك بهدف تطوير النشاط الكشفى والمعرفة

الجغرافية للقارة، وقد واكب ذلك إلغاء تجارة الرقيق فى أوائل القرن التاسع عشر وبدأ اهتمام الأوربيين بداخل القارة الافريقية وتحرك اد ماعهم للسيطرة عليها وتقسيمها، وبدأ المستكشفون الأوربيون يفدون إلى القارة بأعداد قليلة زادت فى منتصف القرن التاسع عشر، ثم مالبث الكشوف ان اصبحت عملية منظمة بعد ذلك (شكل رقم ١).

١- كشف النيجر:

كانت مشكلة النيجر أولى المشكلات التى أولتها جمعية افريقيا اهتماماً كبيراً حيث كان الغموض يكتنف هذا النهر ولم يكن يعرف عنه إلا القليل، كما كان مجالاً لكثير من الافكار الخاطئة، ومن الجدير بالذكر ان هيرودوت وابن بطوطة اعتقدا أنه جزء من نهر النيل وينبغ من الغرب نحو الشرق ولكن حتى سنة ١٧٨٨ كان لا يزال هناك جدل قوى انه يسير فى اتجاه معاكس لذلك.

ولقد أرسلت الجمعية الافريقية شاباً المانياً يدعى فردريك هورنمان F. Horne-man لمحاولة القيام برحلة من القاهرة إلى فزان عبر الواحات الواقعة على دائرة بفزان ومنها اتجه الى بورنو Bornu على نهر النيجر حيث يعتقد أنه مات هناك، وكان أول أوربى معروف استطاع عبور الصحراء الكبرى إلى نهر النيجر.

وقد تبعه فى حل مشكلة النيجر مونجوبارك Moungo PArk – وهو واحد من أعظم الرحالة الذين شهدتهم افريقيا، وقد بدأ رحلته فى يونيو ١٨٩٥، ونزل على ساحل غرب افريقيا عند مصب نهر غامبيا وبقى هناك عدة شهور درس خلالها اللغات المحلية ثم التحق بمجموعة من تجار الرقيق متوغلاً نحو الداخل متتبعاً مجرى نهر غامبيا حتى بيسانيا Pisaina وواصل سيره نحو الشرق خلال مغامرات خطيرة (وقع فى الأسر عند بعض القبائل ولكنه تمكن من الهرب) ووصل إلى بلدة سيجو Segu على نهر النيجر فى يوليو ١٧٩٦، وبهره النهر وذكر بانه «واسع كنهر التيمز عند وستمنستر ويتهادى منساباً فى اتجاه الشرق».

وقد عاد بارك من نفس الطريق ولم يستطع أن يؤكد أو يتحقق من شئ عن مصب نهر النيجر، وأن كان قد أكد انفصال نهر غامبيا عن النيجر، وقد جمع



شكل رقم [٣]

كشوف نهر النيجر وغرب أفريقيا

معلومات ذات قيمة فى رحلة العودة خاصة عن رياح الهرمتان الصحراوية المحلية وتأثيرها على وظائف اعضاء الجسم، كذلك فقد صاحب فى عودته قافلة لتجارة الرقيق ووصف ما يعانيه هؤلاء العبيد من صنوف الهوان وصفاً دقيقاً وانسانياً اثار مشاعر الأوربيين وحفزهم نحو الغاء تجارة الرقيق فيما بعد.

وعند عودة بارك إلى انجلترا قوبلت نتائج رحلته باهتمام كبير مما حفز الجمعية الافريقية لتمويل القيام برحلة اخرى، وعاد بارك مرة أخرى سنة ١٨٠٥ بادئاً رحلته من جزيرة جورى (دكار) عبر السنغال وغامبينا إلى النيجر عند سيجو وكانت هذه الرحلة سيئة الحظ منذ البداية حيث بدأ عدد افرادها فى التناقص بسبب المرض والوفاة (كان بارك يصطحب معه عدة فنيين و ٣٥ جندياً لم يصل منهم معه إلى النيجر سوى ٤ فقط)، وقد اظهرت التقارير التى كتبها الرحالة الذين جاءوا فيما بعد - أن بارك لقى متاعب جمة خاصة من السكان الأصليين الذى وصل عداؤهم حداً جعله ورجاله يلوذون بالهرب فى قوارب غرقت بهم عند جنادل بوسا Bussa فى نهر النيجر سنة ١٨٠٦ .

وفى سنة ١٨٩٤ اتجه رحلة فرنسى هو رينيه كاييه Callie Renue إلى السنغال وتعلم اللغة المحلية وبقى هناك ثلاث سنوات اتجه بعدها إلى النيجر حتى كابارا Ka-bara - ميناء تمبكتو - ثم عبر الصحراء، حتى وصل إلى طنجة، وقد اعتبرت رحلته من الانجازات الهامة ورحبت بها الجمعية الجغرافية الفرنسية التى كانت قد تأسس حديثاً.

وفى السنة التالية عبر الصحراء من طرابلس كل من كلابرتون (Clappertorn، ودينهام Denham، واودنى Oudney)، واكتشفوا بحيرة تشاد واثبتوا أنها لا تتصل بنهر النيجر، ومات أودنى اثناء الرحلة وواصلها الاخران حتى وصلا إلى بورنو Bornu على النيجر واكتشفا المنطقة حولها ووصل كلابرتو إلى سوكوتو Sokoto .

وقد عاد كلابرتون إلى انجلترا، ولكنه مالبثت أن اتجه الى افريقيا مرة أخرى بعد فترة وجيزة مصطحباً رتشارد لاندر Lander ونزل قرب لاجوس Lagos بغرض كشف النيجر، ووصل إلى بوسا واحاط ببعض التفاصيل عن موت بارك واتجه إلى

سوكوتوا حيث توفى متأثراً بالحمى، وعاد لاندر إلى الساحل وابحر إلى انجلترا وكتب تقريراً عن انجازات كلابرتون.

وقد تمكن «لاندر» من القيام برحلة اخرى إلى النيجر للوقوف على جزئه الأدنى ومصبه وذلك فى سنة ١٨٣٠ واستغرقت ثلاثة شهور ليسافر من الساحل إلى بوسا على النيجر ومن هناك استقلت بعثته قوارب متجهة مع تيار النهر حتى وصلت إلى دلتا النيجر بعد شهرين. وهنا بعد أن تحقق الغرض الذى ذهبت من أجله أرواح رحالة سابقين - كانت حياة افاد بعثة لاندر معرضة للخطر ورفاقه حتى وجدوا طريقهم إلى احدى السفن البريطانية وكافأتهم الجمعية الجغرافية الملكية التى كانت قد تأسست انذاك وادمجت بها الجمعية الافريقية.

٢- وسط وجنوب افريقيا:

وهكذا حلت اخيراًمشكلة النيجر، ولكن فصلاً جديداً ومثيراً فى كشف افريقيا اشرف على الظهور وهو كشف وسط افريقيا - وقد تميزت معظم الكشوف هنا كما فى جنوب افريقيا بانها تمت على يد علماء طبيعة قبل أن تبدأ على أساس منهجى منظم، وفى سنة ١٨١٢ امكن تتبع مجرى نهر الأورنج بدقة، وكذلك اكتشف منابع نهر اللمبوبو، وتم فتح بتشوانا لاند، وبدا التقدم نحو التقدم نحو جنوب غرب افريقيا، وكان ذلك كله نتاجاً لجهود كثير من الرحالة والمستكشفين يتسع الحديث عن كل منهم بمفرده ولكن اعمالهم الجماعية كانت خطوة هامة فى طريق المعرفة الجغرافية للقارة.

ويعد دافيد لفنجستون D. Livingstion أعظم رحالة ومستكشف عرفته أفريقيا فى العصر الحديث، وقد كانت جهوده على قدر كبير من الأهمية حيث ازاحت الكثير من الغموض عن طبيعة وسط القارة وإمكانياتها، وكان له أثر كبير فى تشجيع الكشوف التالية بل فى التطور السياسى لهذا الجزء من القارة.

وقد وصل لفنسجتون إلى جنوب أفريقيا سنة ١٨٤١ وعبر مستعمرة الكاب

إلى بتشوانا. ثم بدأ أولى رحلاته الهامة فى سنة ١٨٤٩ وعبر خلالها صحراء كلهارى وكشف فى هذه الرحلة بحيرة نجامى Ngami، وفى سنة ١٨٥١ وصل إلى نهر الزمبيرى الأعلى، وفى سنة ١٨٥٣ تتبع مجرب نهر الزمبيرى صاعداً فيه، وعبر خط المياه بينه وبين نهر الكونغو حتى وصل إلى لواندا على الساحل الغربى ومن ثم عبر منطقة واسعة من افريقيا لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت وكان العالم كله يتابع كشفه بإعجاب ثم عاد مرة أخرى وعبر القارة متتبعاً مجرى نهر الزمبيرى حتى مصبه على ساحل المحيط الهندى، وقد اكتشف خلال تلك الرحلة مساقط فكتوريا فى سنة ١٨٥٥ والتى أطلق عليها هذا الإسم تيمناً بالملكة فكتوريا.

وفى الجزء الأخير من رحلته فى حوض الزمبيرى أخترق لفنجستون منطقة مونوموتابا Monomotapa (روديسيا الحالية) حيث كان البرتغاليون يقومون بتجارة الذهب وجنوا ثرورة طائلة ولكنه لاحظ أن معظم مناجمه قد تدهورت وبإتجاهه شرقاً لاحظ لفنجستون أن الظروف المناخية يتزايد تأثيرها السئ على الصحة وأن تهديد ذبابة تسى تسى يصبح خطيراً، وبعبوره القارة أكد بما لا يقبل الجدل أن وسط افريقيا ليس صحراوياً كما كان يعتقد من قبل.

وفى الفترة من (١٨٥٩ - ١٨٦٤) صعد لفنجستون نهر الزمبيرى مرة أخرى فى سفينة واكتشف نهر شيرى وبحيرة نياسا وقام بارتياد منطقة جنوب وغرب البحيرة ومنطقة نهر روفوما، وقد لاقى فى منطقة نياسا معاملة عدائية من قبل السكان الأصليين وذلك لأن تجارة الرقيق زرعت فى نفوسهم الشك فى أى رجل أبيض، ومع هذا فقد تغلب مجهوده على هذا العداء، وفتح المنطقة للبعثات التبشيرية وتبع ذلك نشاط تجارى ومشروعات متعددة اعقبها تأسيس مستعمرة نياسا لاند.

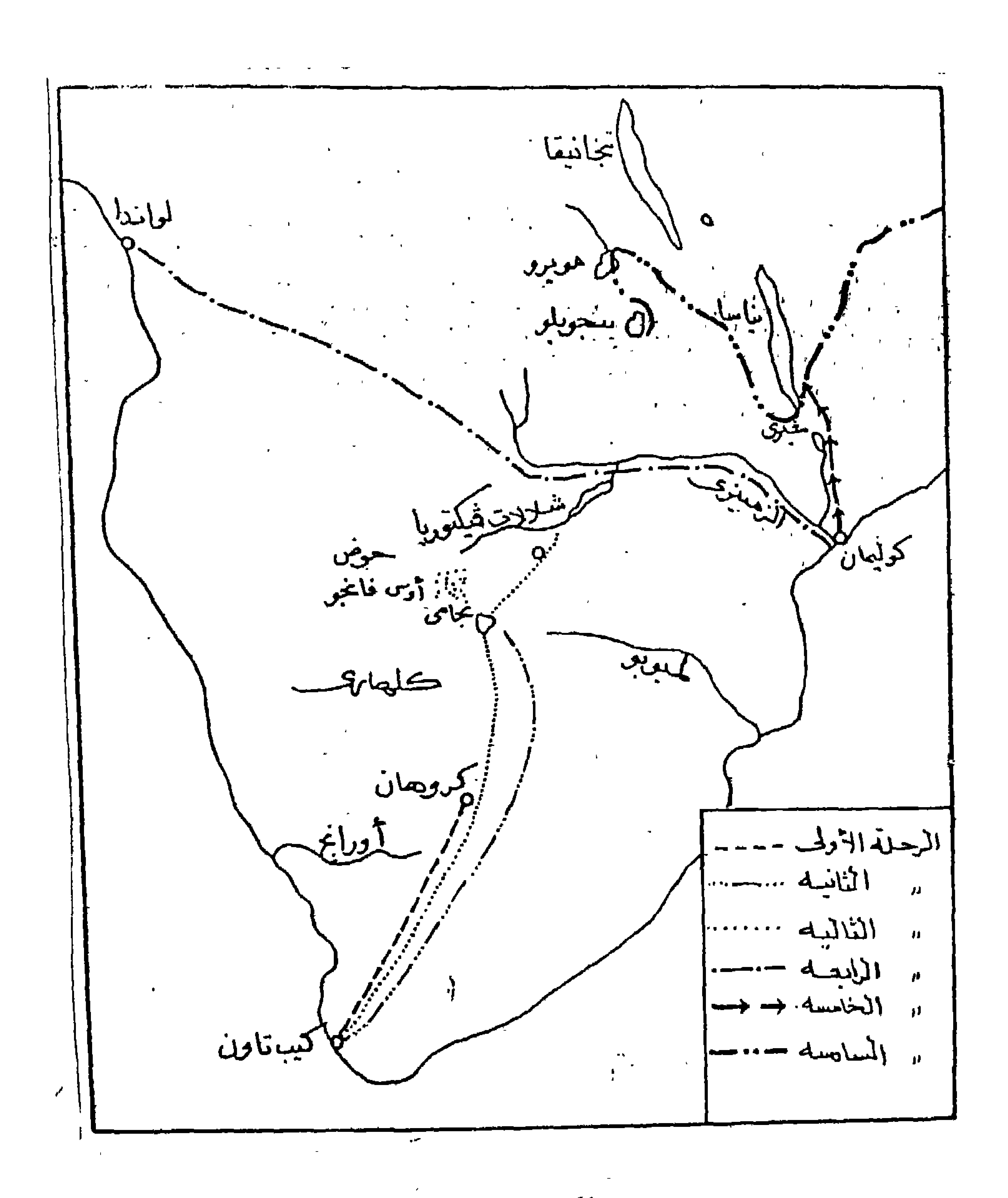
وفى رحلته الأخيرة فيما بين (١٨٦٦ - ١٨٧٣) حاول لفنجستون أن يحدد منبع نهر النيل، وقد بدأ الرحلة من زنجبار سنة ١٨٦٦ إلى نهر روفوما ثم بحيرة نياسا وواصل سيره شمالاً على طول ساحلها حتى وصل إلى بحيرة

تنجانيقا فى ابريل ١٨٦٧ ثم قضى ثلاث سنوات بعد ذلك متجولاً فى القارة اكتشف خلالها بحيرة مويرو Mweu وبحيرة بنجويلو Bangwelo ثم عاد إلى أوجنجي على بحيرة تنجانيقا ثم عبر البحيرة واكتشف عام ١٨٧١ نهر لوالابا (الكونغو الأعلى) ، وقد اعتبره العالم الخارجى فى عداد المفقودين انذاك، وارسلت جريدة النيويورك هيرالد فى سنة ١٨٧١ السير هنرى ستانلى H. Stanley لتقصى اخباره والبحث عنه، وكان اللقاء التاريخى بين الاثنين على ضفاف بحيرة تنجانيقا فى اكتوبر من نفس السنة، وقد بدأ الاثنان فى اختبار الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا فى اكتوبر من نفس السنة وقد بدأ الاثنان فى اختبار الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا لمعرفة ما إذا كانت متصلة بنهر النيل، ولكن ستانلى عاد بعد ذلك إلى الساحل الشرقى واصر لفنجستون على استمرار كشف غموض النيل بمفرده وذهب إلى بحيرة بنجويلو حيث وافته المنية فى ٣٠ ابريل سنة ١٨٧٣ وحمل اصدقاؤه الافريقيون جثمانه آلاف الأميال حتى زنجبار حيث نقل إلى انجلترا ودفن بتكريم عظيم بعد أن اسهم بجهد كبير للكشف عن غموض جنوب ووسط القارة.

كشف حوض الكنغو:

سبق القول بأن دييجو كاو وصل إلى مصب للكونغو فى سنة ١٤٨٤ ، وقد ظن مونجو بارك - بعد ذلك بثلاثة قرون أنه كان مصب نهر النيجر، ولكن ستانلى Stanley حسم هذه المشكلة فى سنة ١٨٧٧ عند بدأ رحلته من شرق افريقيا واكتشف فيها جبل رونزورى وبحيرة ادوارد - واتجه إلى بحيرة تنجانيقا واستمر غرباً إلى أعالى نهر الكونغو وسار فى النهر هابطاً معه فى بعثة مكونة من ١٨ قارباً حتى نجح فى الوصول إلى المصب.

أما روافد نهر الكونغو الرئيسية والأنهار المجاورة فقد تم كشفها فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، فقد اكتشفت مارى كنجزلى نهر بح ضمن افريقيا الاستوائية الفرنسية فيما بعد - وجاء برازا سنة ١٨٨٠ واخترق وادى اوجوى إلى الكونغو (سميت برازافيل على اسمه)، أما نهر كاساى فقد حدده



شكل رقم (٤)

رحلات دافيد ليفنجستون

فيسمان (١٨٨٠ – ١٨٨٢) الذى بدأ رحلته من لواندا إلى كساى ثم نيانجوى على الكونغو ثم عبر بحيرة تنجانيقا ووصل للساحل الشرقى ويكون بذلك أول من اخترق القارة من الغرب إلى الشرق.

وهكذا – ما أن وافى العقد الأخير من القرن التاسع عشر حتى تم كشف افريقيا – باستثناءات قليلة – وتحددت ملامحها العامة فى التصريف النهريف والتضاريس وبعض المظاهر البشرية. ويرجع الفصل الكبير فى ذلك إلى لفنجستون وسبيك وستانلى. وفى السنوات القليلة التالية تم كشف معظم الاجزاد الباقية فى القارة فى مناطقها الداخلية.

٣- كشف منابع النيل:

بذلت محاولات كثيرة للوصول إلى منابع النيل، كان ابرزها رحلة جيمس بروس التى سبق الاشارة اليها فى الفترة ١٧٦٩ – ١٧٧٢ من مصوع إلى قندار فى الحبشة وكشف خلالها بحيرة تانا وأبحر فى النيل الأزرق هابطاً حتى التقائه بالنيل الأبيض عند الخرطوم ثم عاد بعد ذلك إلى مصر عبر الصحراء النوبية.

وفى القرن التاسع عشر بذلت جهود كبيرة لكشف منابع النيل والوصول إليها من اتجاهات متعددة، فقد ارسل محمد على بعثتان عسكرية لاختراق منطقة السدود فى اقليم بحر الجبل ونجحت البعثة الأولى فى سنة ١٨٣٩ فى الوصول جنوباً حتى دائرة عرض ٣٠ و ٦ درجة شمالاً، ثم تمكنت بعثة تالية سنة ١٨٤١ من الوصول إلى نقطة ابعد قليلاً نحو الجنوب من البعثة الأولى، أما البعثة الثالثة والأخيرة فقد أرسلت فى سنة ١٨٤٢ ونجحت فى الوصول إلى غندكرو جنوباً – على دائرة عرض ٤٢ ،٢° شمالاً، وقد اعتبر ذلك دفعة قوية فى الوصول إلى كشف غموض منابع النيل. وقد وصف الجغرافيون والعلماء المصاحبون لهذه البعثة المناطق التى اخترقوها بتفصيل مفيد خاصة المنطقة بين الخرطوم وغندكرو.

وفى سنة ١٨٤٨ قام ريمان Repman، وكرابف Kraph الألمانيان بكشف

جبل كلمنجارو، ثم جبل كينيا فى السنة التالية، وجمعاً قدراً كبيراً من المعلومات عن البحيرات الكبرى - والتى اشعلت حماس المستكشفين الاخرين ومنهم سير رتشارد بيرتون R. Burton الذى وفد إلى شرق افريقيا سنة ١٨٥٥ - وكان ملماً باللغة العربية وتعاليم الديانة الإسلامية وعادات المسلمين مما ساعده كثيراً فى رحلاته التي بدأت برحلته من زيلع إلى هرر.

وفى سنة ١٨٥٦ التحق بيرتون ببعثة كشفية يقودها جون سبيك Sepke بدأت من زنجبار على الساحل الشرقى واتجهت على طول طريق القوافل الى بحيرة تنجانيقا بمساعدة التجار العرب واكتشفا بحيرة تنجانيقا فى فبراير سنة ١٨٥٨، وقاما ببعض المسوح الجغرافية لطرفها الشمالى، ونظراً لمرض بيرتون - رحل سبيك بمفرده إلى الشمال حيث اكتشف بحيرة فكتوريا - اكبر بحيرات افريقيا - فى اغسطس ١٨٥٨، ثم عاد إلى بيرتون واصطحبه إلى الساحل الشرقى حيث ابحرا إلى انجلترا.

وقد أثار كشف بحيرة فكتوريا اهتماماً كبيراً لدى الجمعية الجغرافيا الملكية بلندن التى مولت رحلة ثانية بقيادة سبيك ايضاً وصحبه فيها جرانت Grant وكان هدفها الرئيسى التحقق من اتصال بحيرة فكتوريا بنهر النيل، وقد رحلا سنة ١٨٦٠ من باجامايو (على الساحل الشرقى مقابل زنجبار) واتجها إلى بحيرة فكتوريا، ثم شمالاً بمحازاة ساحلها الغربى والشمالى واكتشفا نهر كاجيرا Kegera أحد الروافد الرئيسية لبحيرة فكتوريا - ثم اكتشفا مخرج النيل من البحيرة فى سنة ١٨٦٢ ثم سارا مع النهر حتى غندكرو حيث التقيا هناك بالسير صمويل بيكر الذى وفد خصيصاً من الخرطوم لمساعدتهما.

وقد أسهم سير صمويل بيكر بدوره فى كشف منابع النيل حيث كان رحالة ممتازاً واشعل تقرير سبيك عن البحيرات العظمى حماسة ولذلك بدأ رحلته إلى اعالى النيل حتى اكتشف بحيرة البرتسنة ١٨٦٤ ثم اكتشف بعدها شلالات مرشيزون.

وبعد ذلك قام ستانلى Stanley الذى عاد الى افريقيا سنة ١٨٧٤ (فى السنة

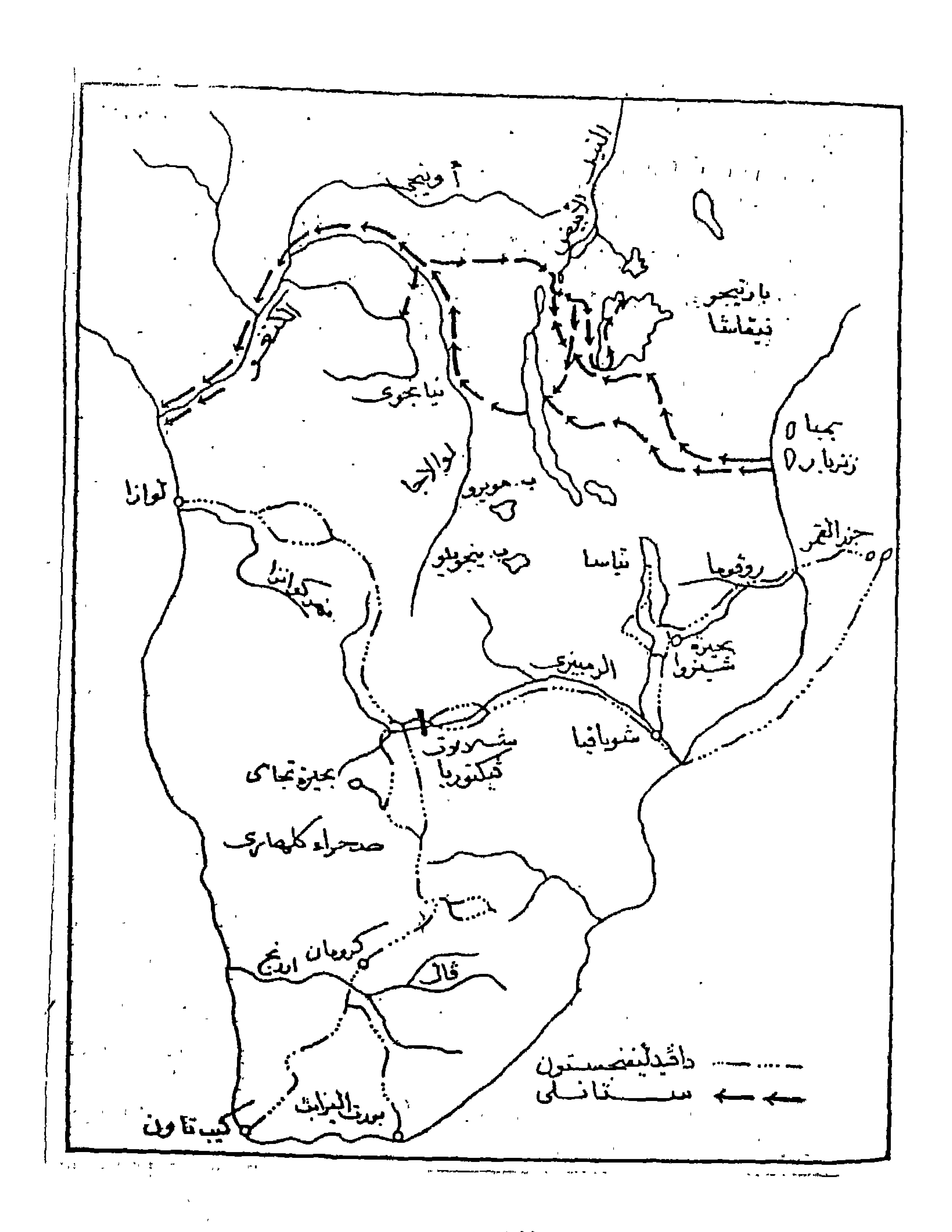
التالية لوفاة لفنجستون) – بالفصل الأخير فى قصة كشف منابع النيل، وقد وصل إلى بحيرة فكتوريا وقضى مدة طويلة فى إجراء مسح لشواطئها وقام بالدوران حول البحيرة ذاتها ثم اكتشف بعد ذلك جبال رونزورى وبحيرة ادوار فى سنة ١٨٧٥.

وهناك عالم المانى من الرحالة المرموقين فى منطقة النيل وشرق افريقيا تجدر الإشارة إليه وهو شفانيفورت Schweinfourth وقد بدأ رحلته فى شرق القارة قادماً من البحر الأحمر عبر اثيوبيا إلى الخرطوم ثم إلى بحر الغزال ثم إلى منطقة تقسيم المياه بين النيل والكونغو، وقد اكتشف نهر ويل Uele وأن عجز عن تحديد اين ينتهى هذا النهر تماماً (اعتقد أنه جزء من نهر شارى «Shari» أو رافد لنهر بينو Benue، وقد اثبت جنكر Junker ١٨٨٦ انه ينتمى إلى مجموعة نهر الكونغو) وعلى كل حال فقد القى شفاينفورث الضوء على منطقة تقسيم المياه بين النيل والكونغو كما اكتشف الاقزام لأول مرة فى التاريخ.

٤- كشف الصحراء الكبرى:

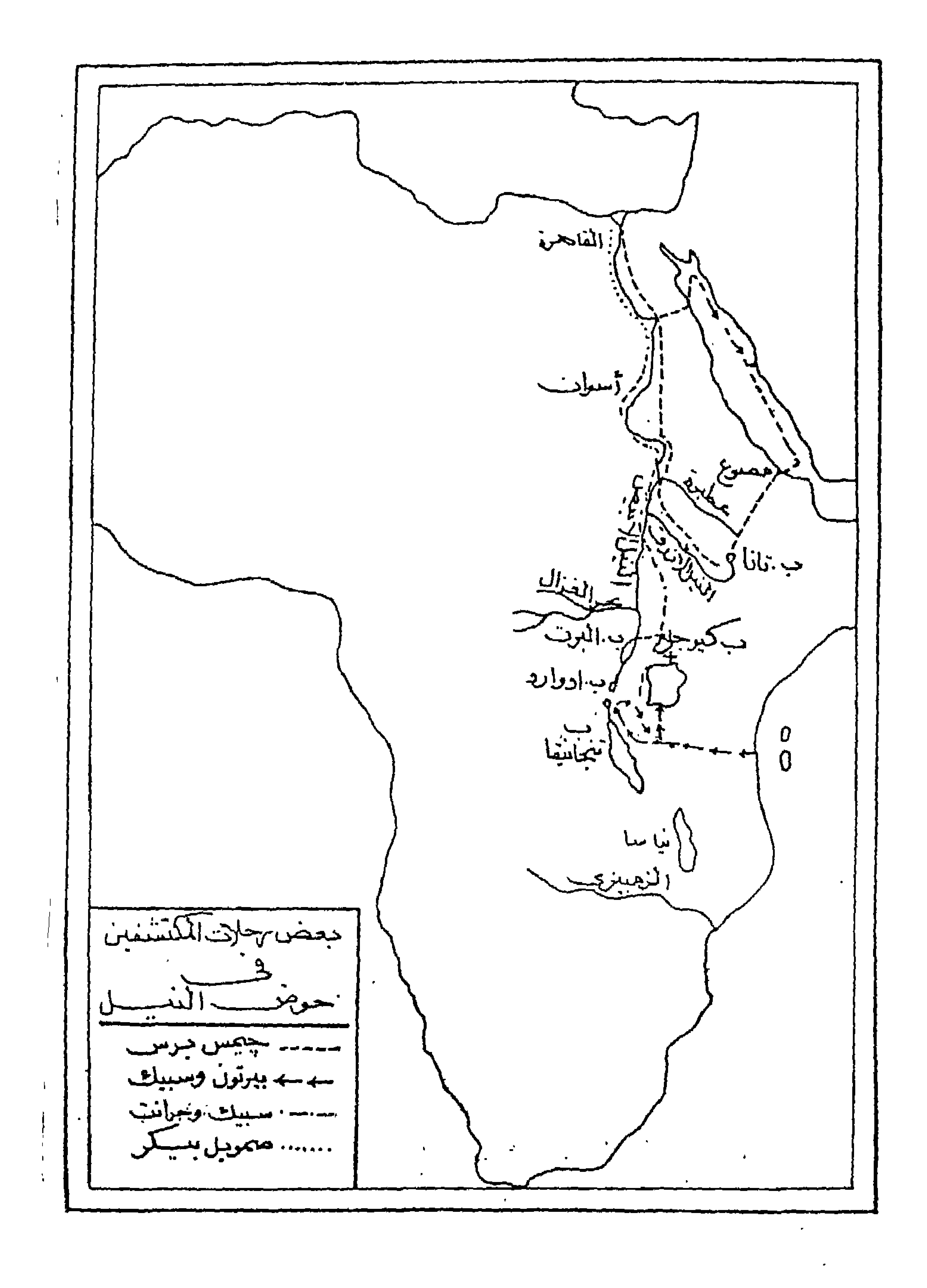
يمثل اختراق الصحراء الكبرى أحد الموضوعات الهامة فى قصة الكشوف الافريقية وقد ارتبط ذلك فى البداية بمشكلة النيجر، ولذا فإن تتبع مراحل اختراقها يرتبط بالضرورة ببعض الرحالة الذين اسهموا فى فك غموض النيجر، كذلك كانت واحات دائرة عرض ٢٩ شمالاً والواقعة على طرق القوافل – معروفة للعالم القديم بل وظهرت فى كتابات هيرودت، وفى محاولات الكشف عن نهر النيجر ازيح الستار عنها مرة أخرى للأوربيين بعد فترة غموض طويلة وكانت طرابلس نقطة البداية لمعظم الرحلات التى حاولت عبور الصحراء ذلك لأنها كانت محطة نهاية وبداية فى الطريق الرئيسى للقوافل بين شمال الصحراء وجنوبها.

وقد أرسلت الجمعية الأفريقية بعد إنشاءها فى سنة ١٨٧٧ وليم لوكاس Lucas لاستقصاء امكانيات الوصول الى نهر النيجر عن طريق فزان، وقد



شكل رقم (٥)

رحلات دافيد ليفنجستون وستانلي



القاهرة
أسوان
مصوع
عطبرة
ب. تانا
بحر الغزال
ب. كيوجا
ب. البرت
ب. ادوارد
ب تنجانيقا
نياسا
الزمبيزي
بعض رحلات المكتشفين في حوض النيل
جيمس بروس
بيرتون وسبيك
سبيك وجرانت
صمويل بيكر

رقم (٦)

وفد إلى طرابلس لهذا الغرض وجمع بيانات عن الطرق المؤدية إلى فزان إلا أنه فشل فى تنظيم قافلة نحوها ومن ثم عاد إلى لندن وأمد الجمعية بما لديه من بيانات افادت الرحالة الذين جاءوا بعده .

وفى نفس الوقت تقريباً قام وليم براون Brown برحلة هامة شمال افريقيا بداها من القاهرة فى سنة ١٧٩٢ وعبر الصحراء فى قافلة وصلت به إلى سيوه ولذا فهو يعد أول اوربى زار هذه الواحة منذ الاسكندر الأكبر، وقام برحلات أخرى إلى دارفور فى السودان.

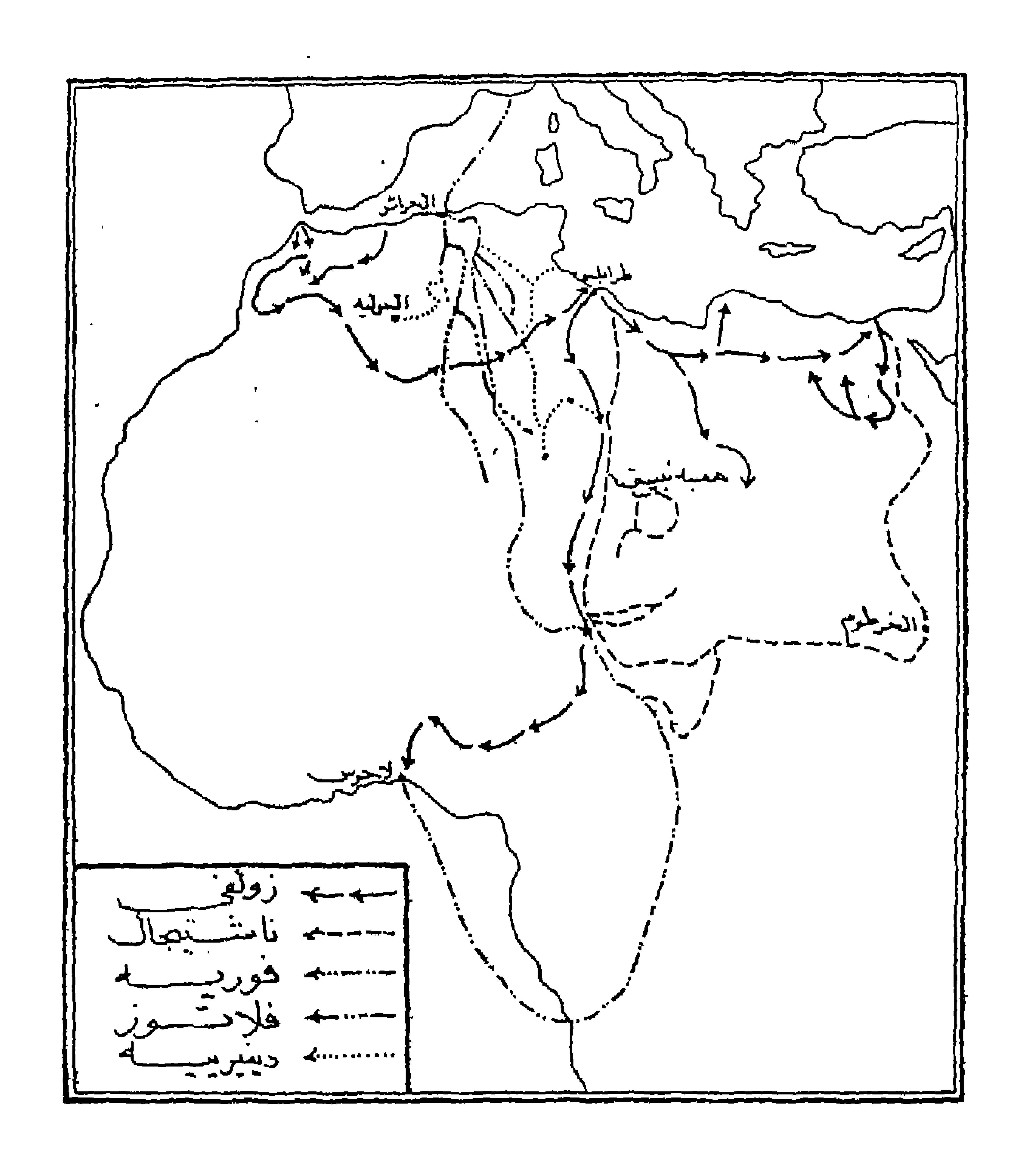
وفى سنة ١٧٩٨ اختارت الجمعية الافريقية فردريك هورنمان Horneman لإتمام العمل الذى بدأه لوكاس، ولم يلق هذا الرحالة الألمانى شهرة كبيرة حتى انه لم يذكر فى كثير من اعمال الكشوف الجغرافية بالرغم من أنه أوربى عبر الصحراء[١] . وبدأ رحلته من القاهرة فى نفس السنة، فى قافلة اتجهت إلى سيوة ومن ثم نحو الجنوب الى مرزق فى فزان، وكتب وصفا دقيقاً للمناطق التى زارها خاصة الجغرافيا الطبيعية لإقليم فزان، كذلك أشار إلى أهمية مرزق – عاصمة فزان والتى كانت مركزاً لتجارة الرقيق، وقد ذكر هورنمان – أن سلطان فزان تعود أن يدفع الجزية إلى حاكم طرابلس (الباشا) على شكل رقيق وفى نوفمبر من كل عام تأتى قافلة مسلحة من طرابلس لهذا الغرض ويلتحق بها المسافرون إلى فزان طلباً للسلامة[٢] . ولم يعرف إلا القليل جداً عن رحلة هورنمان الى بورنو على نهر النيجر حيث وافته المنية هناك.

وبعد ذلك ببضع سنوات أوفدت الجمعية الافريقية اثنين من الرحالة هما ريتشى Richie، وليون Lyon وبدأ الرحلة من طرابلس ضمن قافلة تجارية للوصول إلى النيجر، وقد مرا بواحات غريان وسوكنه وسبها ووصلا

---

(1) Sharaf A.T., A.Short History of Geographical Discovery, Alexandria, 1963, p. 297.

(2) Ibid., p. 298.



شكل رقم (٧)

بعض رحلات المكتشفين في الصحراء الكبرى

(١٨٥٩ - ١٩٠٠م)

إلـى مـــرزق فى فـزان ولكن ريتشى مـات فيـهـا، واضطر ليـون إلى القيام بمفــرده ببعض الكشــوف فـى الجزء الجنوبى من فزان، وزار بعض الواحات بها ثم عاد إلى طرابلس ومنـها إلى لندن حيث نشر ملاحظاتـه العلمية وخاصة خريطته عن فزان التى اصبحت ذات أهمية كبيرة فى معرفة ليبيا.

أما بعثة النيـجر الثالثة فكانت فى الفترة من ١٨٢٢ - ١٨٢٥ واشترك فيها كلابرتون ودنهام وادنـى التى سبق الحديث عنها، وقد بدأت من طرابلس إلى مرزق ثم برنوا واكتـشفوا بـحيرة تشاد ونـهر شارى (دنـهام وادنـى فقط) وزار كلابرتون بلدة سوكوتوا ووصل إلـى النيـجر - ثم مالبث الثلاثة أن عـادو إلى طرابلس مرة أخرى.

أما غدامس - تلك الواحة المتطرفة فقد زارها الكسندر لينج Laing (١٦٢٥ - ١٨٢٦) وترك وصفاً تفصيلياً عنها وزار واحة عين صلاح ووصل إلى تمكتو ولكنه لقى حتفه على أيدى الطوارق وبعد وفاته توقفت كشوف الصحراء الكبرى قرابة عشرين سنة تقريباً حتى بعثة جيمس ريتشاردسون سنة ١٨٤٥.

وكان جيمس ريتشاردسون رجل دين ركز جهوده لمحاربة تجارة الرقيق، وبدأ رحلته من طرابلس إلى غداخس التى كانت مركزاً مزدهراً لهذه التجارة، وبقى بها قرابة ثلاثة شهور درس خلالها المدينة وتاريخها وعاد إلى مرزق ثم رجع إلى الساحل مع إحدى القوافل، وقد افاد بملاحظات علمية ذات قيمة عن الأحوال الاجتماعية والحضارية فى الواحات وعلاقاتها بالعالم الخارجى خاصة مع السودان كما كان أول مستكشف يلقى الضوء على الرسوم الصخرية فى فزان.

وبعد هذه الرحلة حاول ريتشاردسون القيام برحلة طموحة لفتح هذه الأقاليم للتجارة البريطانية وذلك لمحاربة تجارة الرقيق وشجعته الحكومة البريطانية على ذلك وصحبة معه بعض المتخصصين من دول اخرى للمساهمة فى ذلك منهم بارث Barth، وافرفيج Overveg، وكان بارث باحثاً مرموقاً واثرياً تتلمذ على يد الجغرافى الكبير كارل ريتر Ritter. أما اوفرفيج

فكان جيولوجيا ورشحته الجمعية الجغرافية فى برلين للاشتراك فى هذا المشروع.

وقد غادر رتشاردسون وبارث وافرفيج طرابلس فى فبراير سنة ١٨٥٠ متجهين إلى فزان عبر الحمادة الحمراء – تلك الصحراء الفاحلة التى لم تطأها قدم مستكشف من قبلهم – ووصلوا إلى مرزق وانقسموا إلى فريقين احدهما بقيادة ريتشاردسون واتجه شرقاً والآخر بقيادة بارث واتجه غرباً ووصل رتشاردسون إلى بحيرة تشاد ولكنه مات ودفن على شواطئها، وواصل بارث واوفر فيج كشفهما للبحيرة ولنهر شارى الذى يصبّ فيها، وكذلك نهر البنوى اكبر روافد النيجر واتجهوا الى بورنو Bornu حيث مات اوفرفيج بعد ذلك بقليل.

وبقى بارث بمفرده لمواصلة الكشوف واستطاع ان يكتشف منطقة الهوسالاند (١٨٥٣) واتجه الى تمبكتو على ثنية لنيجر حيث التقى بالرحالة الألمانى فوجل الذى وفد من انجلترا للاشتراك فى الكشوف بعد وفاة رتشاردسون – وقد رحل فوجل إلى وادى Wadi حيث قتل هناك (١٨٥٦) من الترحال والملاحظة العلمية، ويمكن القول بأن بارث اظهر كثيراً من الحقائق عن افريقيا أكثر من أى مستكشف آخر شهدته القارة، وخاصة دراسة اللغات الافريقية وملاحظاته على النقوش والرسوم والموجودة على الصخور مما ساعد كثيراً على بدء دراسة عصر ما قبل التاريخ فى الصحراء الكبرى.

ومن الرحالة الذين اسهموا فى كشف غموض الصحراء – جيرهارد رولفس (١٨٦٣ – ١٨٦٧) وقد بدأ رحلته من مراكش سنة ١٨٦٣ إلى واجهة توات وغدامس ثم عاد إلى طرابلس. وفى سنة ١٨٦٥ غادر طرابلس الى غدامس وعبر الصحراء إلى بورنو وابحر فى نهر النبوى حتى التقائه مع النيجر ثم اتجه إلى بلاد اليوروبا ووصل إلى ابدان ومنها إلى لاجوس، وبذلك فهو يعد أول اوربى يصل إلى واحة تواب كما أنه يعد أول أوروبى يعبر الصحراء الكبرى واقليم السودان ويصل من البحر المتوسط إلى ساحل غانا.

وبقيت المناطق الواقعة بين بحيرة تشاد ونهر النل تمثل تحدياً كبيراً

للمستكشفين والرحالة خاصة بعد المصير القاسي الذى لقيه بعضهم مثل فوجل، إلا أن جوستاف ناخيتجال وهو واحد من آخر المستكشفين الألمان العظماء فى الصحراء الكبرى - قبل هذا التحدى، وقد عاش عدة سنوات فى تونس ثم بدا رحلته من طرابلس سنة ١٨٦٩ إلى مرزق ثم جبال تبستى وقام بدراسات مكثفة عنها، وتعد هذه الدراسات من المصادر الموثوق بها عن هذه المنطقة، ثم عاد إلى طرابلس بعد ذلك، وفى العام التالى اتخذ طريقة إلى بحيرة تشاد وبقى فى منطقتها ثلاث سنوات تقريباً قام خلالها ببعض الكشوف الجغرافية، وفى سنة ١٨٧٣ اتجهه نحو وادى النيل عبر وادى التى قتل بها بعض الرحالة من قبل - ولكن شجاعته توجت بالنجاح حيث وصل إلى درافور وكردفان حتى الخرطوم - ثم اتجه إلى القاهرة سنة ١٨٧٤، وقد ربط برحلته هذه بين اعمال بارث وغيره من المستكشفين فى الصحراء الليبية واعمال شفاينفورت وغيره من مستكشفى اعالى النيل، وكانت ملاحظات ناختيجال ذات قيمة كبرى خاصة ما يتعلق منها بالظروف المناخية السائدة .

كشوف الصحراء الكبري في القرن العشرين:

داخل الصحراء الكبرى اقليماً مستعصياً على الكشف الجغرافى حتى أوائل القرن العشرين، ففى سنة ١٩١٢ استطاع رحالة فرنسى يدعى Tilho أن يصل إلى هضاب تبستى وبوركو وإنيدى حيث لم يصل إليها أوربى من قبله، وكان ما كتبه عن رحلته إلى هذه الأقاليم ذا قيمة علمية شجعت كثيراً من الباحثين على الربط بينها وبين باقى الأقاليم المجاورة.

وتعد رحلات أحمد حسنين بك وروزيتا فوربس Rosita Forbes إلى قلب الصحراء الكبرى من الرحلات الهامة فى كشف هذه الصحراء، فقد قاما برحلة إلى واحة كفرة - وبدأ رحلتهما من بنغازى ومعهما خطابات توصية من الأمير إدريس السنوسى - الذى أصبح ملك ليبيا بعد ذلك. (قبل ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩) - واخترقا اجدابياً. وعجليه، وجاليو، ووصفا هذه الواحات فى تقريرهما عن الرحلة، واتجها بعد ذلك إلى واحة الكفرة عبر طريق وعر

ووصفاها قائلين: أن هذه الواحة التي تبعد نحو ٦٠٠ كيلو مترا عن أطراف المدينة، تحيط بها حواجز طبيعية هائلة، وهي مجتمع يعيش في اكتفاء ذاتي وعزلة كاملة عن العالم الخارجي، ثم اتجها بعد ذلك إلى واحة جغبوب بعد رحلة شاقة حيث شهدتا تناقضاً كبيراً بينها وبين الكفرة، فبالرغم من وجود طريق للقوافل بين الواحتين، فإن الكفرة تجارية، وجغبوب مركز ديني للفكر الإسلامي السنوسي، واتجها بعد ذلك إلى واحة سيوة ومنها اتجها إلى الإسكندرية.

وبعد ذلك بعامين من قيام رحلة حسنين بك وروزيتا فوربس في سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ عاد حسنين بك إلى الكفرة لمزيد من الدراسات الجغرافية وذلك عن طريق سيوه وجغبوب، وبعد ذلك اتجه إلى الواحات الأبعد إلى اركنو والعوينات في أقصى جنوب شرق ليبيا. وهي مناطق لم يتم اكتشافها من قبل، وقد ساعده في ذلك السنوسيون حيث وقدوا له إبل القوافل والأدلة الذين اصطحبوا هذه القوافل.

وقد وصل حسنين بك إلى واحة إركنو خلال موسم وصول بدو التبو من الجنوب أثناء هجرتهم السنوية المعتادة لرعي حيواناتهم في أودية الواحة، وقد أمدوه بالطعام واستطاع أن يصف حياتهم وصفاً دقيقاً.

وكان اكتشاف حسنين بك للنقوش المرسومة على صخور كهوف العوينات من أبرز نتائج نشاطه الكشفي، وقد أماطت هذه الرسوم اللثام عن نشاط بشري مبكر وقديم في هذه المنطقة، وكانت أبرز الرسوم أشكال مرسومة للزراف والفيلة وبعض أنواع الحيوانات الأخرى في إقليم السڤانا السوادنية.

وقد عاد حسنين بك إلى مصر عبر اقليم دارفور، وبعد أن أسهم بدور كبير في كشف واحات ليبيا الجنوبية وخاصة في جنوبها الشرقي[١]، وكذلك في منطقة العوينات في جنوب غرب مصر.

---

(١) Sharaf A.T., A.Short History of Geographical Discovery, Alexandria, 1963, p.p. 360 - 364.

الجمعية الجغرافية المصرية واسهامها في كشف افريقيا الداخلية:

تعد الجمعية الجغرافية المصرية من أقدم الجمعيات العلمية فى العالم، بل هى الاقدم فى الوطن العربى وأفريقيا، حيث أصدر خديوى مصر اسماعيل باشا مرسوماً فى ١٩ مايو ١٩٧٥ بانشاء هذه الجمعية تحت إسم الجمعية الجغرافية الخديوية فى القاهرة، وذلك لتحقيق مهمتين اساسيتين هما: دراسة علم الجغرافيا بجميع فروعه، والقاء الأضواء على البلدان الافريقية وتنظيم الجهود الكشفية فيها وذلك بين خلال جهود الكشف الجغرافى والرحلات والتوثيق. وقد تم اختيار الرحالة المشهور جورج شفانيفورث G.Scl .vein Furth – أول رئيس للجمعية[١].

وقد استحوزت جهود كشف افريقيا على اهتمام الجمعية منذ البداية، فقد قامت بدعوة المكتشفين لإلقاء نتائج كشوفهم فى محاضرات عامة، كما قامت بنشر تلك المحاضرات، ونتائج الكشوف فى مجلتها العلمية، مما أسهم فى إلقاء الضوء على تلك الجهود الكشفية ومتابعتها، كما اتجهت الجمعية إلى التوسع فى الدراسة الجغرافية الدقيقة للجهات المكتشفة حديثاً، وإلى دراسة الظاهرات الجغرافية لحوض النيل، وقد قام بعض أعضاء الجمعية برحلات علمية وكشفية داخل مصر، ومنهم الملك فؤاد الذى قام برحلة علمية إلى واحة سيوة وما حولها فى عام حوالى ١٩٢٨، وأحمد حسنين بك الذى قام برحلة فى الصحراء الغربية سنة ١٩٢٢ كشف فيها واحات إركنو والعوينات، وكذلك رحلات الأمير كمال الدين حسين فى الصحراء الليبية.

---

(١) تغير إسم الجمعية بسبب التغيرات السياسية التى شهدتها مصر بعد ذلك، فقد تغير اسمها من الجمعية المصرية الخديوية إلى الجمعية الجغرافية السلطانية (فى عهد السلطان حسين كامل سنة ١٩١٥) وعين الأمير أحمد فؤاد رئيساً لها، وفى سنة ١٩٢٢ تغير الإسم إلى الجمعية الجغرافية الملكية المصرية بعد أن تحولت مصر إلى مملكة، واستمر ذلك حتى قيام ثورة ١٩٥٢ وتحول مصر إلى النظام الجمهورى فسميت باسمها الحالى «الجمعية الجغرافية المصرية».

وإذا كان عصر الكشف الجغرافى بالمعنى التقليدى قد انتهى، فإن الجمعية بما سجلته فى اصداراتها من نتائج لكشف افريقيا، مازال يمثل مصدراً لكل الباحثين عن الحقائق الجغرافية التاريخية بالقارة الافريقية ومصر، كما سجلت مجلة الجمعية الجغرافية بحوثاً وتقارير مطولة، حررها رحالة مصريون ومسلمون إلى آسيا وبصفة خاصة إلى بلاد الحجاز فى مكة المكرمة والمدينة المنورة[1].

---

(١) الجمعية الجغرافية المصرية، ١٨٧٥ – ٢٠٠٥ – القاهرة – ٢٠٠٥، ص ٢٢.

الفصل الخامس

الكشوف الجغرافية في آسيا

- مقدمة
- خصائص الكشوف الجغرافية في آسيا
- نشاط المصريين القدماء في القارة
- نشاط الاغريق والرومان في القارة
- دور العرب في الكشوف الجغرافية في آسيا
- دور الأوربيين في الكشوف الجغرافية في آسيا
- الكشوف الجغرافية في شبه الجزيرة العربية
- الكشوف الجغرافية في شمالي آسيا

مقدمة:

تختلف الكشوف الجغرافية فى آسيا عن مثيلتها فى أفريقيا وقارات العالم الجديد فى أن الاجزاء المجهولة بها كانت محدودة الى حد كبير لعدة أسباب يأتى فى مقدمتها ظهور العديد من الحضارات القديمة فى الصين وشبه القارة الهندية وأراضى الرافدين والساحل الفينيقى وسواحل الأناضول مما أسهم فى اتساع معرفة سكان القارة عن العديد من جهاتها، وقد ساعد على ذلك عاملا التجارة والعقائد الدينية، فعلى سبيل المثال كان لتوافر مقومات الزراعة فى بابل وآشور وما تبع ذلك من وجود فائض فى المحاصيل الزراعية فى الوقت الذى كانت تعانى فيه من نقص فى بعض المواد الخام تأثير مباشر فى نشاط حركة التبادل التجارى بين أراضى الرافدين وشبه القارة الهندية[١] وبالتالى تزايد المعرفة المتبادلة بين المجتمعين الاسيويين المذكورين خلال العصور القديمة، كما كان انتشار البوذية فى الصين خلال العصور الوسطى سبباً مباشراً لاهتمام سكانها بالهند وجهات واسعة من شبه جزيرة الهند الصينية وخاصة بورما (اتحاد ميان مار حاليا) حيث تتعدد المزارات المقدسة، لذلك دأب رجال الدين والحجاج على زيارة تلك المناطق من جنوب شرقى آسيا. وسجل العديد من الرحالة الصينيين مشاهداتهم خلال تجولهم فى هذه الانحاء من القارة، ولعل من أشهر هؤلاء الرحالة وأبرزهم فاهسين.. Fa Hsien (٣٩٩ - ٤١٤م)، هيين تسيانج Huien Tsiang (٦٢٩ - ٦٤٥م).

ووصل الصينيون الى أقصى أطراف جنوب وجنوب شرقى آسيا وخاصة جزر الهند الشرقية اذ كان لهم نشاط تجارى كبير امتد الى هذه الأقاليم التى تمركز فيها التجار العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية والذين كانت لهم

---

(١) Wells, H., The outline of History, N. Y., 1956.

مراكز تجارية مشهورة خلال هذه الفترة على السواحل الغربية والجنوبية من شبه القارة الهندية وسيلان وملديف وملقا وجزيرتى سومطرة وجاوة، وكان يتم فى هذه المراكز تبادل البضائع والسلع بين الصينيين والعرب.

وأسهم انتشار العديد من الأديان الاسيوية الأصل غير السماوية كالكونفوشية والبوذية والزرادشتية وما تبع ذلك من تعدد المزارات المقدسة لهذه الأديان واتجاه الحجاج والكهنة لزيارتها فى مواسم محددة فى تزايد معرفة أهل القارة لجهات متعددة منها وان تركزت معظمها فى الشرق والجنوب الشرقى.

وظلت جهات واسعة من آسيا مجهولة تماما وخاصة بالنسبة للأوربيين حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهى من الظواهر الغريبة فى تاريخ الكشوف الجغرافية، ونقصد بذلك أن آسيا التى تمثل مركزاً رئيسياً للجنس البشرى من حيث النشأة والانتشار والحضارة والتوزيع، ومهبطا للأديان السماوية ومركزاً للعديد من الأديان غير السماوية ظلت جهات متعددة منها مجهولة تماماً للأوربيين حتى بداية القرن العشرين، وترجع هذه الظاهرة الى عدة أسباب بعضها يتعلق بظروف آسيا الطبيعية فأقرب أجزاء القارة لأوربا وهو الجزء الشمالى – سيبيريا – الذى لا يفصله عن العالم الأوربى سوى جبال أورال محدودة الارتفاع لم يفكر أحد فى كشفها لشدة برودتها وضآلة أهميتها، كما كان لضخامة مساحة القارة وعدم وجود أذرع بحرية طويلة متداخلة فى اليابس الاسيوى دور مباشر فى بعد الاجزاء الداخلية عن النطاقات الساحلية وبالتالى انعزالها مما أخر كشفها، كما أسهم فى ذلك أيضاً المرتفعات الألبية التى تمتد فى النطاق الأوسط من آسيا فى شكل حزام عرضى ضخم يعيق الاتصال السهل بين الشمال والجنوب، ولعب المناخ دوراً لا يمكن اغفاله فى تأخر كشف

جهات عديدة من القارة فالانخفاض الشديد لدرجة الحرارة طول العام أخر كشف سيبيريا فى الشمال حتى بداية القرن العشرين، كما ظلت جهات واسعة من شبه الجزيرة العربية فى الجنوب الغربى مجهولة للأوربيين حتى بداية العشرينيات من القرن العشرين نتيجة لعاملى الجفاف والارتفاع الشديد لدرجة الحرارة.

ويعد المصريون القدماء - الفراعنة - أول من وصل الى آسيا من سكان القارات الأخرى واكتشفوا أجزاء منها وتعاملوا مع سكانها ونقلوا اليها موثرات حضارية جديدة. واقتصرت علاقة مصر بآسيا الغربية فى بادئ الأمر على تأمين حدود مصر الشرقية، كما كان للمصريين نشاط تجارى كبير فى فلسطين وسوريا على الساحل الشرقى للبحر المتوسط بلغ ذروته طوال عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٠ - ١٧٨٠ ق.م)، وامتد نشاط المصريين حتى منطقة النهرين شرقاً[١] التى نجحت مصر فى ضمها الى أرضها عام ١٥٠٠ق.م عندما وصل اليها تحوتمس الأول الذى أقام على ضفة نهر الفرات لوحة تذكارية ترمز الى انتصاره على أعدائه من الثوار[٢].

وعرف المصريون القدماء الكثير عن جغرافية منطقة غربى آسيا التى رسموا لها عدد من الخرائط التى توضح أساسا المسالك المودية اليها، ولكن لم يعثر على كثير منها، وعموماً يوجد فى متحف تورين بشمالى ايطاليا خريطة مصرية قديمة توضح الطريق الذى سلكته جيوش سيتى الأول - من ملوك الأسرة التاسعة عشرة - (١٣٠٢ - ١٢٩٠ ق.م) فى حملته على غرب آسيا وخاصة فى فلسطين وأعالى نهر الأردن، كما وجد على أحد جدران معبد

---

(١) يقصد بمنطقة النهرين المنطقة الواقعة عند منحنى نهر الفرات فى شمال سوريا.

(٢) Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt, Vol. II, Chicago, 1906, p. 73, p. 478.

آمون بالكرنك نقش يمثل خريطة تفصيلية توضح الطريق الموصل من مصر الى غرب آسيا عبر شبه جزيرة سيناء وموقعاً عليها مواقع آبار المياه والقلاع المحصنة على طول الطريق[1].

وحتى القرن الثامن قبل الميلاد لم تتجاوز المعرفة الأغريقية فيما يتعلق بجغرافية غربى آسيا - أقرب الأقاليم الاسيوية الى موطن الأغريق فى بحر ايجه - نطاقات الموانى البحرية وبعض مجارى الانهار الصالحة للملاحة وكل ما كان مدوناً عنها بمعرفة الفينيقيين.

وزار المؤرخ الاغريقى هيرودوت (٤٨٥ - ٤٢٥ ق.م) أقاليم متعددة من آسيا اشتملت على سواحل البحر الأسود وبلاد فارس وبابل، بل أنه قام برحلة الى نهر السند، وتتبع خلال المرحلة الأولى لرحلته الطريق الذى شيده دارا..Darius ملك الفرس للربط بين ساحل البحر المتوسط ونهر الفرات والذى بلغ طوله حوالى ١٥٠٠ ميل.

وبانتصار الاسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) على فارس وتشييد امبراطوريته التى امتدت من مصر الى الهند عرف الأوربيون ولأول مرة الكثير عن جغرافية هذه الاجزاء من قارة آسيا، وخاصة أن الاسكندر الأكبر أرسل عدة بعثات بقيادة بعض قواده الى عدد من المرتفعات والأودية الاسيوية لجمع الحقائق والمعلومات عنها وخاصة أنها كانت مجهولة له، لذلك لم يجرؤ على ارسال جيوش اليها. مما أدى الى اتساع دائرة المعرفة الجغرافية للاغريق عن أقاليم عديدة من غربى وجنوبى ووسط اسيا (التركستان) والتى هيأت الفرصة لقيام العديد من الرحلات الكشفية خلال

---

(١) للتوسع فى هذه الدراسة انظر:

Gardiner, A. H., Egypt Exploration Society, Journal of Egyptian Archaeology, London, VI, 1920, p. 99.

المراحل التاريخية التالية وخاصة منذ القرن الأول الميلادى حين بدأ **الرومان** رحلاتهم البحرية وأيضاً القارية فوق اليابس الاسيوى حتى وصلوا الى بعض أقاليم ما وراء الهند عن طريق البحر خلال القرن الثانى الميلادى.

دور العرب في الكشوف الجغرافية في آسيا :

كان لعاملى ظهور الدين الاسلامى الحنيف، وانتشاره، ونشاط حركة التجارة العربية فى جنوب شرقى آسيا بصفة خاصة أثر مباشر فى نشاط حركة الكشوف الجغرافية فى القارة بصورة ملموسة خلال العصور الوسطى التى شهدت تزايداً مطرداً للمعرفة الجغرافية عن جهات متعددة من القارة.

والثابت تاريخياً أن معرفة العرب بجهات شرق وجنوب شرقى آسيا ونشاطهم التجارى فى هذه الانحاء يسبق ظهور الاسلام بقوته الروحانية والاجتماعية والسياسية الهائلة خلال منتصف القرن السابع الميلادى، ومع ذلك فقد شهدت القارة بظهور الدين الحنيف بزوغ فجر جديد لنشاط العرب ومعرفتهم الجغرافية لجهات واسعة من القارة، حيث نجح العرب المسلمون خلال فترة زمنية محدودة لا تتجاوز مائة عام من وفاة محمد رسول الله فى تكوين امبراطورية اسلامية امتدت فى آسيا لتشمل رقعة واسعة من أجزائها الغربية تحدها التركستان الروسية ومرتفعات بنطس من جهة الشمال، ونهر السند ومرتفعات سليمان من جهة الشرق.

وتجاوز نشاط العرب التجارى ومعرفتهم الجغرافية حدود الدولة الاسلامية، حيث دخلت سواحل شبه القارة الهندية (كرومانديل وملبار) وسيلان، وجزر أندامان ونيكوبار وملديف، والملايو وجزر الهند الشرقية، بالاضافة الى وسط آسيا وبعض جهات الصين دائرة المعرفة الجغرافية عند العرب، ويرجع الفضل فى ذلك الى النشاط التجارى وتجولات الرحالة

العرب، فقد كان للعرب كما ذكرنا نشاط تجارى مع العديد من المناطق الاسيوية قبل ظهور الاسلام حيث كانت القوافل العربية تعبر القارة الاسيوية من المناطق العربية فى الغرب حتى بلاد الصين فى الشرق عبر التركستان والاجزاء الوسطى من القارة، اذ كانت طرق التجارة العربية تتبع طريق خرسان المعروف باسم «طريق الحرير» الذى كان يبدأ من ساحل البحر المتوسط ويتجه شرقاً صوب سمرقند ماراً ببغداد ونيسابور ومرو وبخارى، وكان الطريق يتفرع عند سمرقند الى طريقين فرعيين أحدهما يتجه شرقاً صوب الصين، والاخر يتجه شمالاً إلى خوارزم، لذلك عرف العرب الكثير عن جغرافية وسط آسيا وخاصة خراسان والتركستان قبل الأوربيين بسنوات طويلة، وأطلق العرب على التركستان اسم بلاد ماوراء النهرين – سيحون وجيحون –، كما عرفوا أن بحر خزر (بحر قزوين) بحر مغلق وان نهر أتل (الفولجا) يصب فيه، ووصل العرب الى بعض نطاقات شمالى آسيا التى أسموها بلاد الظلمة، بل ان البيرونى الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى أشار الى نهر أنجارا وهو من روافد نهر ينسى الذى يجرى فى الجزء الغربى من سيبيريا.

وكان هناك طريق برى لتجارة العرب مع الهند يسير مع طريق خراسان السابق الاشارة إليه حتى كابول التى يتجه الطريق بعدها صوب البنجاب، وتعد غزنة وبلخ – تعرف الاخيرة حالياً باسم وزير أباد – من المراكز التجارية الهامة فى هذا الجزء من القارة.

وزاد نشاط العرب فى شبه القارة الهندية بعد عام ٧١٢م. حين فتح محمد بن القاسم الثقفى بلاد السند حيث أقاموا العديد من المراكز التجارية الشهيرة والتى أميزها كلولام، كاليكوت على ساحل ملبار، وقد اندثرت

المدينتان بعد أن وصل البرتغاليون الى المنطقة وتشييدهم عدداً من المراكز والمحطات التجارية خلال القرن السادس عشر الميلادى.

وكانت البواخر العربية تمخر عباب بحر العرب والمحيط الهندى (البحر الفارسى) مستغلة فى ذلك كل من الرياح الموسمية والبوصلة[1] لتربط بين المراكز التجارية فى بلاد العرب والمراكز الساحلية التى أقاموها فى العديد من جهات شرق وجنوب شرق آسيا. ونجح العرب فى نقل تجارتهم الى القارة حتى بلاد الصين، بل انه يعتقد أن السفن العربية وصلت حتى كوريا (شيلا) وجزر اليآبان التى أسموها بلاد واق واق، وكانت خانجو وكانتون فى جنوبى الصين من أهم المراكز التجارية الصينية المتعاملة مع العرب لذا كان يوجد فيها جاليات عربية مسلمة كبيرة، كذلك الحال بالنسبة لمركز كالا على الساحل الغربى لشبه جزيرة الملايو.

وشهدت تجارة العرب مع الصين ازدهاراً كبيراً خلال حكم العباسيين الذين كانوا معروفين فى بلاد الصين باسم Heb - i - Ta - Shih وتعنى باللغة الصينية العرب ذو الملابس السوداء، وظل النشاط التجارى البحرى بين الصين والعرب مزدهراً خلال القرن التاسع الميلادى[2].

ونتج عن نشاط العرب التجارى وتعدد تجولات رحالتهم تزايد المعرفة

---

(١) اختلفت آراء الباحثين فى تحديد مخترع البوصلة، فهناك فريق يرجح اختراع العرب لها، بينما يرى فريق آخر أن العرب نقلوها عن الصينيين، وعموماً فقد تعلم الأوربيون استخدام البوصلة فى الملاحة البحرية من العرب خلال الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧ – ١١٤٩م).

(٢) للتوسع فى هذه الدراسة انظر:

– محمد رشيد الفيل، أثر التجارة والرحلة فى تطور المعرفة الجغرافية عند العرب، المؤتمر الجغرافى الاسلامى الأول، الرياض، يناير ١٩٧٩.

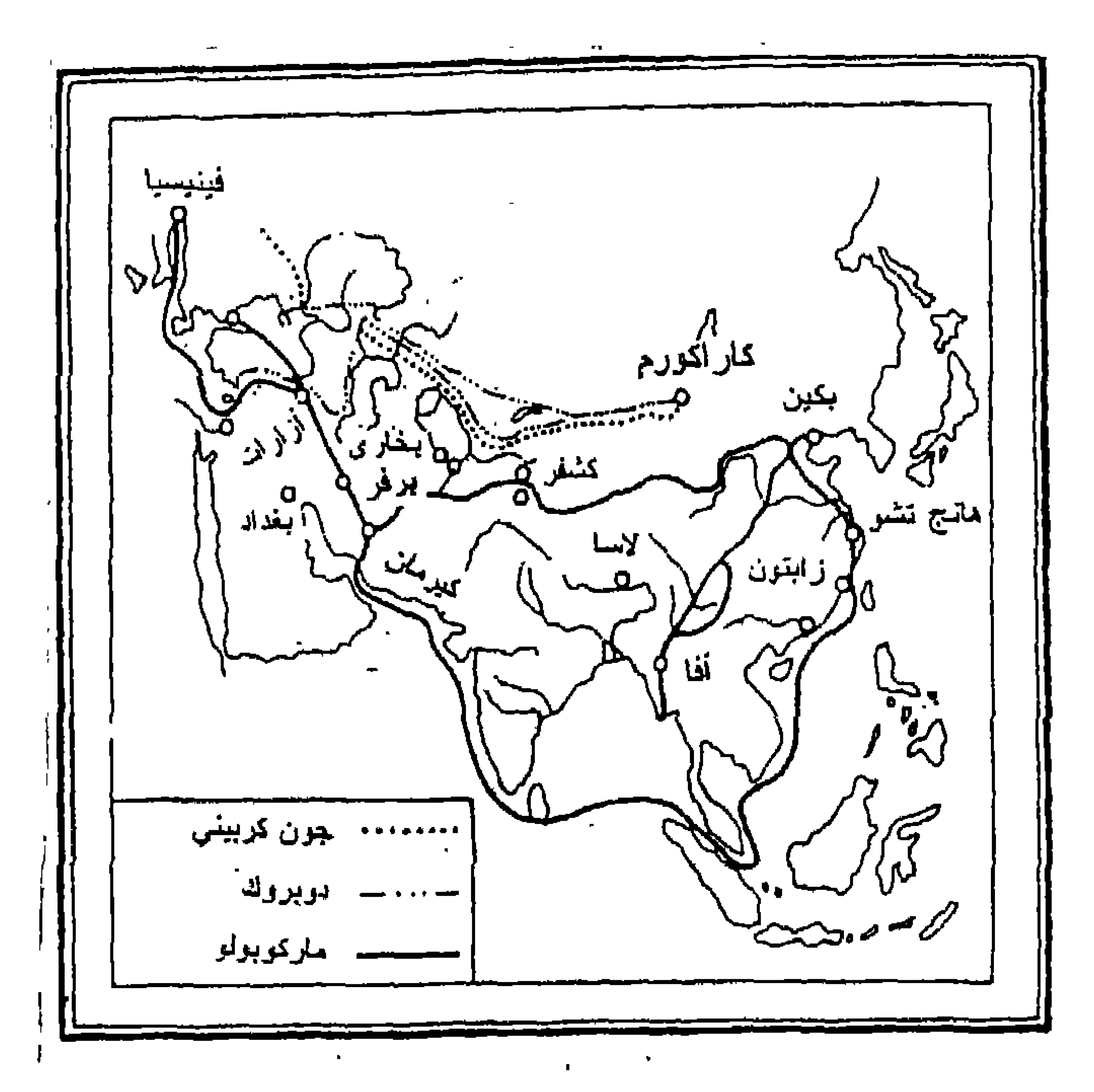
الجغرافية التى نشر بعضها واستفاد بها الأوربيون الى حد بعيد بعد ذلك، ومن أهم الدراسات التى أجراها العرب عن جغرافية آسيا خلال العصور الوسطى نذكر ما يلى:

١- **كتاب المسالك والممالك**، ألفه أبو القاسم عبد الله (ابن خردذابة) الذى عاش فى القرن التاسع الميلادى، وذكر فى هذا الكتاب أهم الطرق التى تعبر القارة والتى كان أشهرها طريق الحرير الموصل الى الصين، بالاضافة الى تحديده للعديد من المحلات العمرانية.

٢- **كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزائره**، ألفه سليمان التاجر الذى عاش خلال القرن التاسع الميلادى بعد أن قام بالعديد من الرحلات الى كل من الهند والصين، ويعد سليمان التاجر أول من أشار إلى وصول العرب الى بلاد الصين فى أقصى شرقى آسيا.

٣- **كتاب تاريخ الهند**، ألفه البيرونى الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى ويعد أهم المراجع الخاصة بجغرافية الهند خلال العصور الوسطى، حيث ضم الكتاب دراسة تفصيلية عن جغرافية شبه القارة الهندية، فعن الجانب الطبيعى أشار إلى كل من الساحل الغربى لشبه القارة والجزر الجنوبية، بالاضافة الى دراسة طبيعية لنهر السند الذى أشار الى منابعه، ومنطقة كشمير ومرتفعات الهملايا (همنت)، كما درس خصائص عناصر المناخ فى الهند وخاصة الامطار الموسمية، وعن الجانب البشرى أشار إلى المدن وأهم الموانى وحرف السكان المختلفة.

٤- **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، ألفه الادريسى الذى عاش خلال القرن الثانى عشر، وقد ضم الكتاب خريطة تفصيلية للعالم الذى قسمه الى سبعة أقاليم عرضية ضمت كل الاجزاء المعروفة من قارة آسيا، كما أشار إلى أهم خصائصها الجغرافية، وقد كتب الادريسى عن طبقات المجتمع فى



شكل رقم [٨] أهم بعثات التبشير المسيحية في آسيا

والحقيقة أن نشاط التبشير الاوربى فى آسيا خلال هذه الفترة كان مرده صراع أوربا الخفى مع الشرق المسلم حيث حاول الاوربيون نشر المسيحية بين سكان وسط آسيا بصفة خاصة لاستخدامهم فى محاربة الدولة الاسلامية فى تركيا والتى تقف عقبة كداء فى وجه أطماع الأوربيين فى الشرق. ولا يمكن اغفال العامل الاقتصادى من مبررات الصراع بين أوربا المسيحية والشرق المسلم، فقد حاول الاوربيون اقامة علاقات تجارية مباشرة مع اسيا بدون وساطة العرب، اذ اعتمدت الاسواق الاوربية على العديد من السلع الاسيوية التى يأتى فى مقدمتها الحرير المنتج فى شرقى آسيا وخاصة فى الصين واليابان والذى كان يصنع منه ملابس الطبقات الراقية فى أوربا، بالاضافة الى العاج والأخشاب من الهند، والتوابل من جزر الهند الشرقية،

والمسك من وسط القارة، وكانت السلع الاسيوية المتجهة الى أسواق أوربا تصل الى المشرق العربى عن طريق البحر والبر حيث تنقل بعد ذلك بالقوافل عبر نطاق الهلال الخصيب والاراضى المصرية الى الموانى الواقعة على الساحل الشرقى للبحر المتوسط تمهيداً لنقلها بعد ذلك الى الاسواق الاوربية، لذلك سعى الاوربيون الى اقامة علاقات تجارية مباشرة مع مصادر السلع الاسيوية، كما حاولوا البحث عن طرق تربطهم بآسيا بعيداً عن الأراضى الواقعة تحت سيطرة المسلمين، لذلك اعتمدوا على طريق الدوران حول افريقيا للوصل الى جنوب وجنوب شرق آسيا، وقد توصلوا الى الطريق الاخير بعد عام ١٤٩٧ عندما اكتشف فاسكو دى جاما Vasco de Gama طريق رأس الرجاء الصالح ونجح فى الدوران حول افريقيا والرسو على ساحل ناتال[١].

ويعد الاخوان نيكولو ومافيو بولو Nicolo & Maffeo Polo وهما من أشهر تجار فينيسيا أول من وصل من الأوربيين الى الصين – عام ١٢٥٥ – وأقاموا فيها مدة طويلة حيث استغرقت رحلتهم نحو ١٤ عاماً عاصرا خلالها تولى كوبلاى خان Kublai Khan الشهير عرش دولة الصين ونقله مقر الحكم من قره قورم الى بكين، وقد أرسل الخان المغولى مع أخوان بولو عند عودتهما الى وطنهما رسالة موجهة الى البابا. وبعد عامين من عودتهما الى فينيسيا قررا العودة مرة أخرى الى آسيا وخاصة بعد أن أعد البابا رداً على رسالة الخان المغولى، واصطحب الاخوان معهما هذه المرة ماركو ابن نيكولو لتبدأ رحلتهم الشهيرة عام ١٢٧١ والتى اتجهوا خلال مرحلتها الأولى إلى

---

(١) تحقق ذلك يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٤٩٧، علماً بأن بارثلميو دياز Bartholomeu diaz نجح فى اكتشاف طريق العواصف – رأس الرجاء الصالح – قبل ذلك بنحو تسع سنوات، حيث اكتشف انه يدور حول أفريقيا عندما تخطى رأس الرجاء الصالح خلال احدى العواصف الا أنه اضطر الى قطع رحلته والعودة الى بلاده – البرتغال – لتمرد بحارته وكان ذلك عام ١٤٨٨.

الأراضى المقدسة فى فلسطين، ومنها اتجهوا شرقا وعبروا أراضى الرافدين وبلاد فارس وسلكوا الطريق الذى سلكته جيوش الاسكندر الأكبر فى تقدمها صوب الهند حتى بلغوا بلخ Palkh، وبعدها اجتازوا نطاقات جبلية وعرة قضوا فيها نحو العام لسوء حالة ماركو الصحية حتى بلغوا واحة كشجر Kashgar ووصلوا بعدها إلى مرو، وهى من المراكز العمرانية الواقعة على سفوح مرتفعات كون لن، واستطاعوا بعد ذلك اختراق نطاق الهضبة القاحلة الذى بدأ بعد لوب نور Lop Nor حتى بلغوا سوتشوا Suchow فى بلاد الصين بعد نحو ثلاث سنوات من بدء الرحلة من فينيسيا.

واستقبل كوبلاى خان(١) ال بولو استقبالا حاراً وخاصة بعد أن عرف أنهم يحملون رد البابا على رسالته التى بعثها اليه منذ عدة سنوات. وأعجب الخان المغولى بشخصية ماركو بولو لذلك اختاره ممثلاً له وأوفده فى العديد من الزيارات الرسمية وكلفه بمهام مختلفة لثقته فى كفاءته التى أهلته بعد ذلك لتولى منصب الحاكم فى احدى المدن الصينية لمدة ثلاث سنوات.

وتعددت رحلات ماركو بولو وتجولاته فى الصين مما أعطاه الفرصة لجمع المعلومات الدقيقة عن هذه البلاد وشعوبها وخاصة أنه فى معظم الحالات كان موفدا فى مهام رسمية مما يسر له جمع الاحصائيات والبيانات الدقيقة، ويعد ماركو بولو أول أوربى يصل إلى التبت ويزور عاصمتها «لاسا» فى إحدى جولاته، قد نشر ماركو بولو بعد ذلك وصفاً دقيقاً لهذه المنطقة المنعزلة فى وسط آسيا حيث سجل بيانات تفصيلية عن تخطيط المدن وحرف السكان ومستويات معيشتهم وعاداتهم وطرق النقل والمعالم الرئيسية

---

(١) ابن القائد المغولى الشهير جنكيز خان، وظل كوبلاى خان امبراطورا للدولة حتى عام ١٢٩٤.

عليها وخاصة مراكز تغيير الخيول التى كانت تستخدم على نطاق واسع فى نقل الأفراد والسلع والبريد، كما نجح ماركو فى زيارة بورما فى جنوب شرقى آسيا، وأعد دراسة تفصيلية على بيئتها الطبيعية وعادات سكانها ومعابدها الذهبية الشهيرة.

وبعد سبعة عشر عاماً قضاها ماركو بولو وأبيه وعمه فى الصين حصلت الأسرة على موافقة كوبلاى خان للعودة إلى الوطن، وقد استخدموا فى عودتهم الطريق البحرى الذى بدأ من ميناء تسن شوفو حتى بلغوا جزيرة جاوه التى وصفها ماركو بولو بدقة مؤكداً غناها الزراعى وتعدد الحياة النباتية والحيوانية فيها، وبلغت الأسرة خلال المرحلة التالية من الرحلة جزيرة سيلان وبعدها وصلوا إلى شبه القارة الهندية واستمرت رحلتهم بمحاذاة الساحل الغربى لشبه القارة حتى بلغوا ميناء هرمز فى بلاد فارس، حيث بدأت الرحلة البرية التى انتهت عند ترابزون على الساحل التركى ومنها ركبت أسرة بولو البحر حتى وصلت إلى موطنها فى فينيسيا(١).

وأسهمت رحلة ماركو بولو الشهيرة إلى بلاد الصين فى تزايد معلومات الأوربيين عن قارة آسيا وخاصة عن الصين والتبت وبعض جهات جنوب شرقى آسيا التى تأتى بورما وبعض الجزر فى مقدمتها، كما قدمت وصفا تفصيلياً لطرق القوافل والتجارة وأهم معالمها مما شجع الأوربيين على القيام بالعديد من الرحلات إلى آسيا ولعل أشهرها خلال هذه الفترة رحلة الفرنسى أودوريك Odoric F. (١٢٨٤ - ١٣٣١ م) ورحلة الايطالى مرجودليو Marigudlio الذى وصل إلى الصين عام ١٤٤٢.

ويجدر الإشارة إلى أن تزايد قوة الدولة العثمانية الإسلامية، واستيلائها

---

(١) للتوسع فى دراسة رحلات ماركو بولو انظر:

- Komroff, M., The travels of Marco Polo, N.Y., 1930.

على مساحات واسعة من وسط آسيا أدى إلى غلق الطرق البرية التى تربط بين أوربا والشرق مما دفع الأوربيين إلى البحث عن طريق آخر بحرى، وهو ما تحقق بالفعل عقب اكتشاف طريق الدوران حول أفريقيا للوصول إلى الهند عام ١٤٩٧ لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الكشوف الأوربية فى آسيا، ومن أشهر الرحلات التى قام بها الأوربيون إلى القارة نذكر ما يلى:

- رحلة فردريك إلى الهند وسيلان وجزر الهند الشرقية والطرف الجنوبى لشبه جزيرة الملايو خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٥٦٢ - ١٥٨١م.
- رحلات بدرو وتيكسيرا خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٥٨٨ - ١٥٩٧ والتى زار خلالها ساحل شرق البحر المتوسط وأراضى الرافدين وبلاد فارس وجزر الهند الشرقية والفلبين.
- رحلة متيو رياكى إلى الصين عام ١٦٠١م. وهى من رحلات التبشير بالمسيحية فى هذه البلاد.
- رحلة بترو دى لافالى إلى جنوب غربى آسيا وشبه القارة الهندية خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٦١٤ - ١٦٢٦.
- رحلة انتونى دى انكرادى إلى شبه القارة الهندية والتبت عام ١٦٢٤، ويعد انتونى أول أوربى يتسلق مرتفعات الهملايا.
- رحلة جروزير إلى بلاد الصين عام ١٦٥٦، وقد زار فى طريق العودة التبت وشبه القارة الهندية.
- رحلة توماس بورى التى بدأت عام ١٦٦٦ وزار خلال جهات عديدة من شبه القارة الهندية، بالإضافة إلى بعض جهات جنوب شرقى آسيا.

- رحلة لالوبير إلى شبه جزيرة الهند الصينية عام ١٦٩٢ وهى من رحلات التبشير بالمسيحية، ويعد وصف لالوبير لهذا الجزء من القارة وخاصة مملكة سيام من أهم ما كتب عن هذه البقاع وأشمله خلال هذه الفترة.

الكشوف الجغرافية في شبه الجزيرة العربية:

ظلت شبه الجزيرة العربية مجهولة بالنسبة للأوربيين لفترة طويلة من الزمن لشدة جفافها وارتفاع درجة حرارتها واتساع رقعتها وتباين خصائص جهاتها المختلفة وصعوبة اختراق صحاريها القاحلة شاسعة المساحة، إلى جانب الأخطار المحتملة من قبل القبائل التى يكتنفها الكثير من الغموض والتى يسود بينها روح العداء للأغراب من الأوربيين، بالإضافة إلى الظروف السياسية الدولية حيث كان معظم شبه الجزيرة الأوربية يخضع لحكم الدولة العثمانيه القوية، كل هذه أمور حالت دون نشاط الأوربيين فى هذا الجزء من القارة الآسيوية، ومع ذلك كان هناك دوافع لبعض الأوربيين لكشف النقاب عن هذا الجزء الغامض بالنسبة لهم، ولعل أهم هذه الدوافع الرغبة فى الثراء إذ فكر البعض فى الاستيلاء على جزء من كنوز مملكة سبأ القديمة فى اليمن، وخاصة أنه كان سائداً بين الأوربيين فكرة وجود كنوز لملكة سبأ فى مأرب حيث يوجد قصرها ومعبدها الشهير.

ولا يمكن إغفال عامل حب المغامرة وكشف المجهول من الدوافع التى دفعت بعض الأوربيين إلى ارتياد شبه الجزيرة العربية والتى وصلت بالبعض منهم إلى حد التنكر غير الشريف بالاعلان عن اعتناق الإسلام حتى تتاح

لهم فرصة دخول شبه الجزيرة العربية والتجول بين أنحائها المختلفة وخاصة الأراضى المقدسة فى أمان.

ويعد لودفيكو فارثيما Ludovico Di Varthema الايطالى أول رحالة من غير المسلمين يزور منطقة الحجاز، وقد بدأ رحلته من القاهرة عام ١٥٠٣ عندما أعلن إسلامه واتخذ لنفسه اسماً عربياً حتى يستطيع الالتحاق بقافلة الحجاج وبذلك تمكن من دخول المدن المقدسة، وبعد انتهاء مناسك الحج انفصل عن قافلة الحجاج المصرية واتجه صوب اليمن حيث انتحل شخصية تاجر للأسلحة التى كان يحتاج إليها العرب فى حربهم ضد البرتغال خلال هذه الفترة، وغادر دى فارثيما بعد ذلك شبه الجزيرة العربية متوجهاً إلى شبه القارة الهندية وجزر الهند الشرقية والتى قضى فيها فترة طويلة عاد بعدها إلى ايطاليا حيث نشر له كتاب فى روما عام ١٥١٠ وصف فيه مغامراته وضمنه وصفاً دقيقا لمدينة مكة المقدسة وعرضا لشعائر الحج عند المسلمين(١).

ويعد جوزيف بيتس Joseph Pitts البريطانى ثانى أوربى يصل إلى الأراضى المقدسة فى الحجاز وكان ذلك عام ١٦٨٥ عندما وصل مع سيده لآداء فريضة الحج(٢) واستطاع الهروب بعد ذلك من سيده والعودة إلى بلاده حيث نشر كتاباً تضمن معلومات وتفصيلات كثيرة عن الأراضى المقدسة فى غرب شبه الجزيرة العربية. ومع بداية القرن التاسع عشر أى عام ١٨٠١

(١) The Encyclopedia of discovery and exploration, Exploring Africa and Asia, N.Y., 1973, p. 347.

(٢) كان جوزيف بيتس بحاراً بريطانيا أسره قراصنة شمال أفريقيا من البربر وباعوه كعبد لأحد المسلمين عن طريق تجار الرقيق.

وصل إلى الحجاز مغامر أسبانى تحت اسم على بك، وبعد أداء فريضة الحج مع المسلمين فى مكة استطاع تحديد الموقع الفلكى للمدينة المقدسة بصورة دقيقة عن طريق بعض الأجهزة التى حملها معه(١).

وبعد ثمانى سنوات أى عام ١٨٠٩ قام أولرش جسبر Ulrich Jaspar Seetzen وهو عالم نبات ألمانى الجنسية برحلة إلى مكة متخفياً فى زى المسلمين واستطاع زيارة الأراضى المقدسة وخاصة مكة والمدينة، بالإضافة إلى مناطق عديدة بشبه الجزيرة العربية حتى قتل بالقرب من تعز باليمن عام ١٨١١.

وتعد بعثة كرستين نيبور Carsten Niebuhr التى أوفدها فريدريك ملك الدنمارك إلى اليمن عام ١٧٥٩ أول بعثة أوربية تصل إلى شبه الجزيرة العربية، وكان الهدف من هذه البعثة جمع كافة المعلومات المتاحة عن بلاد اليمن، وبدئ فى تجهيز البعثة عام ١٧٥٩ ووصلت بالفعل إلى جدة عام ١٧٦٢ ثم غادرتها إلى اليمن حيث جمعت معلومات وافية عن موارد البلاد ومدنها وسكانها، بالإضافة إلى الكثير من المعلومات عن سهول تهامة، وقد نشرت هذه المعلومات والبيانات فى كتاب قيم صدر عام ١٧٧٢.

وشهدت شبه الجزيرة العربية حركة دينية تدعو إلى إصلاح ما أصاب المسلمين من ضعف وركود فى حياتهم الدينية والاقتصادية والسياسية وخاصة بعد ابتعادهم عن أصول الإسلام، وعرفت هذه الحركة بالدعوة الوهابية، وكان ذلك خلال أواخر القرن الثامن عشر، وقد وقف السلطان العثمانى فى وجه هذه الدعوة وأوعز إلى محمد على والى مصر بارسال

---

(١) الاسم الحقيقى لهذا المغامر الاسبانى غير معروف، لذا تطلق عليه المصادر المختلفة اسم على بك Aly Bey.

وتعد بداية القرن العشرين العصر الذهبى للكشوف الجغرافية فى شبه الجزيرة العربية لتطور طرق ووسائل النقل التى سهلت الوصول إلى نطاقات واسعة من هذه المنطقة القاحلة. وكان دوجلاس كروثرس ... Douglas Carruthers أول رحالة أوربى يقوم برحلة هامة فى شبه الجزيرة العربية خلال القرن العشرين، حيث بدأ رحلته عام ١٩٠٩ متجهاً من الحجاز صوب الشرق وبصحبته عدد من أفراد قبيلة بنى صقر حتى بلغ واحة تيماء - شمال شرق مدائن صالح - وأجبرته السلطات المحلية على مغادرة الواحة حيث اتجه صوب الشمال حتى وصل إلى سوريا، وجمع دوجلاس معلومات قيمة عن العديد من طرق القوافل القديمة فى هذه المنطقة ومعالمها الرئيسية التى شملت آبار المياه الجوفية والحانات.

وخلال الفترة الممتدة بين عامى ١٨٩٦ - ١٩١٥ قام الويسوس موزل Aloysius Musil وهو أستاذ للدراسات الشرقية بجامعة براغ(١) بعدة رحلات إلى كل من نجد وجنوب العراق والصحراء السورية.

ويعد شكسبير W. Shakespear من الرحالة الأوربيين الذين نجحوا فى اختراق شبه الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب وكان ذلك عام ١٩١٤ حين عبر صحراء النفوذ فى الشمال حتى وصل إلى الرياض، وفى طريق العودة اخترق منطقة كانت مجهولة تماماً للأوربيين خلال هذه الفترة وهى تلك المحصورة بين الجوف والعقبة. ومن الرحلات الهامة فى أوائل القرن العشرين رحلة جرتروب بيل Gertrube Bell وهى امرأة بريطانية تتمتع بشخصية قوية مكنتها من القيام برحلة عام ١٩١٣ إلى النطاق الواقع إلى الشرق من سكة حديد الحجاز حيث عبرت الصحراء ووصلت إلى حائل، ثم اتجهت بعدها صوب العراق فى الشمال الشرقى حتى وصلت بغداد، وواصلت

---

(١) Sharaf, A. T., op. cit., p. 265.

رحلتها بعد ذلك خيث زارت تدمر ودمشق، وقد جمعت جرتروب معلومات جغرافية قيمة عن الجهات التى زارتها فى شمال شبه الجزيرة العربية.

ويضم سجل الرحالة الأوربيين الذين تجولوا فى شبه الجزيرة العربية خلال القرن العشرين الأسماء التالية:

- برترام توماس Bertram Thomas، بدأ حياته فى خدمة الحكومة البريطانية فى العراق وشرق الأردن، ثم عمل بعد ذلك مستشاراً لسلطان مسقط الذى مول رحلته لعبور صحراء الربع الخالى عام ١٩٣٠.

وبدأت المرحلة الأولى للرحلة عند رأس الحد الواقعة عند أقصى شرق شبه الجزيرة العربية، ثم اتجه توماس صوب الغرب فى اتجاه مرتفعات ظفار التى عبرها واستمر فى اتجاهه صوب الغرب عبر النطاق شبه الصحراوى، ثم غير اتجاهه نحو الشمال ليخترق المنطقة الرملية الصعبة البالغ طولها نحو ٤٠٠ ميل والتى تبدأ من عين للمياه الجوفية تعرف باسم ستاو وتنتهى عند نقطة تقع على بعد ١٠٠ ميل تقريباً من شاطئ الخليج العربى، ونجح توماس فى الوصول بعد ذلك إلى الدوحة على ساحل قطر فى ٥ فبراير عام ١٩٣١. ويرجع نجاح رحلة توماس إلى درايته الكبيرة بالدروب الصحراوية وكيفية التعامل مع الظروف الصحراوية الصعبة وذلك من خلال الفترة الزمنية الطويلة التى قضاها فى العالم العربى (شكل رقم ٩).

- جون فيلبى John Philby، بدأ حياته أيضاً فى خدمة الحكومة البريطانية فى العراق، ثم عمل بعد اعتناقه الإسلام مستشاراً للملك عبد العزيز بن سعود، وهو يعد ثانى أوربى ينجح فى عبور صحراء الربع الخالى رغم أنه جهز لرحلته خلال نفس الفترة التى جهز فيها توماس لرحلته من مسقط.

.ويدأ جون فيلبى رحلته من الهفوف فى شرقى السعودية فى ٧ يناير عام ١٩٣١ حيث اتجه صوب الجنوب الشرقى إلى قطر ومنها غير اتجاهه صوب الجنوب حتى بلغ ستاو متتبعاً نفس طريق توماس تقريباً ولكن فى اتجاه معاكس، ومعنى ذلك أن فيلبى عبر صحراء الربع الخالى من الشمال إلى الجنوب(١) .

– لورانس T. E. Lawrence، كان جندياً ومغامراً ودارسا للآثار أكثر منه جغرافيا لذلك تقل إضافاته للمعرفة الجغرافية كثيراً عن إضافات زملائه الأوربيين الذين سبقوه فى هذا الصدد، وترجع شهرته إلى تجولاته العديدة فى شبه الجزيرة العربية خلال فترة الحرب العالمية الأولى، لذا أطلق عليه لقب لورانس العرب ... Lawrence of Arabia .

الكشوف الجغرافية في شمالي آسيا:

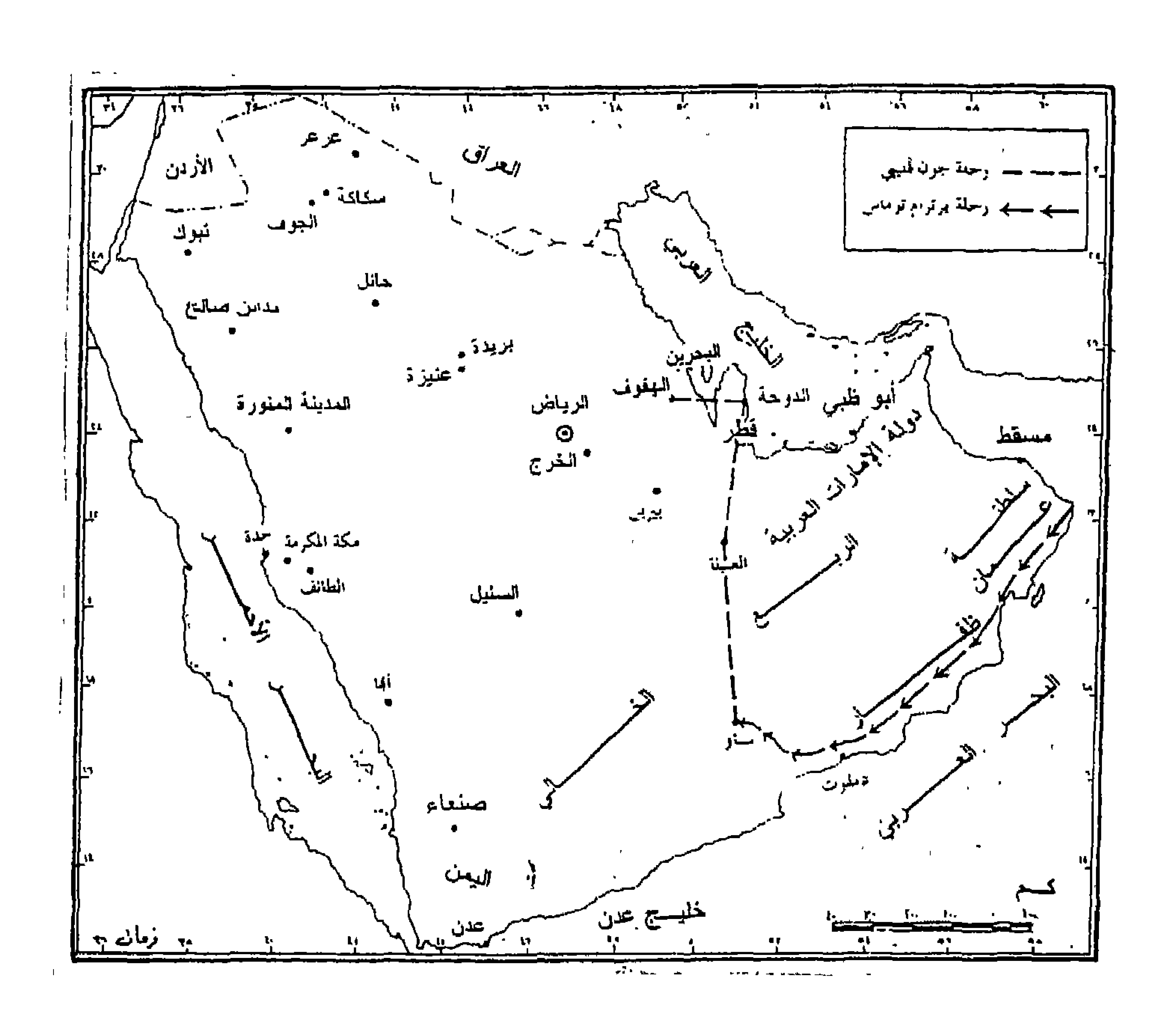
ظل الجزء الشمالى من آسيا مجهولاً تماماً بالنسبة للأوربيين رغم ضخامة مساحته حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادى، ومرد ذلك مجموعة من العوامل الجغرافية شكلت عوائق أخرت من اكتشاف هذا النطاق، وتأتى قسوة الظروف المناخية فى مقدمة هذه العوامل حيث تنخفض درجة الحرارة فى معظم جهات هذا النطاق إلى ما تحت الصفر معظم شهور السنة، ولتأكيد قسوة الظروف المناخية نذكر أن ثانى أدى درجة حرارة سجلت في العالم وهى ٧٩,٩° ف تحت الصفر سجلت فى منطقة فرخويانسك فى أقصى شمال شرقى آسيا، كما أن ضخامة المساحة أدت إلى انعزال الأجزاء الداخلية وبعدها عن أى مؤثرات بحرية مما أسهم فى تطرف خصائص المناخ بصورة حادة.

وتتجه الأنهار الرئيسية هنا صوب الشمال لتصب فى المحيط المتجمد

---

(١) للتوسع فى دراسة رحلتى توماس وفيلبى عبر صحراء الربع الخالى انظر:

- The encyclopedia of discovery, op. cit., pp. 399٨- 404.



شكل [٩]

اختراق الربع الخالي

الشمالى مما يقلل من أهميتها دورها الملاحى، إلى جانب انتشار المستنقعات الواسعة على ضفاف الأنهار وخاصة خلال فصلى الربيع والصيف عندما تذوب الثلوج، وقد أسهم فى ذلك بطء انحدار سطح الأرض صوب الشمال وانخفاض منسوب ضفاف الأنهار مما أدى إلى انتشار العديد من الأمراض الوبائية خلال فترات طويلة من السنة.

وكان كشف شمالى القارة يتطلب الاتجاه من الغرب صوب الشرق - إلى ما وراء جبال أورال التى لم تشكل عقبة تحول دون الاتجاه صوب الشرق فى أية مرحلة من مراحل التاريخ - حيث لم يكن أحد قد اكتشف مضيق برنج الذى يفصل بين القارة الآسيوية وأمريكا الشمالية، ومعنى ذلك أن الاتجاه صوب الشرق إلى ما وراء الأورال كان يعنى مقابلة كل العقبات الطبيعية السابق الإشارة إليها، إضافة إلى الأخطار المحتملة من قبل المغول وقبائل سيبيريا المختلفة التى يرجح أن تسود بينها روح العداء للأغراب بحكم حياتهم المنعزلة تماماً عن العالم.

ورغم ما أشرنا إليه فإن روح المغامرة والرغبة فى البحث عن الممر الشمالى الشرقى الذى يمكن بعبوره الوصول إلى أمريكا الشمالية، إلى جانب الرغبة فى العمل بتجارة الفراء التى تجد أسواقاً رائجة لها فى قارة أوربا كانت أهم الدوافع التى شجعت على ارتياد المجهول فى هذا الجزء من آسيا.

وتبدأ قصة الكشوف الجغرافية فى شمالى آسيا بأسرة روسية تعمل بتجارة الفراء حاولت بالتعاون مع أفراد من قبائل الساموبد - التى تقطن شمالى سيبيريا - التى تعمل معها فى تجارة الفراء الاتجاه صوب الشرق عبر مرتفعات أورال للإقامة بالقرب من مراكز تجمعات جماعات الصيد وكان ذلك عام ١٥٦٠ ، ونجحت الأسرة فى ذلك وحققت ثراء كبيراً من تجارة الفراء مما شجعها على المضى فى الاتجاه صوب الشرق لإقامة عدد من مراكز تجميع الفراء والتجارة مع قبائل السمويد التى كانت تقوم بدور

الوساطة بين قبائل سيبيريا المختلفة ومراكز تجميع الفراء. وحدث أن أغار المغول بعد عدة سنوات على قبائل الساموييد وقطعوا الطرق التى كانت تسلكها لتوصيل الفراء إلى مراكز التجميع فى الغرب مما هدد تجارة الفراء بالاضمحلال، إلا أن إيفان الرهيب Ivan the terrible قيصر روسيا فى ذلك الوقت أرسل قوات من جنود القوزاق بقيادة يرمك Yermek لحماية المراكز التجارية ومطاردة قبائل المغول، وقد تحقق ذلك حيث نجح جنود القوزاق فى هزيمة المغول، ومطاردتهم صوب الشرق حتى تم الاستيلاء على عاصمتهم المعروفة باسم سيبير Sibir الواقعة على نهر أرتش فى ٢٥ أكتوبر عام ١٥٨١[١] وشيد الروس محلة عمرانية وحصناً بالقرب من عاصمة المغول القديمة وأطلقوا على المركز الجديد اسم توبولسك Tobolsk ... الذى أصبح يمثل مركزاً عمرانياً وتجارياً للروس فى غرب سيبيريا مما شجع على استمرار التقدم صوب الشرق ليزداد اتصال تجارة الفراء الروس بقبائل سيبيريا فى حماية جنود القيصر من القوزاق مما أدى إلى نشاط هذه التجارة التى بلغ حجمها نحو مليون قطعة فراء عام ١٦٠٠.

ونتج عن الأوضاع الجديدة وما تبعها من استقرار الأمور وسيادة الأمن تأسيس سلسلة من المدن التجارية بصورة تدريجية بدأت بمدينة تومسك Tomsk على نهر أوب عام ١٦٠٤، ووصل الروس إلى نهر ينسى لأول مرة عام ١٦١٠ حيث أسسوا مدينة كرسنو يارسك فى الجزء الأعلى من مجراه عام ١٦٢٧، كما اكتشفوا نهر أنجارا وبحيرة بيكال خلال تتبعهم للمجارى العليا لنهر ينسى ووجدوا قبائل متخلفة أشهرها التونجس تستخدم أدوات حجرية وتعيش على شواطئ بحيرة بيكال فى كهوف بدائية وتحترف رعى الحيوانات وصيد الأسماك من البحيرة. ونجح الروس فى مرحلة تالية بمعاونة القوزاق فى الوصول إلى نهر لينا بالجزء الشرقى من سيبيريا حيث

---

(١) The encyclopedia of discovery, Ibid., p. 35.

أسسوا مدينتى ينيسيك Yeniseysk عام ١٦١٩ ، ياكوتسك Yakutsk عام ١٦٣٢ واللتين بدأ منهما تحركات الروس صوب الشرق منذ عام ١٦٣٨ لعبور مرتفعات فرخوينسك وما يليها من سهول يخترقها نهر Okhota حتى بلغوا بحر أوختسك، كما وصل الروسى بويركوب Poyrekop إلى مصب نهر أمور شمال خليج ترترى عام ١٦٤٣.

وبذلك نجح الروس بمعاونة جنود القوزاق المغامرين خلال القرن السابع عشر فى اكتشاف أطول وأصعب طريق يمر فى النطاق الشمالى - ذى الخصائص الطبيعية الصعبة - من قارة آسيا التى تعد أكبر قارات العالم على الإطلاق، وهو انجاز يسجله لهم التاريخ لتبدأ بعد ذلك سلسلة من المصادمات بين الدولة الروسية وامبراطورية الصين التى يمثل نهر أمور حدها الشمالى، حيث عمد الجنود القوزاق إلى مهاجمة مراكز العمران الواقعة على طول مجرى النهر لتأكيد سيطرة الروس، وجاء رد الصينيين بعد سنوات معدودة حين هاجمت القوات الصينية عام ١٦٨٤ كل مراكز العمران التى أقامها الروس على طول مجرى نهر آمور وألحقت بالقوات الروسية هزيمة قاسية مما أدى فى النهاية إلى عقد معاهدة صلح بين الدولتين اعترفت فيها روسيا بحق الصين فى وادى آمور مقابل حصولها على بعض المكاسب والمراكز التجارية فى حوض النهر.

وشارك بعض الدبلوماسيين فى إضافة الكثير من المعلومات الجغرافية عن شمالى آسيا حيث أدى إمتداد الكشوف الجغرافية الروسية صوب الشرق إلى حدوث مشاكل واحتكاكات عديدة مع امبراطورية الصين وخاصة فيما يتعلق بوادى نهر آمور كما أشرنا ومنطقة منشوريا، لذلك كان لابد من تكثيف المفاوضات بين الدولتين بإرسال السفراء والبعثات الدبلوماسية عبر وسط وشمال آسيا وقد نجح بعض الدبلوماسيين فى جمع معلومات قيمة ودقيقة عن هذه المناطق، ويعد سباثاريس Spatharis السفر الروسى - من أصل يونانى - أول دبلوماسى يشارك فى إثراء المعرفة الجغرافية عن الأجزاء الداخلية والشمالية من القارة حيث كلفه قيصر روسيا عام ١٦٧٦

بإجراء مفاوضات مع الجانب الصيني في الصين، لذلك بدأ رحلته من موسكو حيث مر بمدينتي تومسك وينيسيسك ومنطقة بحيرة بيكال ومنغوليا التي دخل بعدها أراضي الصين، وقد قدم سباثاريس وصفاً دقيقاً ومعلومات قيمة عن كل المناطق التي زارها. ومن الدبلوماسيين الذين شاركوا في هذا المجال الدنماركي اديس ..Idesالذي نشر المعلومات التي جمعها عن المناطق التي زارها في كتاب ترجم إلى عدة لغات، وكان له الفضل الأول في معرفة العالم بانجازات الروس في الكشوف الجغرافية بشمالي آسيا.

ومن الدبلوماسيين الصينيين الذين شاركوا في تزايد المعرفة الجغرافية عن الأجزاء الشمالية والوسطى من القارة جربيلون ... Gerbillonوهو من رجال الدين وكان سفيراً للصين في موسكو، وقد نشر معلومات قيمة عن المناطق التي زارها في هذه الأجزاء من آسيا وخاصة منطقة بحيرة بيكال ومنغوليا.

ونشطت البعثات الكشفية بصورة ملموسة بعد وفاة بيتر قيصر روسيا العظيم عام ١٧٢٥[١] والذي وضع قواعد وأسس ثابتة لتطوير الدولة بصورة شاملة، لذا وجه بطرس الأكبر قيصر روسيا الجديد اهتمامه بالشرق الأقصى بهدف التحقق من صدق ما يقال عن وجود ممر بحري يفصل بين أقصى شمال شرقي الدولة الروسية وشمال غربي أمريكا الشمالية، لذلك كلف الدنماركي فتوس برنج ... Vitus Bering عام ١٧٤١ بالتأكد من ذلك، واتجه الدنماركي بالفعل صوب المنطقة المشار إليها ونجح في اكتشاف المضيق البحري الذي يفصل بين آسيا وأمريكا الشمالية والذي يحمل اسمه حتى الوقت الحاضر رغم الصعوبات التي واجهت بعثته من قسوة الظروف المناخية وشدة العواصف الثلجية وتمرد البحارة[٢].

---

(١) Broek, J, & Webb, J., Ageography of Mankind, N. Y., 1973, pp. 210 - 211.

(٢) توفي برنج أثناء رحلته ودفن في جزيرة صغيرة تحمل اسمه حتى الآن Bering Island.

ونجح الروس بعد اكتشاف مضيق برنج فى الوصول إلى أمريكا الشمالية حيث ركزوا اهتمامهم على شبه جزيرة الاسكا التى أسسوا فيها أول مركز تجارى، وظلت ألاسكا إقليماً روسياً حتى عام ١٨٤٧ حين تم بيعها للولايات المتحدة الأمريكية بمبلغ ٧,٢ مليون دولار أمريكى[١].

ومن أشهر المستكشفين الروس خلال القرن التاسع عشر الرحالة برزفلسكى A. M. Prjevalsky الذى قام بأربع رحلات بدأت عام ١٨٧١ واستغرقت عدة سنوات، ومثلت هذه الرحلات نقطة تحول فى المعلومات الجغرافية الخاصة بالجزء الأوسط من القارة وخاصة منطقة التبت المجهولة للعالم حتى هذه الفترة، فقد أضاف برزفلسكى معلومات قيمة ودقيقة عن كل جوانب الحياة البشرية وخاصة العمران وطرق النقل ، بالإضافة إلى تسجيله للخصائص الطبيعية للمناطق التى زارها والتى يأتى فى مقدمتها بحيرتى بيكال وبلكاش، وأحواض تاريم وتسيدام وصحراء جوبى، إلى جانب «لاسا» عاصمة التبت ومرتفعات التين تاغ وتيان شان ، وقد نجح برزفلسكى لأول مرة فى عبور كل من مرتفعات التين تاغ وصحراء جوبى خلال رحلته الثالثة التى بدأت عام ١٨٧٩.

ونجح سير فرنسيس ينجهسباند Francis Yaunghusband الذى بدأ رحلته من بكين عام ١٨٨٦ فى عبور صحراء جوبى وإقليم التركستان الصينية والوصول إلى كشمير بعد عبوره مرتفعات قره قورم من خلال بعض الأودية الجليدية لأول مرة، ومن أهم الانجازات التى سجلت لسير فرنسيس كانت عام ١٩٠٤ عندما قاد بعثة دبلوماسية أوربية إلى مدينة لاسا – عاصمة التبت – وهو حدث تاريخى يمثل أول اتصال لهذه البقعة الداخلية النائية.

---

(١) حدد هذا المبلغ على أسس بنس – السنت – ١ : ١٠٠ من الدولار الأمريكى – للإكر (الفدان – ١,٠٣٨ اكر) one penny an acre.

ومن الأوربيين الذين وصلوا إلى التبت الرحالة والدارس السويدى سفن هدن .. Seven Hedin الذى بدأ رحلته عام ١٨٩٥ ومسح مساحات واسعة من التبت والبامير وحوض تسيدام، ونجح فى تحديد الطريق الصحراوى المؤدى إلى لوب نور ... Lop Nor، كما اكتشف مناطق عديدة من اقليم سنكيانج Sinkiang عام ١٨٩٩ . واخترق التبت من جهة الشمال ووصل إلى الروافد العليا لنهر البراهما بوترا عام ١٩٠٦ ، وجمع هدن خلال رحلته العديد من الحقائق الجيولوجية والطبيعية، كما استطاع عبور مرتفعات الهملايا(١) .

(١) للتوسع فى دراسة الرحلات الكشفية عبر صحارى وسط آسيا ومرتفعات الهملايا انظر :
- The encyclopedia of discovery, op. cit., pp. 92 - 104 & pp.

تذكر أن :

- تتصدر آسيا قارات العالم من حيث المساحة (ثلث يابس العالم «١٧ مليون ميل مربع») وحجم السكان (ثلثى سكان العالم تقريباً) والامتداد الفلكى (تمتد فى نحو ٩١ دائرة عرضية، ١٣٥ خطا من خطوط الطول).
- الأقاليم المجهولة من القارة كانت محدودة المساحة لظهور العديد من الحضارات القديمة فى جهاتها المختلفة (حضارات الصين، شبه القارة الهندية، أراضى الرافدين، الساحل الفينيقى، سواحل الأناضول، إلى جانب حضارات اليمن)، بالإضافة إلى اتساع معرفة سكان القارة عن العديد من أقاليمها بتأثير عاملى التجارة ورحلات الحجيج إلى الأراضى المقدسة.
- انتشار الأديان الآسيوية غير السماوية (الكونفوشية، البوذية، الهندوكية وغيرها) أدى إلى تعدد المزارات المقدسة لهذه الأديان وإتجاه الحجاج والكهنة لزيارتها فى مواسم محددة مما ساهم فى اتساع معرفة أهل القارة لأقاليمها المختلفة.
- الظروف الطبيعية القاسية لبعض أقاليم القارة، كالموقع الجغرافى المتطرف وصعوبة خصائص البيئة الطبيعية وخاصة ما يتعلق بالجفاف وتطرف درجات الحرارة أسهمت فى تأخر معرفة الأوربيين للعديد من أقاليم القارة (سيبيريا، شبة الجزيرة العربية).
- المصريون القدماء - الفراعنة - هم أول من وصل إلى آسيا من سكان القارات الأخرى واكتشفوا أجزاءً منها وتعاملوا مع سكانها ونقلوا إليها مؤثرات حضارية جديدة.
- يضم متحف تورين بشمالى إيطاليا خريطة مصرية قديمة توضح الطريق الذى سلكته جيوش سيتى الأول - من ملوك الأسرة التاسعة عشرة - (١٣٠٢ - ١٢٩٠ ق.م) فى حملته على غربى آسيا،
- المعرفة الاغريقية لجغرافية غربى آسيا - أقرب الأقاليم الآسيوية إلى موطن الاغريق فى بحر إيجه - لم تتجاوز نطاقات الموانى البحرية وبعض مجارى

الانهار الصالحة للملاحة وكل ما كان مدوناً عنها بمعرفة الفينيقيين.

- بإنتصار الاسكندر الاكبر (٤٨٥ - ٤٢٥ ق.م) على الفرس واتساع امبراطوريته حتى الهند عرف الأوربيون ولأول مرة الكثير عن جغرافية بعض اقاليم آسيا.

- لعاملي ظهور الدين الإسلامي الحنيف وإنتشاره، ونشاط حركة التجارة العربية فى جنوب شرقى آسيا أثر مباشر فى نشاط حركة الكشوف الجغرافية العربية فى القارة خلال العصور الوسطى.

- وصل الصينيون إلى أقصى أطراف جنوبى وجنوب شرقى آسيا وخاصة جزر الهند الشرقية حيث كان لهم نشاط تجارى كبير إمتد إلى هذه الاقاليم التى تمركز فيها التجار العرب الذين كان لهم مراكز تجارية مشهورة خلال هذه الفترة على السواحل الغربية والجنوبية من شبه القارة الهندية وسيلان وملديف وملقا وجزيرتى سومطرة وجاوة، وكان يتم فى هذه المراكز تبادل البضائع والسلع بين الصينيين والعرب.

- تجاوز نشاط العرب التجارى ومعرفتهم حدود الدولة الإسلامية حيث دخلت سواحل شبه القارة الهندية (كروماندل، ملبار) وسيلان وجزر أندامان ونيكوبار وملديف، والملايو وجزر الهند الشرقية، ووسط آسيا، وبعض أقاليم الصين دائرة المعرفة الجغرافية عند العرب.

- السفن العربية كانت تمخر عباب بحر العرب والمحيط الهندى (البحر الفارسى) مستغلة فى ذلك اتجاه الرياح الموسمية واستخدام البوصلة لتربط بين المراكز التجارية فى بلاد العرب والمراكز الساحلية التى أقاموها فى العديد من جهات شرقى وجنوب شرقى آسيا (الصين، شيلا - كوريا حالياً - ، بلاد واق واق - جزر اليابان- شبه جزيرة الملايو).

- سجل العرب معرفتهم الجغرافية باقاليم القارة الاسيوية فى العديد من المؤلفات يتصدرها ما يأتى:

* المسالك والممالك (أبو القاسم عبد الله ابن خرداذبة).

* عجائب الهند بره وبحره وجزائره (سليمان التاجر).
* تاريخ الهند (البيرونى).
* نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق (الادريسى).
* تحفة الألباب ونخبة الأعجاب (أبو حامد الغرناطى).
* معجم البلدان (ياقوت الحموى).
* المؤلفات العديدة لابن بطوطة.
* بدأ نشاط الأوربيين الكشفى فى آسيا - مهبط الأديان السماوية - بالتبشير للمسيحية عندما أرسل بابا الفاتيكان إلى بلاد المغول فى شرقى القارة أحد رجال الدين (بلانودى كربيف) للتبشير بدين السيد المسيح وكان ذلك عام ١٢٤٥م.
* الصراع الخفى لأوروبا مع الشرق المسلم (ممثلاً فى الدولة العثمانية)، ومحاولة إقامة علاقات تجارية مباشرة مع آسيا بدون وساطة العرب تعد من أهم مبررات نشاط التبشير الأوربى فى آسيا.
* الإخوان بولو وبصحبتهما ماركو ابن نيكولو.بدأو رحلتهم الثانية عام ١٢٧١، وجابوا جهات واسعة من القارة حتى وصلوا إلى بلاد الصين بعد ثلاث سنوات من بدء الرحلة.
* تعددت رحلات ماركو بولو داخل الصين، وبعد سبعة عشر عاماً قضاها ماركو بولو وأبيه وعمه حصلت الأسرة على موافقة كوبلاى خان امبراطور الدولة للعودة إلى الوطن.
* رحلات ماركو بولو الشهيرة فى الصين أسهمت فى تزايد معلومات الأوربيين عن قارة آسيا وخاصة الصين والتبت وبعض جهات شرقى آسيا، مما شجع الأوربيين على القيام بالعديد من الرحلات الكشفية إلى آسيا بعد ذلك.
* ظلت شبه الجزيرة العربية مجهولة بالنسبة للأوربيين لفترة طويلة من الزمن لشدة جفافها وارتفاع درجة حرارتها واتساع رقعها وتباين

خصائص جهاتها المختلفة وصعوبة اختراق صحاريها القاحلة، شاسعة المساحة (النفوذ، الدهناء، الربع الخالى).

* حب المغامرة وكشف المجهول والرغبة فى كشف النقاب عن هذا الجزء الغامض من القارة تعده من أهم دوافع الأوربيين إلى ارتياد شبه الجزيرة العربية.

* الإيطالى لودفيكو فارتيما هو أول رحالة غير مسلم يزور اقليم الحجاز، وقد بدأ رحلته من القاهرة عام ١٥٠٣.

* الرحالة الانجليزى سادلير هو أول أوربى يعبر شبه الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب وكان ذلك عام ١٨١٩م.

* الرحالة البريطانى برترام توماس هو أول أوربى يعبر صحراء الربع الخالى من الجنوب إ الشمال، وكان ذلك عام ١٩٣٠.

* الرحالة البريطانى جون فيلبى هو ثانى أوربى يعبر صحراء الربع الخالى وذلك من الشمال إلى الجنوب عام ١٩١٣.

* قسوة الظروف المناخية وتطرف الموقع الجغرافى وإتساع المساحة وعداء القبائل المحلية تعد أهم العوامل التى أخرت كشف الأوربيين لشمالى آسيا (صحراء سيبيريا) حتى منتصف القرن السادس عشر.

* نجح الروس بمعاونة جنود القوزاق المغامرين خلال القرن السابع عشر فى اكتشاف أطول وأصعب طريق يخترق النطاق الشمالى لآسيا.

* الخصائص الطبيعية الصعبة – التى تعد أوسع قارات العالم مساحة.

* بطرس الأكبر قيصر روسيا هو الذى مول رحلة الدنماركى فتوس برنج عام ١٧٤١ لكشف المضيق البحرى الفاصل بين قارتى آسيا وآمريكا الشمالية ونجح برنج فى رحلته واكتشاف المضيق الذى يحمل اسمه، وتوفى أثناء الرحلة ودفن فى جزيرة صغيرة تحمل اسمه حتى الآن تتوسط المضيق.

الباب الثالث

الكشوف الجغرافية في العالم الجديد

- الفصل السادس: الكشوف الجغرافية في امريكا الأنجلوسكسونية
- الفصل السابع: الكشوف الجغرافية في امريكا اللاتينية
- الفصل الثامن: الكشوف الجغرافية في استراليشيا
- الفصل التاسع: الكشوف الجغرافية في المناطق القطبية

الفصل السادس
الكشوف الجغرافية في امريكا الانجلوسكسونية

- مقدمة
- رحلات الكشوف الأولي
- رحلات كريستوفر كولومبس
- الكشوف الجغرافية الأسبانية
- الكشوف الجغرافية الفرنسية
- الكشوف الجغرافية البريطانية
- الكشوف الجغرافية الروسية

مقدمة:

ليس من شك فى أن البحث عن طريق بحرى يؤدى إلى شرقى آسيا - وخاصة بعد اكتشاف البرتغالى بارثلميو دياز Bartholomeu diaz طريق رأس الرجاء لصالح فى ٢٥ ديسمبر ١٤٩٧ والوصول إلى الهند عام ١٤٩٨ - كان من أهم الأسباب التى أدت إلى اكتشاف العالم الجديد (الامريكتين) وتنافس العديد من الدول الأوروبية للمشاركة فى هذا الكشف حيث سلك الاسبان (كريستوفر كولومبس) طريق الجنوب الغربى فالغرب، بينما سلك الانجليز والفرنسيون طريق الشمال الغربى فالغرب أو طريق الغرب بحثاً عن الممر البحرى المؤدى إلى بلاد الصين عبر جزر شمالى كندا الممتدة فى نطاق العروض القطبية.

ويرجع تأخر المحاولات الأوربية الهادفة للوصول إلى شرقى آسيا عن طريق الملاحة غرباً بوجه عام حتى بدأت فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى إلى عدة عوامل يأتى فى مقدمتها ما يأتى:

١- بعض الصعوبات الجغرافية التى حالت دون سهولة الملاحة البحرية بالاتجاه صوب الغرب والمتمثلة فى وقوع قارة اوربا فى مهب الرياح العكسية الهابة من الغرب إلى الشرق أى الآتية من ناحيه المحيط الاطلسى، إلى جانب تحرك المياه السطحية للمحيط أمام معظم السواحل الأوربية فى شكل تيار بحرى يتحرك صوب الشرق (تيار الخليج الدفيئ) وهى ظواهر طبيعية لها تأثيرها الكبير فى مجال النقل البحرى خلال عهد الملاحة الشراعية.

ولذلك عندما قام كولومبس بثانى المحاولات الأوربية لعبور المحيط الكبير (الأطلسى)[١] إتجه صوب الجنوب الغربى بوجه عام مستفيداً من

---

(١) يعد ليف إركسون Life Erikson النرويجى (من الفايكنج) أول أوربى يعبر المحيط الأطلسى الشمالى وكان ذلك عام ٩٩٩ ميلادية.

إتجاه تيار كناريا البارد في البداية، ومن اتجاه الرياح التجارية الشمالية الشرقية التي دفعت سفنه صوب الجنوب الغربي بوجه عام، لذلك كانت جزر البحر الكاريبي هي أولى المحطات التي وصل إليها الأوربيون في عالم الامريكتين خلال القرن الخامس عشر.

٢- اتساع المحيط الأطلسي وبالتالي طول المسافة بين الساحلين الأوربي والأمريكي (أكثر من ٤٨٠٠ كيلو متراً)، مع انتشار الأساطير والقصص الخرافية التي شكلت حاجزاً نفسياً لم يستطع البحارة والملاحين كسره طوال قرون طويلة، صحيح أن سكان شمالي أوربا من الفايكنج نجحوا في القيام ببعض الرحلات البحرية التي اتجهت غرباً عبر المحيط - وذلك قبل حركة الكشوف الجغرافية الأوربية بنحو خمسة قرون - إلا أنها تمت في نفس الدوائر العرضية التي تقع فيها أوطانهم، مما أدى إلى وصولهم إلى جرينلاند.. وهي جزيرة قاحلة تتسم بصعوبة ظروفها الطبيعية وعدم ملائمتها للاستيطان البشري.

٣- بدء عصر النهضة الأوربية خلال القرن الخامس عشر والذي تم خلاله إحياء التراث الأوربي القديم متمثلاً في نشر بعض الكتابات اليونانية والرومانية القديمة وخاصة الجغرافية منها مثل أعمال اراتوستين Aratosthenes، استرابون Strabo، بطليموس Ptolomy، باولو توسكانيلي Paolo Toscanelli والتي أشارت إلى العديد من الحقائق الجغرافية لعل أميزها وجود كتلة يابسة واسعة تقع في منتصف المسافة البحرية المؤدية إلى الهند وشرقي آسيا، وربما كان لمثل هذه الأفكار العلمية - التي خرجت أساساً من الولايات الايطالية - دوراً في دفع حركة الكشوف الجغرافية الأوربية خلال أواخر القرن الخامس عشر.

٤- تطور فنون كل من الملاحة البحرية، ورسم الخرائط ودقة تمثيل المسافات والاتجاهات عليها إلى حد كبير، بالإضافة إلى تقدم صناعة بناء السفن خلال القرن الخامس عشر، وتحسين مواصفات آلة الاسطرلاب والتوسع في استخدام البوصلة البحرية.

وإذا كان التنافس على اكتشاف طريق بحرى يؤدى إلى الصين وشرقى آسيا هو الذى مكن الأوربين من اكتشاف الأمريكتين فان الثروات الطبيعية المتمثلة فى الموارد المعدنية وخاصة الذهب والفضة فى أمريكا اللاتينية، والفراء فى الأقاليم الشمالية من أمريكا الانجلوسكسونية، إلى جانب الامكانات الزراعية واسعة الانتشار شكلت الحافز الأساسى لتطور هذه الكشوف، بينما حددت الظواهر الطبيعية مساراتها. ففى أمريكا الانجلوسكسونية وصل الأسبان حتى الاطراف الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية الحالية بما فى ذلك شبه جزيرة فلوريدا سعياً وراء الذهب، فى حين سلك الفرنسيون محور اتجاهه شرقى / غربى خلال حوض نهر السانت لورانس الذى اسهم فى تقدم الفرنسيين حتى منطقة البحيرات العظمى، وهو نفس الدور الذى قام به نهر المسيسبى الذى ساعد على تقدم الكشوف الفرنسية فى محور شمالى / جنوبى حتى خليج المكسيك، فى حين استقر الانجليز على السواحل الشرقية لأمريكا الانجلوسكسونية فى البداية واخترقوا بعد ذلك نطاق مرتفعات الابلاش من أخفض نقاطه ثم استغلوا نهر أوهايو (بوابة الغرب) فى الوصول إلى النطاق الأوسط من القارة.

وأسهمت النظم النهرية العديدة والبحيرات فى أمريكا الانجلوسكسونية فى تحديد اتجاهات الكشوف جغرافيا ومراحل تطورها تاريخياً، وأن تباين دور كل منها فى هذا المجال تبعاًلعوامل الموقع الجغرافى والاتجاه ومدى الصلاحية للملاحة وطول الفترة التى تتجمد المياه خلالها.

وجدير بالذكر أن المرتفعات الغربية (الروكى) الممتدة فى شكل حاجز كبير بين الشمال والجنوب شكلت عائقاً صعباً أمام المستكشفين ورواد المستوطنين بعدهم للوصول إلى ساحل المحيط الهادى والذى تحقق بعد فترة طويلة من وصول الأوربيين إلى القارة عن طريق بعض الممرات والثغرات التى أحدثتها المجارى النهرية فى هذا النطاق الجبلى، ويسجل التاريخ لكل من ميريويذر لويس، وليام كلارك السبق فى عبور مرتفعات الروكى والوصول إلى ساحل المحيط الهادى بمساعدة مرشدين من الهنود الامريكيين وكان ذلك فى بداية القرن التاسع عشر خلال عهد توماس جيفرسون الذى تولى رئاسة الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٠١.

رحلات الكشوف الأولى:

يرجح بعض الباحثين أن سكان اسكندنافيا من الفايكنج هم أول من اكتشف بعض سواحل أمريكا الانجلوسكسونية وكان ذلك فى حوالى عام ٩٩٩ ميلادية عندما عبر النرويجى اريكسون المحيط الأطلسى الشمالى ووصل إلى شمال شرقى القارة حيث أطلق على منطقة نيوانجلند الحالية تقريباً اسم أرض النبيذ Wine Land(١) . ولم يترك الفايكنج أية آثار على سواحل القارة تؤكد وصولهم إلى هذه الانحاء من نصف الكرة الغربى، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة حياتهم البحرية وكثرة ترحالهم، وقبل العام المشار إليه - ٩٩٩م - وصل سكان اسكندنافيا إلى كل من جزيرة أيسلند وعمروها عام ٨٧٤م، وجرينلاند عام ٩٨٥م.

(١) ربما ترجع هذه التسمية (أرض النبيذ) إلى إنتشار الاشجار والخضرة على نطاق واسع فى الأقاليم الشمالية الشرقية من القارة والتى وصل إليها الفايكنج (لبرادور، نيوفوندلاند، نوفاسكوشيا، وربما نيوانجلند) وهى النطاقات التى يرجح وصول الفايكنج اليها، وتختلف هذه النطاقات فى خصائصها الطبيعية عن أراضى الفايكنج فى شمال غربى أوربا ونقاط تمركزهم فى جرينلاند وخاصة فيما يتعلق بالنباتات الطبيعية وخصائص الأرض.

وبعد مضى نحو خمسة قرون قام الايطالى كريستوفر كولومبس برحلته البحرية الشهيرة حيث غادرت بعثته البحرية ميناء بالوس Palso جنوبى أسبانيا فى ٣ أغسطس عام ١٤٩٢ متوجهة صوب الغرب بهدف الوصول إلى الشرق (قارة آسيا) والمشاركة فى امتلاك تجارته الرائجة التى تتألف من سلع عديدة يأتى فى مقدمتها التوابل والاقمشة الحريرية والذهب[١].

ولم يعلم أحد بوجود كتلة قارية ضخمة تقع فى موقع متوسط بين قارتى أوربا وآسيا، ولذلك عندما وطأت أقدام كولومبس أرض إحدى جزر بهاما فى صباح ١٢ أكتوبر عام ١٤٩٢ اعتقد أنه بلغ جزر الهند الشرقية ولم يدر بخلده أنه اكتشف عالماً جديداً، وقد أطلق إسم (سان سلفادور) San Salvador على أول جزيرة بلغها - تلخيداً لذكرى إحدى الشخصيات التى مكنته من القيام برحلته - وهى المعروفة الآن باسم جزيرة وتلينج Watling، وأبحر كولومبس بعد ذلك صوب الشرق عائداً إلى أسبانيا فاكتشف جزيرة كبيرة أطلق عليها اسم هسبانيولا Hispaniola التى تضم حالياً دولتى هايتى والدومينكان[٢].

وقام كريستوفر كولومبس بعد ذلك بثلاث رحلات بهدف الوصول إلى قارة آسيا وزيارة امبراطورية الصين والعثور على خيرات ومنتجات الشرق، هذه الرحلات هى على النحو التالى[٣]: [شكل رقم١٠].

---

(١) قامت ايزابيلا ملكة أسبانيا بتمويل بعثة كريستوفر كولومبس التى تألفت من ثلاث سفن هى سانتا ماريا، نينا، بنتا وعمل عليها نحو ١٢٠ بحاراً.

(٢) أطلق كولومبس اسم هسبانيولا على هذه الجزيرة لتعدد أوجه التشابه بينها وبين أسبانيا وخاصة فيما يتعلق بخصائص المناخ.

(٣) Weihaupt, J. G., Exploration of the oceans, N. Y., 1979, pp. 5 - 6.

الرحلة الثانية عام ١٤٩٣:

ونجح خلالها فى اكتشاف عدد من الجزر فى نطاق البحر الكاريبى منها جزيرة Marie Galante (مساحتها ١٤٨,٥ كم٢) التى اكتشفها فى ٣ نوفمبر عام ١٩٤٣ ، وجزيرة بورتوريكو التى اكتشفها فى ١٩ نوفمبر عام ١٤٩٣ ، وأسس كولومبس أول مركز عمرانى أوربى فى العالم الجديد وذلك عند رأس هايتى Cap Haitien شمالى جزيرة هسبانيولا وأطلق عليه اسم ايزابيلا(١). وعاد بعد ذلك إلى أسبانيا محملاً بأنواع متعددة من المحاصيل الزراعية التى لم تعرفها أوربا من قبل منها الذرة، بالإضافة إلى كميات من الذهب، وكان اعتقاده راسخاً خلال هذه الفترة أنه اكتشف بعض جزر شرقى آسيا، وإن أضعف من اعتقاده هذا نسبياً أنه لم يعثر على السلع الآسيوية الشهيرة من الحرير والتوابل، كما لم يشاهد المعابد متميزة الطرز وهو ما قرأ عنه بالتفصيل فى كتابات ماركوبولو التى اطلع عليها فى موطنه (جنوه بايطاليا).

الرحلة الثالثة عام ١٤٩٨:

قام كولومبس بهذه الرحلة بعد نحو أربعة أعوام من إبرام اتفاقية تورديسيللاس Tordesillas بين أسبانيا والبرتغال عام ١٤٩٤ بمساعدة البابا التى وضعت حدا للصراع بين الدولتين، حيث وضعت هذه الاتفاقيه حدا فاصلاً بين نطاقات سيطرة كل من الدولتين، وتمثل هذا الحد فى خط يرسم بطول المحيط الأطلسى على بعد ٣٧٠ ميلاً غرب جزر الرأس الأخضر، وهو خط يتفق فى امتداده تقريباً مع خط طول ٦٠° غرباً بحيث تصبح الأراضى

---

(١) استخدم كريستوفر كولومبس أخشاب إحدى سفنه المحطمة فى بناء مساكن.هذا المركز العمرانى الذى شيد فى شكل محمية أو قلعة.

الواقعة إلى الغرب منه وحتى خط طول ١٤٥° شرقاً ملكاً لأسبانيا، فى حين تؤول ملكية الأراضى الواقعة إلى الشرق منه للبرتغال[١].

واكتشف كولومبس خلال هذه الرحلة – التى اتخذت مساراً جنوبياً يعد أكثر مسارات رحلاته الأربع امتداداً صوب الجنوب حيث اتجه ناحية الجنوب الغربى فى خط مواز تقريباً لساحل غربى افريقيا حتى قبالة جنوبى جامبيا، ثم اتخذ مساراً صوب الغرب بمحاذاة دائرة عرض ١٠° شمال خط الاستواء حتى وصل جزيرة ترينداد جزر جاميكا، توباكو، ترينداد –، والنطاق الساحلى لمنطقة مصب نهر أورينوكو. وأكدت الشواهد التى رصدها كولومبس فى المنطقة الأخيرة أنه أمام ساحل كتلة قارية ضخمة، ودلل على ذلك بقوة تدفق مياه نهر الأورينوكو وسرعتها فى دفع سفنه بمنطقة المصب بدرجة لا يمكن توافرها فى جزيرة، وفشل كولومبس فى التوغل صوب الداخل نتيجة لبعض المشكلات المتعلقة بالمؤن، إلى جانب تمرد بحارته.

الرحلة الرابعة:

قام بها كولومبس خلال عامى ١٥٠٢ – ١٥٠٣ ونجح خلالها فى التعرف على السواحل الشرقية لأمريكا الوسطى وخاصة فى النطاق المحصور بين هندوراس وبنما.

وفشل كولومبس فى تحقيق الهدف الرئيسى لرحلاته وهو الوصول إلى آسيا، وتوفى عام ١٥٠٦ قبل أن يعرف أنه اكتشف عالماً جديداً، ومما لا شك فيه أن التاريخ يسجل لكولومبس الريادة فى اختراق محيط بحرى مجهول والاتجاه صوب الغرب – مستغلاً نظام هبوب الرياح فى نطاق العروض الوسطى – والذى أدى فى النهاية إلى اكتشاف قارات العالم الجديد تباعاً

---

(١) Cole, J. P., Geography of World Affairs, London, 1974, p. 80.

والتى فتحت أبوابها على مصراعيها للأوربيين، وكان من نتائج هذه الكشوف استثمار خيرات هذا العالم سواء من المعادن وخاصة الذهب والفضة أو من المحاصيل الزراعية الجديدة ومنها الذرة والتبغ والبطاطس والكاسافا، إلى جانب انتشار الحضارات الأوربية سواء الانجلوسكسونية أو اللاتينية على حساب ممالك الهنود الامريكيين القديمة وخاصة الازتك والانكا التى انهارت تحت أقدام الغزاة الوافدين من أوربا.

ونقل جون كابوت John Cabot [1] نتائج بعض رحلات كولومبس وخرائط لمساراتها من أسبانيا إلى انجلترا عام ١٤٩٥، ونجح فى الحصول على موافقة بعض التجار الانجليز لتمويل رحلة بحرية تتجه صوب الغرب للوصول إلى امبراطورية الصين، وبالفعل بدأت رحلته من بريستول عام ١٤٩٧ ونجح فى اكتشاف الساحل الشمالى الشرقى لقارة أمريكا الانجلوسكسونية فى نطاق مصب نهر السانت لورانس، بالإضافة إلى جزيرة نيوفوندلاند التى إعتقد أنها سواحل الصين، وللتأكد من صحة هذا الاعتقاد قام برحلته الثانية فى العام التالى (عام ١٤٩٨) والتى اكتشف خلالها مسافات طويلة من الساحل الشمالى للقارة حتى جنوبى موقع مدينة نيويورك الحالية. ورغم فشل جون كابوت فى محاولاته التى أشار إليها إلا أنه دعم مطالب انجلترا بعد ذلك فى القارة.

- **الكشوف الجغرافية الاسبانية:**

تركزت اهتمامات الأسبان الكشفية فى العالم الجديد فى أول الأمر على خليج المكسيك والسواحل الشرقية لأمريكا الوسطى بهدف السيطرة على مصادر الذهب التى أشار اليها كولومبس فى تقاريره حيث وجد الذهب بكميات لا بأس بها فى هسبانيولا التى كانت تمثل بعاصمتها سان دومنيجو

---

(١) جون كابوت إيطالى الأصل يتمتع بشهرة واسعة فى مجال الملاحة

Santo Domingo المركز الرئيسى لانطلاق المستكشفين الاسبان صوب السواحل الأمريكية، ونجح هرناندو كورتيز H. Cortez فى سحق امبراطورية الأزتيك الهندية فى مدينة مكسيكو[1] كما نجح الاسبان فى بناء عدد من مراكز العمران الجديدة منها فيراكروز Vera Cruz على ساحل خليج المكسيك، وامتد النفوذ الاسبانى صوب الغرب حتى بلغ ساحل المحيط الهادى وصوب الجنوب، ليتخطى شبه جزيرة يوكاتان – موطن حضارة المايا الهندية – حتى سواحل هندوراس الحالية.

وركز الاسبان جل اهتمامهم على الأطراف الجنوبية لأمريكا الانجلوسكسونية حيث تتوافر المياه، وعلى أمريكا الوسطى لتعدد الموارد المعدنية وخاصة الذهب والفضة، ولتوافر الأيدى العاملة الماهرة فى فلاحة الأرض والصناعة على حد سواء، عكس الوضع بالنسبة لجزر الهند الغربية حيث تنتشر الجماعات الهندية المتخلفة غير الماهرة، وفى عام ١٥١٩ نجح الاسبانى دى بيندا de pineda فى الابحار على طول الساحل الجنوبى لامريكا الانجلوسكسونية من فلوريدا إلى المكسيك، واكتشف مصب نهر المسيسبى جنوبى القارة[2] وسمى النهر فى أول الأمر باسم Espiritu Santo.

ونجح بونسيه دى ليون Ponce de Leon الذى بدأ رحلته من بورتوريكو فى اكتشاف شبه جزيرة فلوريدا عام ١٥٢٠ وضمها كأول رقعة من أراضى أمريكا الانجلوسكسونية إلى النفوذ الأسبانى، ومع حلول عام ١٥٢٤ كان الأسبان قد نجحوا فى السيطرة على مواطن الحضارات الهندية فى أمريكا

---

(١) تعددت العوامل التى ساعدت كورتيز على هزيمة الأزتيك لعل أهمها عدم وجود نظام موحد يضم أقاليم حضارة الازتيك مما سهل انتصار الاسبان على كل اقليم على حدة رغم تعدد ثروات الأزتيك وتفردهم بنظام معمارى متميز وامتلاكهم لنظام دقيق لرى الأراضى الزراعية.

(٢) يرجح بعض الباحثين أن بيندا اكتشف عام ١٥١٩ مصب نهر موبيل Mobile وليس نهر المسيسبى، ويقع نهر موبيل إلى الشرق من المسيسبى.

الوسطى والتى تتمثل أساساً فى الازتيك بالنطاق الأوسط من المكسيك، والمايا فى شبه جزيرة يوكاتان وجواتيمالا، كما نجح الاسبان فى تثبيت اقدامهم على طول الساحل الغربى المطل على المحيط الهادى عام ١٥٣٣ حيث خرجت بعض الرحلات الكشفية واتجهت شمالاً نحو خليج كاليفورنيا واكتشفت شبه جزيرة كاليفورنيا(١).

وقام الرحالة كابيزو دى فاكا De Vaca برحلة إلى شبه جزيرة فلوريدا عام ١٥٣٤ حيث توغل صوب الداخل فى اتجاه الغرب حتى بلغ نهر المسيسبى وعبره مخترقاً الأراضى الحالية لولايتى لويزيانا وتكساس وليتجه جنوباً حتى بلغ المكسيك. [شكل رقم١٠].

ويعد دى سوتو De Soto أول أسبانى يفكر فى الاتجاه صوب الشمال أملا فى العثور على مزيد من الذهب ومن مراكز الحضارات الهندية، وبدأ دى سوتو رحلته بعد حصوله على موافقة ملك اسبانيا عام ١٥٣٩ إذ وصل الى شبه جزيرة فلوريدا وتجول فى النطاف الأدنى لوادى المسيسبى والاجزاء الجنوبية لنطاق مرتفعات الابلاش ولم يحصل على بغيته من الذهب والمدن الهندية حتى مات فى مستنقعات المسيسبى عام ١٥٤٢(٢). ويأتى دى سوتو فى مقدمة المستكشفين الاسبان الذين وصفوا أسلوب حياة الهنود الامريكيين بشئ من التفصيل.

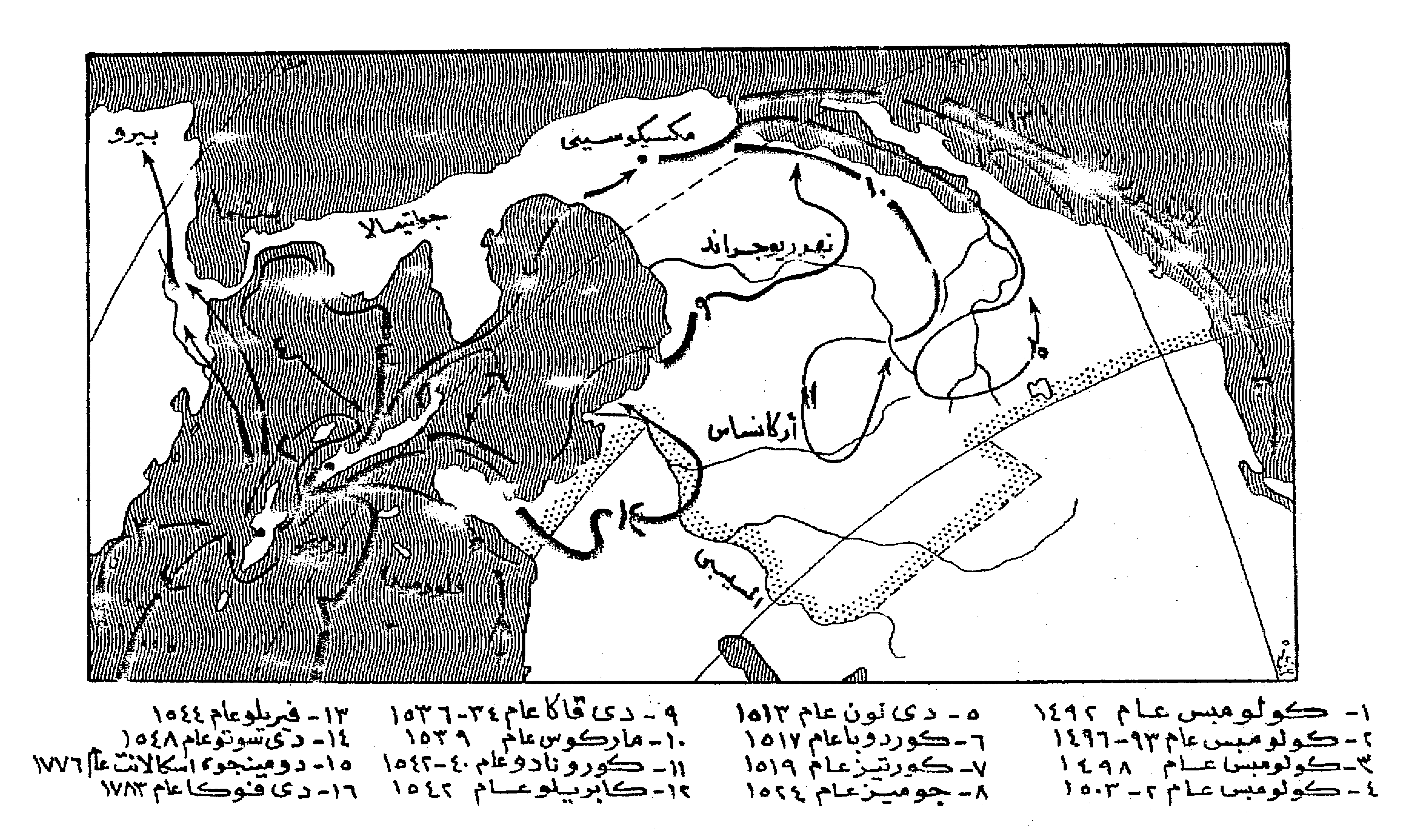
وأرسل نائب ملك اسبانيا فى اسبانيولا عام ١٥٤٠ بعثة كشفية بقيادة كورونادو Coronado اتجهت صوب الشمال بحثاً عن المراكز الهندية(٣) التى

---

(١) نجح الأسبانى بيزارو Pizarro فى الاتجاه صوب الجنوب متتبعاً سلاسل مرتفعات الانديز حتى بلغ بيرو عام ١٥٣٣.

(٢) Watson, J. W., North America - its countries and regions, Second Edition, London, 1969, p. 119.

(3) عرفت هذه المراكز باسم المدن السبع الاسطورية The Fabled Seven Cities.



١- كولومبس عام ١٤٩٢
٢- كولومبس عام ٩٣-١٤٩٦
٣- كولومبس عام ١٤٩٨
٤- كولومبس عام ٢-١٥٠٣
٥- دى ليون عام ١٥١٣
٦- كوردوبا عام ١٥١٧
٧- كورتيز عام ١٥١٩
٨- جوميز عام ١٥٢٤
٩- دى ڤاكا عام ٣٤-١٥٣٦
١٠- ماركوس عام ١٥٣٩
١١- كورونادو عام ٤٠-١٥٤٢
١٢- كابريلو عام ١٥٤٢
١٣- فيريلو عام ١٥٤٤
١٤- دى سوتو عام ١٥٤٨
١٥- دومينجوء اسكالانت عام ١٧٧٦
١٦- دى فنوكا عام ١٧٨٣

شكل رقم [١٠] الكشوف الجغرافية الاسبانية في أمريكا الانجلوسكسونية

شاعت أخبار ثرواتها والتى قيل أنها تقع فى مكان ما شمال غربى المكسيك، لذا اخترق أحواض نهرى ريوجراندى وكلورادو دون أن تعثر البعثة على بغيتها من الثروات، لذا غيرت إتجاهها صوب الشرق لتعبر نطاق البرارى الغنى بثرواته من الحيوانات البرية، وتجاهلت البعثة هذا النطاق لخلوه من الثروات المعدنية هدف الاسبان الأول فى العالم الجديد حتى بلغت نهر كانساس حيث علمت بفقر الاراضى الواقعة إلى الشمال وانخفاض درجة الحرارة فيها لذا عادت البعثة الى المكسيك عام ١٥٤٢.

وأسهم الاسبان فى اكتشاف مسافات طويلة من السواحل الغربية لامريكا الانجلوسكسونية المطلة على المحيط الهادى إذ قام كل من كابريلو Cabrillo، فيريلو Ferrelo برحلتهما البحرية الشهيرة خلال عامى ١٥٤٢ – ١٥٤٣ والتى بدأت من ميناء نافيدد Navidad المطل على المحيط الهادى بالمكسيك التى كانت تعرف باسم اسبانيا الجديدة واتجها صوب الشمال بمحاذاة الساحل الغربى لامريكا الوسطى ثم تتبعا الساحل الغربى لشبه جزيرة كاليفورنيا، واستمرا فى اتجاههما صوب الشمال حتى دائرة عرض ٤٣° شمالاً تقريباً أى أمام سواحل ولاية أوريجون الحالية، فى حين تجاوز الاسبانى دى فوكا de Fuca هذه الدائرة العرضية عام ١٧٨٣ مكتشفاً النطاق الجنوبى من السواحل الغربية الكندية.

يتبين مما سبق سيطرة الاسبان على مساحات واسعة من أراضى القارة تمتد من فلوريدا شرقاً إلى كاليفورنيا غرباً، ومن نهر كانساس شمالاً إلى خليج المكسيك جنوباً حيث غطت البعثات الكشفية الاسبانية الاجزاء الجنوبية لكل من السهل الساحلى المطل على المحيط الاطلسى ونطاق الابلاش، وأراضى السهول الوسطى واقليم المرتفعات الغربية المعروف باسم الكورديليرا Cordillera، إلى جانب السهول المطلة على خليج المكسيك وهضبة المكسيك، وكانت تدار هذه المناطق بالإضافة إلى أمريكا الوسطى وجزر الكاريبى

الاسبانية بمعرفة نائباً لملك اسبانيا، وقد عرفت المناطق المشار اليها باسم «اسبانيا الجديدة».

وليس من شك فى أن المعادن النفيسة وفى مقدمتها الذهب والفضة والمحاصيل الزراعية الجديدة (التبغ، الذرة، قصب السكر، الأرز، القطن) والتى راجت فى أسواق أوربا بأسعار مرتفعة وأسهمت فى تدفق الأموال على خزائن التاج الاسبانى كانت الدافع الأساسى للكشوف الجغرافية الاسبانية فى العالم الجديد والتى تبعها تعدد البعثات الاسبانية فى إتجاهات متعددة بعد ذلك، كما تلاها بعثات استكشافية أخرى قامت بها دول أوربية سعت إلى المشاركة فى امتلاك ثروات العالم الجديد[١].

الكشوف الجغرافية الفرنسية:

تعد فرنسا ثانى الدول الأوربية - بعد اسبانيا - من الناحية التاريخية التى ركزت اهتمامها على اكتشاف قارة امريكا الانجلوسكسونية، ففى عام ١٥٢٤ أى بعد نحو ثلث قرن من وصول الاسبان إلى هذا الجزء من العالم[٢] قام الفرنسى فيرازانو Verrazano بأول رحلة إلى العالم الجديد لحساب فرنسا حيث عبرالمحيط الأطلسى بالاتجاه غربا بهدف الوصول إلى الصين، ووصل إلى خليج نيويورك وهبط على سواحل نيوانجلند ونوفاسكوشيا وجزيرة نيوفوندلاند، وتنوعت التجولات الكشفية لفيرازانو بين البحرية والبرية خوفاً

---

(١) شاركت البرتغال فى الجهود المبذولة لاكتشاف طريق بحرى شمالى يؤدى إلى الصين وشرقى آسيا، حيث قام الرحالة البرتغالى جسبار كورت ريل Gaspar Corte Real عام ١٥٠١ برحلته البحرية التى بدأت من لشبونة وتوجه نحو الغرب حتى جزر الأزور، ثم غير إتجاهه صوب الشمال فالشمال الغربى حتى بلغ السواحل الجنوبية لجرينلاند، وليغير إتجاهه بعد ذلك صوب الجنوب الغربى مخترقاً المسطح البحرى الذى عرف بعد ذلك باسم مضيق ديفز حتى بلغ السواحل الشرقية للبرادور حيث تتبع السواحل الشرقية لجزيرة نيوفوندلاند حتى بلغ منطقة الشط العظيم.

(٢) يرجع تأخر الفرنسيين فى السعى إلى اكتشاف أجزاء من العالم الجديد إلى حرصهم على بناء إمبراطوريتهم فى أوربا وليس فى العالم الجديد.

من الحيوانات البرية المفترسة وتجنباً لعداء جماعات الهنود الامريكيين، لذلك قدم فيرازانو وصفاً دقيقاً للأقاليم التى اكتشفها والتى بدأت تبلور فكرة وجود كتلة قارية واسعة تمتد بين الجنوب حيث يوجد الاسبان والشمال حيث وصل الفرنسيون، واعتقد فيرازانو أن المسطحات البحرية الممتدة شمال الكتلة القارية التى اكتشفها – شمال موقع ولايةنورث كارولينا الحالية – Pamlico Sound (شمال دائرة عرض ٣٥° شمالاً) تؤدى إلى إمبراطورية الصين. لذلك عرفت هذه المسطحات على الخرائط الأوربية ولفترة طويلة باسم بحر فيرازانو Sea of Verrazano ولم تأخذ نتائج رحلة فيرازانو حقها من الاهتمام، وربما يرجع ذلك إلى الهزيمة القاسية لفرنسيس الأول ملك فرنسا فى ايطاليا خلال العام التالى للرحلة.

وقام الفرنسى جاك كارتيه J. Cartier برحلته الأولى الى القارة عام ١٥٣٤ حيث وصل إلى جزيرة نيوفوندلاند، وعبر مضيق بل Belle Isle ودرس النطاق الساحلى لشبه جزيرة لبرادور، وفى رحلة كارتيه الثانية التى قام بها عام ١٥٤١ توغل فى مصب نهر السانت لورانس حتى الموقع الحالى لمدينة مونتريال حيث سجل مشاهداته عن الضباب الكثيف والكتل الجليدية والصخرية فى لبرادور، وإنتشار التربات الطميية والغابات والمروج الطبيعية الواسعة فى جزيرة برنس إدوارد، والأحواض فى نطاق الحافة الشمالية للابلاش. وشجع كارتيه على التوغل صوب الجنوب بمعاونة بعض المرشدين من الهنود الامريكيين ما بلغه عن وجود ممالك غنية للهنود تمارس حرفة الزراعة على نطاق واسع وتمتلك خيول كبيرة الحجم ومساكن فريدة الشكل حتى وصل بالفعل إلى موطن مملكة هوشيلاجا Kingdom of Hochelaga وهو نفس الموقع الحالى لمدينة مونتريال[1]. ونجح كارتيه فى

---

(١) تميز هنود هوشيلاجا بزراعاتهم الناجحة وخاصة من محاصيل التبغ والذرة والحبوب، الأن بيئة موطنهم كانت أفقر فى خصائصها من مثيلتها الخاصة بهنود الإزتيك والانكا فى الجنوب.

وجدير بالذكر أن كارتيه استخدم قوارب الهنود صغيرة الحجم للوصول إلى الموقع الحالى لمونتريال نظراً لضيق مجرى النهر.

التمهيد لفرض سيطرة الفرنسيين على هذا الجزء من أمريكا الانجلوسكسونية واستقرارهم فيه بعد أن مهد الأرض وأقام بعض المزارع وشيد المساكن والحصون قبل أن يعود إلى فرنسا عام ١٥٤٣ . [شكل رقم ١٠١] .

ومرت عدة عقود قبل أن يهتم ملوك فرنسا بثروات مناطق إستيطان الفرنسيين فى أمريكا الانجلوسكسونية والتى تمثلت فى الموارد السمكية، والثعالب إذ راجت تجارة الفراء وخاصة خلال العقد الاخير من القرن السادس عشر، وأصبحت حماية الممتلكات الفرنسية من أطماع الدول الأوربية الاخرى مطلباً ملحاً لفرنسا فى بداية القرن السابع عشر، ولترسيخ التواجد الفرنسى قام الرحالة الفرنسى صمويل شامبلين Samuel Champlain برحلة إلى القارة وبصحبته أحد النبلاء (دى مونت De Monts) حيث أسس مستعمرة فرنسية قوية على خليج فندى (بين نوفاسكوشيا ونيوبرونزويك فى كندا حالياً)، كما شيد عدة مراكز استقرار قوية كان أخرها المركز الذى شيده عند الموقع الحالى لكوبيك عام ١٦٠٨ .

ورغم وجود قبائل هنود ايروكوا Iroquois القوية الا أن شامبلين نجح فى التوجه صوب الغرب حيث أودية أنهار هدسن، موهوك، شامبلين، وإمتد النفوذ الفرنسى حتى الأراضى المحيطة بخليج جورجين Georgian الممتد شمال شرقى بحيرة هورن، مما يعنى وصول النفوذ الفرنسى حتى نطاق البرارى فى قلب أمريكا الانجلوسكسونية عام ١٦١٥ حيث شيدت مراكز فرنسية لتجميع الفراء، وظلت هذه المراكز تؤدى مهمتها لمدة تجاوزت القرنين.

وبالإضافة إلى إنجاز شامبلين فى مد نطاق النفوذ الفرنسى صوب الاجزاء الداخلية كان له الفضل فى تجميع معلومات جغرافية وافية عن الظروف الطبيعية والبشرية للنطاقات الشمالية الشرقية من قارة أمريكا

الانجلوسكسونية - وخاصة أنه أشار إلى وجود موارد معدنية قرب منطقة البحيرات العظمى -، وهى مكاسب تحققت لفرنسا رغم هجمات هنود الايروكوا ومخاطر إندلاع الحرب مع بريطانيا.



شكل رقم [١١] الكشوف الجغرافية الفرنسية في أمريكا الانجلوسكسونية

ونتج عن انتشار المعلومات التى سردها كارتيه والمتعلقة بخطورة عبور المحيط الأطلسى وصعوبة الظروف الطبيعية السائدة فى أراضى القارة والتى

شارك فى بلورة إطارها المعلومات التى جمعها شامبلين ضعف الاهتمام الفرنسى بهذه الأراضى وأن لم يمنع ذلك الفرنسى جان نيكوليه Jean Nicolet من القيام برحلته عام ١٦٣٤ صوب الغرب على أمل الوصول إلى امبراطورية الصين حتى بلغ موقع جرين باى Green Bay الحالية (بحيرة ميشخان) فى ولاية ويسكونسن الامريكية[١].

وأبحر نيكوليه بعد ذلك فى نهر فوكس Fox حتى بلغ خط تقسيم المياه بين السانت لورانس والنهر العظيم (نهر المسيسبى)، وكان نيكوليه لازال معتقداً أنه على وشك اكتشاف طريق غير معروف ينتهى إلى إمبراطورية الصين وشرقى آسيا.

ووصل لاسال La Salle إلى موقع مونتريال الحالى عام ١٦٦٧، وأطلق على الموقع اسم لاتشانيا Lachine ربما لاعتقاده أنه عثر فى منطقة مصب نهر السانت لورانس على البوابة الطبيعية المؤدية إلى بلاد الصين، وتحركت بعثة لاسال صوب الغرب عام ١٦٦٩ متتبعة نهر السانت لورانس حتى بحيرة أونتاريو، ثم اخترق اليابس الفاصل بينها وبين بحيرة ايرى[٢] حتى وصل إلى منابع نهر أوهايو، ثم انحرف صوب الغرب حيث اخترق بحيرة هورن واتجه لاسال جنوباً مخترقاً بحيرة ميشجان، واستغل تجمد مياه نهر إلينوى (الذى يربط بين بحيرة ميشجان ونهر المسيسبى) ليعبر هذا النطاق فى ديسمبر عام ١٦٨١، وليركب نهر المسيسبى متجهاً صوب الجنوب ليصل إلى خليج المكسيك عام ١٦٨٢ ويعلن ضم حوض نهر المسيسبى للنفوذ الفرنسى.

ونظراً لغنى هذا النطاق بالموارد الطبيعية التى تضم الغابات والحيوانات

(١) National Geographic Magazine, July 1987, Vol, 172, No. 1.

(٢) شيد لاسال سفينته الشهيرة المعروفة باسم Griffin على شاطئ بحيرة إيرى.

البرية وخاصة ذات الفراء منها، وحشائش البرارى، بالإضافة إلى الامكانات الزراعية فقد تقرر بناء مدينة نيوأورليانز عند منطقة مصب المسيسبى لتكون مركزاً لتجميع منتجات حوض النهر تمهيداً لنقلها عبر المحيط الأطلسى إلى أوروبا تماماً كوضع مونتريال فى الشمال، حيث تمثل مركزا لتجميع منتجات الاقاليم الداخلية، مما مكن فرنسا من السيطرة على قلب قارة أمريكا الانجلوسكسونية خلال هذه الفترة. ولتثبت الوجود الفرنسى فى منطقة المصب وتحجم التواجد الانجليزى وتحصره فى نطاق الابلاش بالشرق شيدت الحصون الفرنسية فى Frontenac (كينجستون)، ديترويت، سان جوزيف، كريفيكو، نيوأورليانز، مما يعطى إنطباعاً بأن فرنسا سعت إلى تأمين وضعها فى القارة ليس فقط بالسيطرة على الجانب الأكبر من أراضى القارة المكتشفة بل عن طريق بسط نفوذها على أفضل هذه الاراضى وأكثرها تنوعاً فى مواردها الطبيعية.

وخططت فرنسا لايجاد طرق متعددة تربط بين حوض نهر السانت لورانس فى الشمال وحوض نهر المسيسبى فى الوسط والجنوب، لذا قام التاجر الفرنسى جوليه Joliet ورجل الدين ماركوت Maraquette بصحبة بعض الجنود برحلة بدأت من موقع جرين باى عام ١٦٧٣ مستغلين المنفذ الجليدى لنهر ويسكونسن للوصول إلى مجرى نهر المسيسبى، وخلال نفس الفترة الزمنية تقريباً قام الأب البانيل Albanel برحلة صوب الاجزاء الشمالية عام ١٦٧٢ واكتشف مساراً شمالياً يربط بين مصب نهر السانت لورانس وخليج جيمس (اقصى الطرف الجنوبى لخليج هدسن).

الكشوف الجغرافية البريطانية:

كانت الثروات التى جنتها أسبانيا من كشوفها الجغرافية فى أمريكا الانجلوسكسونية حافزاً لبريطانيا على المشاركة فى هذه الكشوف، فقد سبق

ان وافق هنرى السابع ملك بريطانيا على قيام جون كابوت برحلتيه السابق الاشارة إليهما خلال عامى ١٤٩٧، ١٤٩٨، أى خلال نفس فترة تواجد النفوذ الاسبانى فى جزر الكاريبى. وترددت بريطانيا فى إعلان حقوقها فى جزيرة نيوفوندلاند خوفاً من غضب ملوك أوربا الكاثوليك وخاصة بعد الثورة الدينية الكبرى التى قام بها الملك هنرى الثامن والتى هزت الدولة واكسبت اليزابيث الأولى غضب الكاثوليك.

واستولى سير همفرى جلبرت Humphrey Gilbert على جزيرة نيوفوندلاند باسم التاج البريطانى عام ١٥٨٣ : إلا أن تهديدات الحرب مع أسبانيا أخرت إتخاذ إجراء رسمى لتنفيذ الخطوة التى قام بها سير جلبرت لمدة ربع قرن تقريباً. وقام البريطانى دافيد David برحلة بحرية خلال عامى ١٥٨٥، ١٥٨٧ ونجح خلالها فى اكتشاف السواحل الجنوبية والغربية لجرينلاند والسواحل الشرقية لجزيرة بافن Baffin الممتدة شمالى خليج هدسن، وكان قد مهد لهذه الرحلة رحالة آخر هو فروبشر Frobisher الذى وصل إلى السواحل الجنوبية الشرقية لجزيرة بافن عام ١٥٧٧ (١).

وكانت استراتيجية بريطانيا خلال القرن السابع عشر قائمة على المشاركة فى الحصول على الثروات الناتجة عن استغلال موارد الأراضى الجديدة المكتشفة فى القارة، إلى جانب السيطرة على المواقع البحرية الاستراتيجية فى العالم. ومن أولى الثروات التى أثارت اهتمام بريطانيا بالعالم الجديد مصايد الاسماك الغنية الممتدة على طول الساحل الشمالى الشرقى لقارة أمريكا الانجلوسكسونية والتى أشار اليها فى تقارير عدة كل من جون كابوت خلال القرن الخامس عشر، وهمفرى جلبرت خلال القرن السادس عشر، وكانت هناك محاولة لأحد الانجليز، وهو ولتر راليف Walter

---

(١) Weihaupt, J. G., op. cit., p. 7.

Raleigh للعثور على الذهب عام ١٥٨٤ إلا أنه عاد إلى بريطانيا ومعه بعض الثروات الزراعية التى عثر عليها فى العالم الجديد ممثلة أساساً فى التبغ والبطاطس. وأرسلت شركة انجليزية عدداً من المزارعين إلى أمريكا الانجلوسكسونية استقروا فى مستعمرة فرجينيا التى تميز موقعها بامتداد الأراضى السهلية الواسعة المحمية من الغرب، وبخصوبة التربة واعتدال المناخ – ترجع تسمية الاقليم بفرجينيا نسبة إلى اليزابيث ملكة انجلترا العذراء Virgin Queen– وأسسوا مدينة جيمس تاون التى سرعان ما ازدهرت لنجاح مزارع التبغ التى كان يصدر انتاجها إلى بريطانيا، ولتأكيد رواج هذه الزراعة نذكر أن قيمة الصادر من التبغ بلغت ٢٠ ألف جنيه عام ١٦١٩، ٦٠ ألف جنيه عام ١٦٦٢، نصف مليون جنيه عام ١٦٢٨.

وأرسلت بعثة انجليزية أخرى عام ١٥٨٥ تضم نحو ٢٠٠ رجل استقروا فى جزيرة رونوك Roanoke I. (تقع فى مواجهة الساحل الشمالى لولاية نورث كارولينا)، واستثمرت موارد الشمال – جزيرة نيوفوندلاند – من الاسماك حيث توسع الانجليز فى صيد الاسماك وتدخينه، وفى استخراج زيت كبد أسماك الكود، إلى جانب قطع أشجار الغابات فى النطاق الممتد بين نيوفوندلاند شمالاً وكارولينا جنوباً وتصدير أخشابها التى تساوت فى مكاسبها المادية تقريباً مع تجارة الفراء التى احتكرها الفرنسين فى الأجزاء الداخلية. وجدير بالذكر أن مناطق تركز الانجليز على ساحل المحيط الاطلسى كانت تحميها مرتفعات الابلاش من مخاطر الفرنسيين وهجمات الهنود الامريكيين المتمركزين فى الأجزاء الداخلية من القارة، وعلى العكس من ذلك مراكز التجمع الفرنسية فى الشمال وخاصة مونتريال التى كانت تغلق لتجمد المياه خلال شهور الشتاء، فى حين كانت مراكز التجميع والتصدير البريطانية المطلة على المحيط الأطلسى مفتوحة للملاحة طوال العام.

وبسبب الحرب الانجليزية الاسبانية فى أوربا لم تستطع انجلترا ارسال المزيد من الرجال إلى أراضيها فى أمريكا الانجلوسكسونية إلا عام ١٥٩١ حين أرسلت أعداد من الرجال إلى مستعمرة فرجينيا، وفى عام ١٦٠٦ تأسست شركتان فى انجلترى لمزاولة النشاط التجارى فى أعالى البحار هما شركة لندن وشركة بليموث، وتولت الأولى استثمار الموارد الطبيعية فى مستعمرة فرجينيا فى النطاق المحصور بين دائرتى عرض ٣٤°، ٣٨° شمالاً، فى حين تمثل مجال استثمار شركة بليموث فى النطاق المحصور بين دائرتى عرض ٤١°، ٤٦° شمالاً تقريباً، فى حين استثمرت الشركتان معاً موارد النطاق الأوسط من المستعمرة والمحصور بين دائرتى عرض ٣٨°، ٤١° شمالاً[١].

وسعى الانجليز مع بداية القرن السابع عشر إلى استكشاف الأجزاء الشمالية من القارة بعيداً عن مناطق تواجد الفرنسيين والأسبان فى الوسط والجنوب، لذا قام الرحالة الانجليزى هدسن Hudson برحلته الشهيرة عام ١٦١٠ والتى نجح خلالها بعد عبوره المحيط الأطلسى متتبعاً العروض المواجهة لشبه جزيرة لبرادور من اكتشاف مضيق هدسن المؤدى إلى خليج هدسن حيث إتجه صوب الجنوب حتى بلغ الساحل الجنوبى للخليج (خليج جيمس) عند موقع Moosonee الحالية عام ١٦١١ إذ تأسست شركة خليج هدسن لاستغلال الفراء فى هذا النطاق الشمالى من القارة. وفى عام ١٦١٢ نجح بوتون Button فى عبور خليج أنجافا Ungava ومسح الأجزاء الشمالية والغربية من خليج هدسن.

ونجح لورد بلتيمور عام ١٦٣٢ فى تأمين الأراضى الواقعة إلى الشمال من فرجينيا بتأسيس مستعمرة ميريلاند، وشاع استخدام العبيد فى عمليات

---

(١) Hammond' s American History Atlas, N. Y., p. A - 7.

خدمة الأرض وزراعتها بالمستعمرات الانجليزية فى أمريكا الانجلوسكسونية عندما بدأت تجارة العبيد منذ عام ١٦١٩ وهى تجارة احترفها الهولنديون الذين أسسوا مستعمرات لهم فى النطاق الساحلى الشرقى للقارة تمثلت فيما يأتى:

* مستعمرة نيويورك التى أسسها الهولنديون عام ١٦٢٤ حين شيدوا أول مركز استيطانى هولندى فى جزيرة مانهاتن وأطلقوا عليه اسم نيو امستردام، واستولت انجلترا على هذه المستعمرة عام ١٦٦٤ .

* مستعمرة نيوجرسى، استولت عليها انجلترا عام ١٦٦٤ .

* مستعمرة ديلاوار، استقر فى أراضى هذه المستعمرة بضع مئات من السويديين عام ١٦٣٨ حيث أسسوا السويد الجديدة، واستولى عليها الهولنديون عام ١٦٥٥، ولتفرض انجلترا سيطرتها على المستعمرة عام ١٦٦٤ .

وتأسست مستعمرة ماساشوستس عام ١٦٣٠، فى حين أسس روجر وليامز مستعمرة رود أيلند عام ١٦٣٦، بينما أسس كل من توماس هوكر مستعمرة كونيكتيكت عام ١٦٣٩، ووليام بن مستعمرة بنسلفانيا عام ١٦٨١، وتكونت مستعمرة نيوهامبشير عام ١٦٧٩، واستمرت المستعمرات البريطانية فى النمو والازدهار لتظهر بعد ذلك مستعمرات جديدة خلال القرن الثامن عشر هى نورث كارولينا، ساوث كارولينا (عام ١٧٢٩)، جورجيا (عام ١٧٢٢)، وليتألف من المستعمرات الثلاث المشار إليها نواة الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك.

وشهد القرن الثامن عشر اتساع دائرة الكشوف الجغرافية الانجليزية فى الاجزاء الشمالية من أمريكا الانجلوسكسونية نتيجة لجهود العديد من الرحالة الذين يأتى فى مقدمتهم الاسماء التالية:

- **فيريندري Verendrye، قام بعدة رحلات بدأها من حصن وليم المطل**

على بحيرة سوبيريور واستغرقت الفترة الممتدة بين عامى ١٧٣١ - ١٧٣٤، ونجح خلالها فى اكتشاف مساحات واسعة من النطاقات الجنوبية من وسط كندا، وتمكن من اكتشاف نهر سسكتشوان عام ١٧٤١ إذ تتبع مجراه حتى النقطة التى يتفرع عندها النهر إلى فرعين هما سسكتشوان الشمالى وسسكتشوان الجنوبى.

• **صمويل هيرن S. Hearne**: قام برحلته عام ١٧٧١ ونجح خلالها فى الاتجاه صوب الشمال حيث اكتشف بحيرة جريت سليف Great Slave، واستمر فى اتجاهه صوب الشمال متتبعاً القطاع المحصور بين خطى طول ١١٠°، ١٢٠° غرباً تقريباً حتى اكتشف نهر كوبرماين Coopermine الذى يصب فى منطقة المضايق البحرية الممتدة بين الساحل الشمالى للقارة وجزيرة فيكتوريا فى المحيط المتجمد الشمالى عند دائرة عرض ٧٠° شمالاً تقريباً، وهى تعد أبعد نقطة شمالية يصل إليها مكتشف أوربى من جهة اليابس فى القارة.

وانتهت رحلة هيرن بعودته إلى حصن تشيرش هل Church Hill المطل على الساحل الغربى لخليج هدسن عام ١٧٧٢ .

• **الكسندر ماكينزي A. Macknezie**: قام برحلته الأولى صوب الشمال الكندى عام ١٧٨٩ ونجح خلالها فى اكتشاف النهر الذى يحمل اسمه (ماكينزى) والذى يصب فى خليج ماكينزى بالمحيط المتجمد الشمالى.

واكتشف ماكينزى عام ١٨٩٣ نهر بيس Peace أهم روافد نهر ماكينزى، إذ تتبع مجراه حتى موقع مصبه فى بحيرة أتاباسكا التى تغذى بدورها نهر سليف Slave الذى يصب فى بحيرة جريت سليف المغذى الرئيسى لنهر ماكينزى.

• فانكوفر Vancouver، اكتشف الجزيرة الواقعة قبالة الساحل الغربى لكندا فى المحيط الهادى عام ١٧٩٢، وسبق أن زار الجزيرة الرحالة البريطانى كابتن كوك عام ١٧٧٨ وأصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطانى عام ١٨٤٩، حتى اتحدت مع كولومبيا البريطانية عام ١٨٦٦.

• فراسير Fraser، قام برحلته التى بدأها من فورت لانجلى Ft. Langley الواقعة قبالة الطرف الجنوبى لجزيرة فانكوفر عام ١٨٠٨، واتجه صوب الشمال متتبعاً مجرى النهر الذى يحمل اسمه حتى موقع مدينة برنس جورج الحالية.

وبدأ يتردد فى قارة أمريكا الانجلوسكسونية مع بداية القرن الثامن عشر أصداء النزاع المسلح المتوقع بين بريطانيا التى تمركزت فى الشمال والشرق وفرنسا التى سيطرت على النطاق الأوسط الممتد بين حوض نهر السانت لورانس فى الشمال وحوض نهر المسيسبى فى الوسط والجنوب. وتمثلت نقاط الإلتقاء وبالتالى مواقع الصدام بين بريطانيا وفرنسا فى ثلاثة مواقع رئيسية هى على النحو التالى:

أ - النطاق الممتد بين مين (نيوانجلند) ونوفاسكوشيا.

ب- بعض المواقع الممتدة فى نطاق مصب نهر السانت لورانس.

جـ- طريق هدسن / موهوك المؤدى إلى السانت لورانس.

وكانت نقطة البداية فى الصدام بين الدولتين فى القارة عام ١٧٥٠ عندما بدأت فرنسا فى إقامة الحصون التى تحمى مناطق نفوذها، وكان منها النطاق المحصور بين بحيرة إيرى ونهر أوهايو - بوابة الغرب الامريكى - والذى اعتبرته بريطانيا من ممتلكاتها، لذلك اندلعت الحرب بين الدولتين فى أمريكا الانجلوسكسونية، ولم يمض عقد من الزمان بعد انتصار بريطانيا على

حامية كويبك الفرنسية عام ١٧٥٩ إلا وكانت بريطانيا قد سيطرت على معظم الأجزاء الشرقية والوسطى من القارة، لذلك تألفت مناطق نفوذها من الاقاليم الممتدة بين كندا شمالاً وفلوريدا جنوباً بما فى ذلك مساحات واسعة من الأراضى تمتد إلى الغرب من مجرى نهر المسيسبى لتتلاقى مناطق النفوذ البريطانية مع مثيلتها الخاضعة للتاج الاسبانى[١]. [شكل رقم١٢].

ويرجع انتصار بريطانيا فى امريكا الانجلوسكسونية إلى تركز مناطق نفوذها فى الشرق - حيث تميزت مستعمراتها بارتفاع كثافة السكان - وتقدمها بعد ذلك صوب الغرب بصورة تدريجية، لذا اتسمت خطوط إمداد وتنقلات قواتها بالقصر، عكس الوضع بالنسبة للفرنسيين إذ ترجع هزيمتهم العسكرية إلى عدة عوامل يأتى فى مقدمتها طول خطوط امدادات قواتهم والناتج عن تناثر مواقع مستعمراتهم وضآلة كثافة سكانها.

وشاركت روسيا فى الكشوف الجغرافية بقارة أمريكا الانجلوسكسونية إذ أراد بطرس الأكبر قيصر روسيا التحقق من صدق ما يقال عن وجود ممر بحرى يفصل بين أقصى شمال شرقى الدولة الروسية وشمال غربى أمريكا الانجلوسكسونية، لذا كلف الدنماركى فتوس برنج Vitus Bering عام ١٧٤١ بالتأكد من ذلك، وإتجه برنج بالفعل صوب المنطقة المشار إليها، ونجح فى اكتشاف المضيق البحرى الذى يفصل بين آسيا وأمريكا الانجلوسكسونية والذى يحمل إسمه حتى الوقت الحاضر رغم الصعوبات

---

(١) فى محاولة من بريطانيا لتغطية نفقات حربها مع فرنسا فى أمريكا الانجلوسكسونية فرضت ضرائب كبيرة على سكان مستعمراتها الذين عوملوا بشئ من العنف والتسلط، لذا احتجوا بشدة وبشكل علنى فى مرحلة تالية وخاصة فى مؤتمر عقد خصيصاً لذلك فى فيلادليفيا عام ١٧٧٤، وظهرت حركة تمرد انتهت فى ٤ يوليو عام ١٧٧٦ باعلان استقلال المستعمرات الثلاث عشرة فى قاعة بلدية فيلاديلفيا، ولتندلع الحرب بين الولايات المتحدة الجديدة وبريطانيا والتى انتهت فى ١٩ اكتوبر عام ١٧٨١ بتسليم بريطانيا باستقلال مستعمراتها السابقة والتى شكلت نواة دولة الولايات المتحدة الأمريكية.

التى واجهت بعثته من قسوة الظروف المناخية وشدة العواصف الثلجية وتمرد بحارته[1].

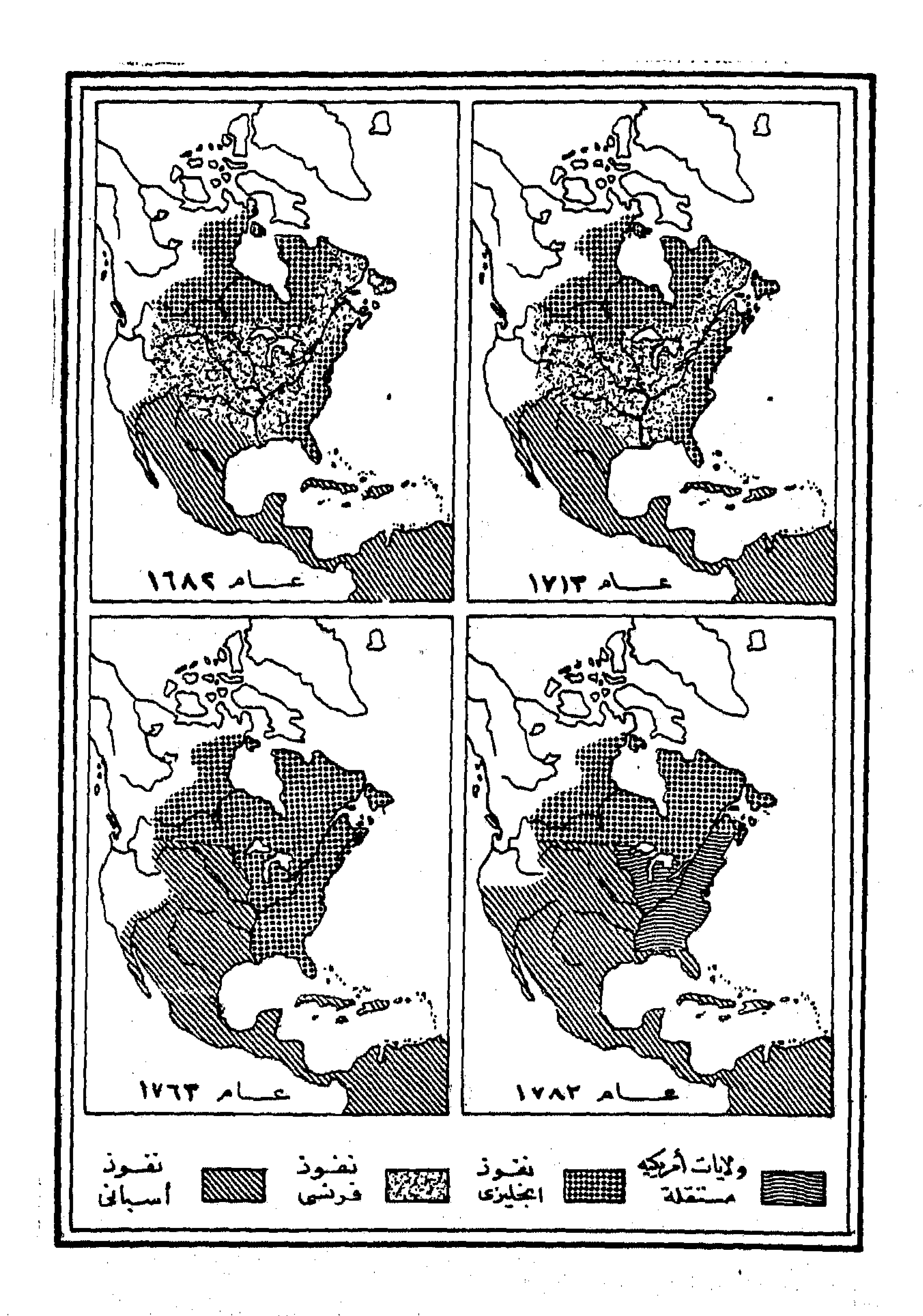
ووصل الروس إلى أمريكا الانجلوسكسونية بعد إكتشاف مضيق برنج حيث ركزوا اهتمامهم على شبه جزيرة ألاسكا التى أسسوا فيها أول مركز تجارى، وظلت ألاسكا إقليماً روسيا حتى عام ١٨٤٧ حين تم بيعها للولايات المتحدة الامريكية بمبلغ ٧,٢ مليون دولار أمريكى[2].

---

(١) توفى فترس برنج أثناء رحلته ودفن فى جزيرة صغيرة تحمل اسمه حتى الآن Bering Is-land.

(٢) حدد هذا المبلغ على أساس بنس – السنت = ١ : ١٠٠ من الدولار الامريكى – للإكر (الفدان = ١,٠٣٨ أكر). One Penny an acre،

محمد خميس الزوكة، آسيا، دراسة فى الجغرافيا الاقليمية، الطبعة الثالثة، الاسكندرية، ٢٠٠٢، ص ٤٩.



شكل رقم [١٢]

تطور التواجد الاوربي في امريكا الشمالية والوسطي

تذكر أن :

- البحث عن طريق بحرى يؤدى إلى شرقى آسيا وبلاد الصين، كان من أهم الأسباب التى أدت إلى اكتشاف العالم الجديد (الامريكتين).
- اختلف الأوربيون فى تحديد المسار البحرى المؤدى إلى الشرق فبينما سلك الاسبان (كريستوفر كولومبس) طريق الجنوب الغربى فالغرب، سلك الانجليز والفرنسيون طريق الشمال الغربى فالغرب (أو ما عرف بطريق الغرب) بحثاً عن الممر البحرى المؤدى إلى بلاد الصين عبر جزر شمالى كندا.
- تأخر المحاولات الأوربية للوصول إلى شرقى آسيا عن طريق الملاحة غرباً والتى بدأت فى أواخر القرن الخامس عشر ترجع إلى الأسباب التالية:

* بعض الصعاب الجغرافية التى صعبت من الملاحة البحرية بالاتجاه صوب الغرب والمتمثلة فى وقوع أوروبا فى مهب الرياح العكسية الهابة من الغرب إلى الشرق.

بالإضافة إلى تحرك المياه السطحية للمحيط الأطلسى أمام معظم السواحل الأوربية من الغرب صوب الشرق (تيار الخليج الدفئ).

* اتساع المحيط الأطلسى وطول المسافة الفاصلة بين الساحلين الأوربى والامريكى (أكثر من ٤٨٠٠ كيلو مترا).
* لم تتقدم صناعة بناء السفن، والتوسع فى استخدام البوصلة البحرية، ودقة رسم الخرائط وتحديد المسافات والاتجاهات وتطور فنون الملاحة البحرية إلا فى أواخر القرن الخامس عشر.

- الثروات الطبيعية المتمثلة أساساً فى الموارد المعدنية وخاصة الذهب والفضة فى امريكا اللاتينية، والفراء فى أمريكا الشمالية، إلى جانب

الإمكانات الزراعية والموارد الغابية تشكل الحافز الأساسى لتطور الكشوف الجغرافية فى الأمريكتين.

- الظواهر الطبيعية لأمريكا الانجلوسكسونية حددث مسار الكشوف الجغرافية الأوربية فيها ولتأكيد ذلك نشير إلى ما يلى:

* وصل الاسبان إلى أمريكا الانجلوسكسونية من الجنوب بما فى ذلك شبه جزيرة فلوريدا بحثاً عن الذهب.
* سلك الفرنسيون محور شرقى / غربى خلال حوض نهر السانت لورانس والذى أدى إلى تقدم الفرنسيين فى منطقة البحيرات العظمى.
* سهل نهر المسيسبى تقدم الفرنسيين فى محور شمالى / جنوبى حتى خليج المكسيك.
* استقر الانجليز على السواحل الشرقية لأمريكا الأنجلوسكسونية فى البداية، ثم اخترقوا نطاق الأبلاش فى اخفض نقاطه (نهر أوهايو) للوصول إلى النطاق الشرقى من القارة.

- تأخرت الرحلات الكشفية الأوربية إلى ساحل المحيط الهادى لامتداد مرتفعات الروكى فى شكل حاجز طولى كبير بين الشمال والجنوب.

ونجح الأوربيون فى إختراق هذا النطاق الجبلى والوصول إلى ساحل المحيط الهادى عبر بعض الممرات والثغرات التى أحدثتها المجارى النهرية فى نطاق الروكى الجبلى.

ويسجل لكل من ميريويذر لويس، وليام كلارك السبق فى عبور مرتفعات الروكى والوصول إلى المحيط الهادى وذلك بمساعدة الهنود الأمريكيين، وكان ذلك فى بداية القرن التاسع عشر (فى عهد توماس جيفرسون الرئيس الأمريكى عام ١٨٠١).

- يرجح البعض أن سكان شمالى أوربا (الفايكينج) هم أول من اكتشف

بعض سواحل أمريكا الأنجلوسكسونية وذلك فى حوالى عام ٩٩٩م.

- كريستوفر كولومبس هو أول أوربى يصل إلى العالم الجديد خلال مرحلة الكشوف الجغرافية، وأنه قام بأربع رحلات كشفية خلال الفترة بين عامى ١٤٩٢، ١٥٠٣.
- الإيطالى الأصل جون كابوت قام برحلة - مولها بعض التجار الانجليز - من بريستول عام ١٤٩٧ وإتجه غرباً حتى وصل إلى سواحل شمال شرقى أمريكا الانجلوسكسونية واكتشف منطقة مصب نهر السانت لورانس وجزيرة نيوفوندلاند والتى اعتقد أنها سواحل الصين، وقام برحلته الثانية عام ١٤٩٨ والتى اكتشف خلالها سواحل أمريكا الانجلوسكسونية حتى موقع مدينة نيويورك الحالى، ودعم بذلك مطالب بريطانيا فى هذا الجزء من العالم الجديد.
- الإهتمامات الكشفية للأسبان تركزت فى البداية على النطاقات الساحلية المطلة على خليج المكسيك جنوبى أمريكا الانجلوسكسونية وأمريكا الوسطى سعياً وراء الذهب (الذى ذكر كولومبس فى تقاريره تعدد مصادره)، بالإضافة إلى تعدد الموارد الزراعية والعديد من المعادن.

- بونسيه دي ليون وهو من رواد رحلات الكشوف الجغرافية الأسبانية فى العالم الجديد نجح فى كشف شبه جزيرة فلوريدا وخمسها إلى الممتلكات الأسبانية عام ١٥٢٠، وسبقه دى بيندا عام ١٥١٩ فى كشف منطقة مصب نهر المسيسبى.
- بحلول عام ١٥٢٤ نجح الاسبان فى كشف كل مواطن الحضارات الهندية القديمة فى أمريكا الوسطى والمكسيك، ووصلوا إلى سواحل المحيط الهادى فى الغرب عام ١٥٣٣، وتنظيم العديد من الرحلات الكشفية التى بلغت شبه جزيرة كاليفورنيا.

- **دي سوتو** وهو أول أسباني يفكر في توسيع دائرة الكشوف الجغرافية الأسبانية فى أمريكا الأنجلوسكسونية صوب الشمال حيث بدأ رحلته عام ١٥٣٩ بالاتجاه شمالاً حتى وصل شبه جزيرة فلوريدا وتجول فى نطاق المجرى الأدنى للمسيسبى والجزء الجنوبى من نطاق مرتفعات الأبلاش حتى مات عام ١٥٤٢ بعد أن سجل الكثير عن أسلوب حياة قبائل الهنود الأمريكيين فى الأقاليم التى زارها.

- الأسبان أسهموا فى كشف مسافات طويلة من السواحل الغربية لأمريكا الانجلوسكسونية المطلة على المحيط الهادى، ويتصدرهم **كابريلو فيريلو** الذى قام برحلته خلال عامى ١٥٤٢ - ١٥٤٣ بدءاً من ميناء نافيداد المطلة على المحيط الهادى بالمكسيك حتى السواحل الحالية لولاية أوريجون عند دائرة عرض ٤٣° شمالاً.

وتبعه الرحالة **دي فوكا** الأسبانى عام ١٧٨٣ والذى وصل حتى السواحل الغربية لكندا الحالية.

- المعادن النفيسة وخاصة الذهب والفضة، ومحاصيل العالم الجديد الزراعية (التبغ، الذرة، الأرز، القطن، قصب السكر) والتى أسهمت فى تدفق الأموال على خزائن التاج الأسبانى كانت الدافع الرئيسى للكشوف الجغرافية الاسبانية فى العالم الجديد.

- فرنسا هى ثانى دولة أوربية بعد أسبانيا تسعى إلى الكشوف الجغرافية فى العالم الجديد (أمريكا الانجلوسكسونية) حيث قام الفرنسى **فيرازانو** بأول رحلة لحساب فرنسا إلى العالم الجديد عبر المحيط الأطلسى وكان ذلك عام ١٥٢٤ أى بعد نحو ثلث قرن من وصول الأسبان.

- خليج نيويورك - الحالى - وسواحل نيو إنجلند ونوفاسكوشيا وجزيرة نيوفوندلاند هى أول أقاليم أمريكا الأنجلوسكسونية التى تطأها أقدام الفرنسيين.

- الفرنسي فيرازانو اعتقد أن المسطحات البحرية الممتدة شمال الكتلة القارية التى وصل إليها (شمال دائرة عرض ٣٥° شمالاً) تؤدى إلى امبراطورية الصين، لذلك عرفت هذه المسطحات على الخرائط الأوربية ولفترة زمنية طويلة باسم بحر فيرازانو.
- الرحالة الفرنسي جاك كارتيه قام برحلتين إلى أمريكا الانجلوسكسونية الأولى عام ١٥٣٤، والثانية عام ١٥٤١، ونجح خلالهما فى التوغل فى مصب نهر السانت لورانس حتى الموقع الحالى لمدينة مونتريال، ونجح كارتيه في فرض سيطرة الفرنسيين على هذه الأجزاء من القارة بعد أن مهد الأرض وشيد المساكن والحصون وأقام المزارع قبل أن يعود إلى فرنسا عام ١٥٤٣.
- حماية الممتلكات الفرنسية فى أمريكا الإنجلوسكسونية من أطماع الدول الأوربية الأخرى أصبحت طلباً ملحاً لفرنسا فى بداية القرن السابع عشر نتيجة لرواج تجارة الفراء، وغنى المستعمرات الفرنسية بالموارد السمكية، لذلك شيدت فرنسا مستعمرة جديدة على خليج فندى (بين نوفاسكوشيا ونيوبرونزويك فى كندا حالياً) وأخرى عند موقع كويبك الحالى وذلك عام ١٦٠٨.
- نجح الفرنسيون في الوصول إلى نطاق برارى أمريكا الانجلوسكسونية عام ١٦١٥ حيث شيدوا العديد من مراكز تجميع الفراء.
- الكشوف الجغرافية الفرنسية امتدت صوب جنوبى امريكا الانجلوسكسونية عندما وصل الفرنسي لاسال إلى خليج المكسيك بعد ركوبه نهر المسيسبى من الشمال والوصول إلى خليج المكسيك عام ١٦٨٢ ويعلن ضم حوض نهر المسيسبى إلى الممتلكات الفرنسية.
- شيد الفرنسيون مدينة نيوأورليانز عند منطقة مصب المسيسبى لتكون مركزاً لتجميع منتجات حوض النهر تمهيداً لنقلها عبر المحيط الأطلسى إلى أوربا ولتصبح كوضع مونتريال كمركز لتجميع منتجات الشمال والاجزاء الداخلية تمهيداً لنقلها إلى أوربا.

- الثروات التى جنتها أسبانيا من كشوفها الجغرافية فى أمريكا الشمالية كانت هى الحافز الرئيسى لبريطانيا للمشاركة فى هذه الكشوف، فبالإضافة إلى رحلتى جون كابوت السابق الإشارة إليهما استولى سير همفري جلبرت على جزيرة نيوفوندلاند باسم التاج البريطانى عام ١٥٨٣، ونجح البريطانى ديفيد فى اكتشاف السواحل الجنوبية والغربية لجرينلاند وسواحل شرقى جزيرة باقن خلال عامى ١٥٨٥، ١٥٨٧. وقد مهد لهذا الكشف رحلة فروبشر إلى جزيرة باقن عام ١٥٧٧.
- استقر عدد من المزارعين الانجليز فى مستعمرة فرچينيا - نسبة إلى اليزابيث ملكة انجلترى العذراء - حيث ازدهرت مزارع التبغ حتى أن قيمة الصادر من التبغ بلغ نحو نصف مليون جنيه عام ١٦٢٨ بعد أن كان لا تتجاوز ٢٠ ألف جنيه عام ١٦١٩.
- سعى الانجليز مع بداية القرن السابع عشر إلى استكشاف الاجزاء الشمالية من أمريكا الانجلوسكسونية بعيداً عن مناطق تواجد الفرنسيين فى الوسط والأسبان فى الجنوب، لذلك اكتشف البريطانى هدسن كل من شبه جزيرة لبرادور، مضيق هدسن، خليج هدسن عام ١٦١١، وخلال العام التالى - ١٦١٢ - مسح الرحالة البريطانى بوتون الاجزاء الشمالية والغربية. لخليج هدسن.
- تمثلت أهم المستعمرات الأوربية بأمريكا الأنجلوسكسونية فيما يلى:

* مستعمرة نيويورك، أسسها الهولنديون عام ١٦٢٤ باسم «نيو امستردام» فى نطاق جزيرة مانهاتن، واستولى عليها الانجليز عام ١٦٦٤.

* مستعمرة نيوجرسى استولى عليها الانجليز عام ١٦٦٤.

* مستعمرة ويلاوار أسسها السويديون عام ١٦٣٨ بأسم السويد

الجديدة، واستولى عليها الهولنديون عام ١٦٥٥، وفرضت بريطانيا سيطرتها على المستعمرة عام ١٦٦٤.

* أسس الانجليز مستعمرة ماساشوستس عام ١٦٣٠.
* شيد البريطانى روجر وليامز مستعمرة رود أيلند عام ١٦٣٦.
* شيد توماس هوكر مستعمرة كونيكتيكت عام ١٦٣٩.
* تأسست مستعمرة نيوهامبشير عام ١٦٧٩.
* شيد وليم بن مستعمرة بنسلڤانيا عام ١٦٨١.

وظهرت مستعمرات جديدة خلال القرن الثامن عشر (نورث كالورلينا، ساوث كارولينا، چورچيا) وليتألف من المستعمرات الثلاث الأخيرة نواة الولايات المتحدة الأمريكية.

- القرن الثامن عشر شهد اتساع دائرة الكشوف الجغرافية البريطانية فى أمريكا الشمالية عن طريق الرحالة فيريندرى (١٧٣١ – ١٧٣٤)، صمويل هيرن (١٧٧١ – ١٧٧٢)، الكسندر ماكينزى (١٧٨٩ – ١٧٩٣)، ڤانكوڤر (١٧٩٢)، فراسير (١٨٠٨).
- الروس وصلوا إلى أمريكا الأنجلوسكسونية بعد اكتشاف مضيق برنج وتأسس أول مركز تجارى لهم فى الأسكا التى ظلت اقليماً روسياً حتى عام ١٨٤٧ حين تم بيعها للولايات المتحدة الأمريكية بمبلغ ٧,٢ مليون دولار أمريكى.

الفصل السابع
الكشوف الجغرافية في امريكا اللاتينية

- مقدمة
- الكشوف الجغرافية الأوربية الرائدة
- الكشوف الجغرافية خلال القرن التاسع عشر
- الكشوف الجغرافية في منطقة الكاريبي ونطاق امريكا الوسطي

مقدمة:

كان البحث عن المعادن النفيسة وخاصة الذهب من أهم الاسباب التى أدت إلى تدفق رحلات الكشوف الجغرافية الأسبانية والبرتغالية إلى جهات أمريكا اللاتينية المختلفة منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادى، وتلتهما فى مرحلة تالية دول أوربية أخرى تأتى بريطانيا وفرنسا وهولندا فى مقدمتها.

وحددت ملامح البيئة الجغرافية الطبيعية وخاصة أشكال السطح محاور الكشوف الجغرافية فيها واتجاهات تطور المعرفة الجغرافية، فقد كانت الجزر والنطاقات الساحلية فى مقدمة المناطق المكتشفة والتى استوطنها الأوربيون فى البداية، إلا أن سمات الموقع الجغرافى المتطرف وخصائص المناخ غير الملائمة وملامح النبات الطبيعى الكثيف وأشكال السطح عظيمة الامتداد، شاهقة الارتفاع أخرت إتجاه الكشوف الجغرافية صوب مناطق محددة ظلت المعلومات المتعلقة بها ضحلة إلى حد كبير حتى منتصف القرن التاسع عشر، ينطبق ذلك على الأجزاء الداخلية من حوض الأمازون وهضبة بتاجونيا وإقليم جران شاكو والنطاق الجنوبى من مرتفعات الأنديز.

عكس الوضع بالنسبة للمناطق السهلية ذات المواقع الجغرافية الجيدة وخاصة الساحلية منها (الجيانات، شمالى وشرقى وغربى القارة بصورة عامة) والتى تخترقها مجارى نهرية صالحة كلياً أو جزئياً للملاحة (ماجدالينا، الأورينوكو، الأمازون، لابلاتا، كلورادو)، فقد كانت فى مقدمة المناطق المكتشفة فى أمريكا اللاتينية وأسبقها من حيث التعمير وتوافر المعلومات الجغرافية.

وعاقت مرتفعات الأنديز بارتفاعها الكبير وامتدادها المتصل بين الشمال والجنوب تقدم الرحلات الكشفية العرضية بين الشرق والغرب والوصول براً إلى أحد المحيطين الأطلسى أو الهادى من الشاطئ الآخر لفترة زمنية طويلة وهو ما تم فى البداية إما عن طريق عبور يابس (برزخ) أمريكا الوسطى من أضيق نقاطه وهو برزخ بنما (رحلة بلباو عام ١٥١٣) أو عن طريق الدوران حول الطرف الجنوبى للقارة (رحلة ماجلان عام ١٥١٩)، فى حين أسهم امتداد مرتفعات الأنديز بالصورة المشار إليها فى سهولة الوصول إلى الاجزاء السهلية الداخلية (اللانوس، الكامبوس، البمباس، الجران شاكو) وخاصة فى حالة توافر مجارى الانهار كما سبق الإشارة.

الكشوف الجغرافية الأوربية الرائدة:

إذا كانت أسبانيا أسبق الدول الأوربية التى قامت بالكشوف الجغرافية فى أمريكا الانجلوسكسونية خلال أواخر القرن الخامس عشر، فإن **للبرتغال** هذا السبق فى أمريكا اللاتينية حيث بدأت رحلاتها الكشفية مع بداية القرن السادس عشر.

وترتبط الكشوف الجغرافية الأوربية فى أمريكا اللاتينية باسم الرحالة البرتغالى أمريجو فسبوشى A. Vespucci عام ١٥٠١، وإن سبقه فى بدء حركة الكشوف الرحالة بيدرو الفاريز كابرال Pefro Alvarez Cabral الذى قام برحلته البحرية عام ١٥٠٠ متوجهاً صوب الجنوب بهدف اكتشاف مسار جديد يؤدى الى طريق رأس الرجاء الصالح وبعد وصوله إلى جزر الرأس الأخضر دفعته الرياح التجارية الشمالية الشرقية صوب الجنوب الغربى حتى وصل إلى ساحل أمريكا اللاتينية عند موقع بورتو سيجورو Porto Seguro الواقع إلى الجنوب من سلفادور الحالية بحوالى ٤٠٠ كم، وليسجل التاريخ لكابرال أنه أول أوربى فى العصور الوسطى يصل إلى هذه العروض الجنوبية

من أمريكا اللاتينية والتى تأكد من أنها كتلة قارية جديدة، لذا أطلق عليها اسم سانتا كروز Santa Cruz، وليستمر فى رحلته بعد ذلك حيث توجه صوب الجنوب الشرقى ليعبر رأس الرجاء الصالح [شكل رقم١٣] .

وشجعت رحلة كابرال البرتغال على إرسال بعثات بحرية عديدة بدأها أمريجو فسبوشى عام ١٥٠١[1] حيث تتبع ساحل القارة حتى بلغ منطقة مصب نهر لابلاتا، وأكدت رحلة فسبوشى أن ما وصل إليه كولومبس عام ١٤٩٢ لم يكن جزر الهند المؤدية إلى شرقى آسيا وإنما هى كتلة قارية جديدة، ولم يحظ كولومبس بشرف إطلاق إسمه على هذه الأراضى الجديدة، وإنما سميت بإسم «أمريكا» بعد ذلك نسبة إلى أمريجو فسبوشى الذى أكدت رحلته أنها أراض جديدة بالفعل.

وكان لعقد اتفاقية توردسيلاس بين اسبانيا والبرتغال بمعاونة البابا عام ١٤٩٤ أكبر الأثر فى مشاركة أسبانيا فى حركة الكشوف الجغرافية فى امريكا اللاتينية حيث قام الرحالة يانيز بينزون Yanez Pinzon خلال عامى ١٤٩٩، ١٥٠٠ باستكشاف السواحل الشمالية الشرقية لأمريكا اللاتينية حتى جزيرة ترينداد التى سبق أن وصل إليها كولومبس خلال رحلته الثالثة (عام ١٤٩٨) والتى اكتشف خلالها أيضاً منطقة مصب نهر الأورينوكو.

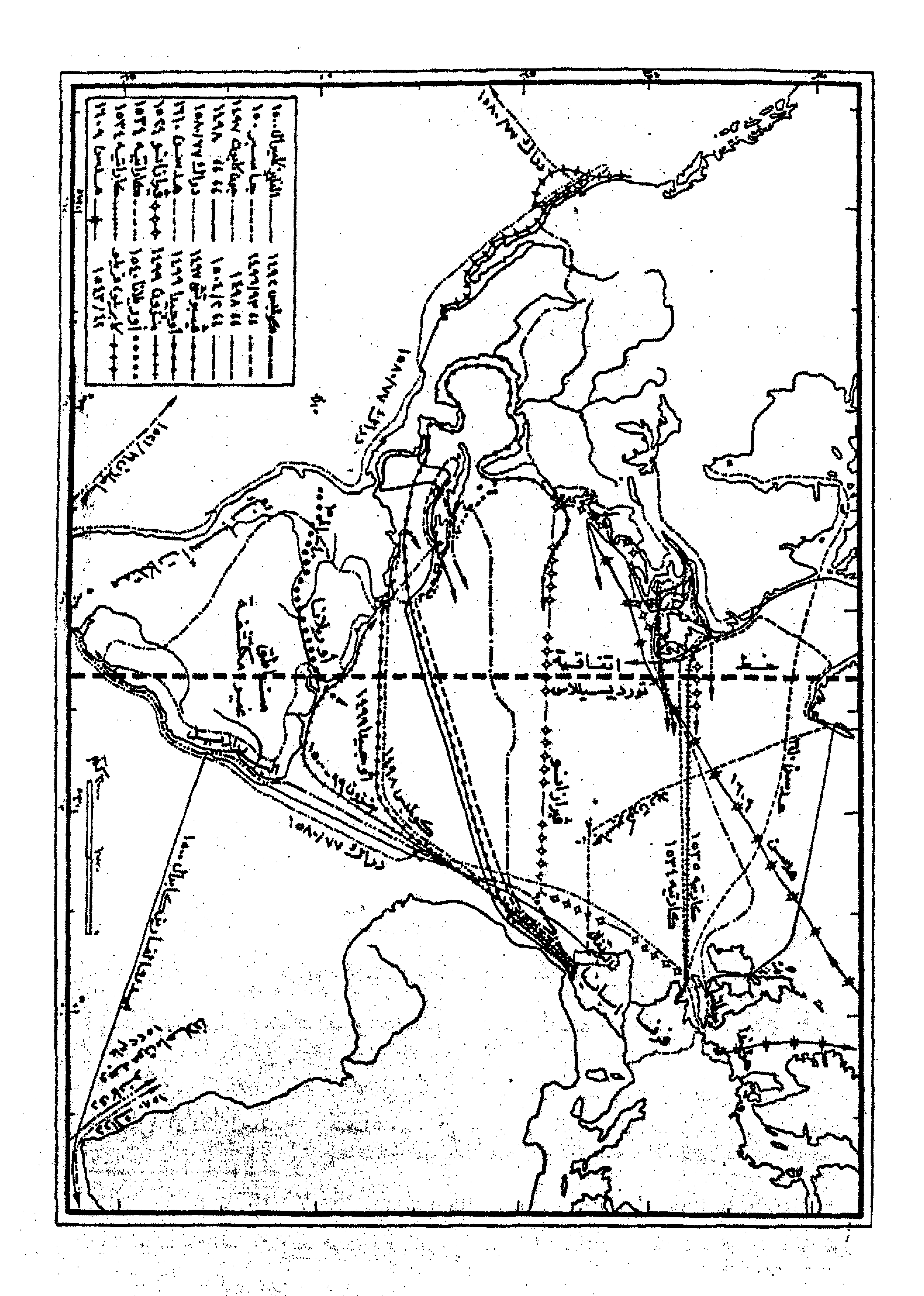
ونجح الرحالة الأسبانى بلباو Balboa عام ١٥١٣ فى عبور برزخ بنما لأول مرة من جهة البحر الكاريبى والوصول إلى المحيط الهادى الذى أسماه المحيط الجنوبى.

---

(١) أمريجوفسبوشى بحار إيطالى الجنسية عمل فى خدمة البرتغال، وكان قد سبق له القيام برحلة بحرية لحساب البرتغال خلال عامى ١٤٩٧، ١٤٩٨ ونجح خلالها فى الوصول إلى جزر البحر الكاريبى، وتتبع السواحل الشرقية لأمريكا الوسطى إلى جانب السواحل الجنوبية لأمريكا الانجلوسكسونية والمطلة على خليج المكسيك وأيضاً سواحلها الشرقية المطلة على المحيط الأطلسى حتى موقع ولاية نورث كاروليناالحالية قبل أن يغير اتجاهه متوجهاً صوب الشرق عائداً إلى البرتغال.

وكانت أسبانيا تتطلع إلى الاستمرار في الإتجاه غرباً عبر المحيط الجنوبي للوصول إلى الصين وشرقي آسيا، إلا أن هذه الامال ضعفت تدريجياً أمام اتساع المسطح البحري الهائل الممتد بلا نهاية، وهي آمال دبت فيها الحياة مرة أخرى عام ١٥١٨ عندما وصل فرديناند ماجلان F. Magellan الرحالة البرتغالي إلى أسبانيا، وكان قد خدم بلاده في جزر الهند الشرقية واضطر أمام بعض المشكلات التي أثارها البلاط الملكي البرتغالي إلى عرض خدماته على التاج الاسباني، إذ عرض ماجلان فكرته على شارل الأول ملك اسبانيا والتي تتلخص في إمكانية الوصول إلى شرقي آسيا عن طريق تتبع سواحل أمريكا اللاتينية والوصول إلى طرفها الجنوبي والدوران حوله تماماً مثلما فعل البرتغالي بارثلميو دياز Bartholomeu diaz في ٢٥ ديسمبر عام ١٤٩٧ عندما إكتشف طريق رأس الرجاء الصالح بالدوران حول الطرف الجنوبي لقارة افريقيا.

ووافق ملك أسبانيا على تنفيذ فكرة ماجلان الذي بدأ رحلته في ديسمبر عام ١٥١٩ وعبر المحيط الاطلسي وبلغ الساحل الشمالي الشرقي للبرازيل وإتجه جنوباً متتبعاً الساحل الشرقي للقارة حتى بلغ Sao Sebastiao – قرب الموقع الحالي لريو دي جانيرو – ومنها إتجه جنوباً حتى مصب نهر لابلاتا الذي تصور في البداية أنه الممر البحري المؤدي إلى الطرف الجنوبي للقارة، إلا أنه إستمر في إتجاهه جنوباً بمحاذاة ساحل بتاجونيا حتى بلغ المضيق المسمى باسمه عند دائرة عرض ٣٠َ ٥٢° جنوباً والبالغ طوله ٥٦٠ كم. وبعد عبوره المضيق إتجه شمالاً – مخترقاً المحيط الذي أسماه المحيط الهادي إذ لم تصادفه أي صعوبات خلال عبوره لهذه المسطحات البحرية – متتبعاً الساحل الغربي للقارة حتى دخل نطاق هبوب الرياح التجارية التي دفعته صوب الغرب، وبعد صعوبات عديدة وصل إلى جزر الفلبين حيث قتل



شكل رقم [١٣] الرحلات الكشفية الرئيسية إلي الأمريكتين خلال عامي ١٤٩٢ - ١٦١١

فى إحدى جزرها – جزيرة سيبو – فى ٢٧ ابريل عام ١٥٢١، وليكمل الرحلة البحار سباستيان ديلكانو S. Delcano الذى عاد إلى أسبانيا فى سبتمبر عام ١٥٢٢[١].

وكان من أهم نتائج رحلة ماجلان إثبات كروية الارض، وتحديد أبعاد قارة امريكا اللاتينية وشكلها العام مما إنعكس أثره على رسم خريطة لمسافات طويلة من سواحل القارة (السواحل الغربية لامريكا اللاتينية حتى الموقع الحالى لبيرو) بشكل دقيق إلى حد كبير، إلى جانب تأكد الجغرافيين فى أوربا من خطأ الفكرة التى كانت سائدة فى أوربا عن إتصال هذه القارة الجديدة بكتلة قارية أخرى مجهولة تمتد إلى الجنوب منها.

نخلص مما تقدم أن الاسبان نجحوا فى تحديد أبعاد معظم قارة أمريكا الاتينية ورسم طرفيها سواء الشمالى عن طريق بلباو عام ١٥١٣ عندما عبر برزخ بنما أو الجنوبى عن طريق ماجلان خلال شهرى اكتوبر ونوفمبر عام ١٥٢٠ عندما عبر المضيق المسمى بإسمه.

وبعد إنقضاء عامين على رحلة ماجلان قام الاسبانى فرنسيسكو بيزارو F. Pizarro برحلة استكشافية بدأت من موقع مدينة بنما الحالية عام ١٥٣١، وكانت الرحلة فى مرحلتها الأولى بحرية حتى سان ميجويل San Miguel شمالى بيرو، لتبدأ المرحلة الثانية من الرحلة وكانت برية نجح خلالها بيزارو فى الوصول إلى موقع بيرو الحالى، وتبعه الماجرو Almagro الذى قام برحلته إلى نفس الاقليم (بيرو) عام ١٥٣٣، وبذلك تم السيطرة على موطن حضارة الأنكا الهندية[٢] مما أسهم فى اتساع دائرة النفوذ الاسبانى غربى

---

(١) Weihaupt, J. G., Exploration of the oceans, N. Y., 1979, p. 6.

(٢) شيدت امبراطورية الانكا الهندية فى حوالى عام ١٢٣٠ ميلادية، وكانت عاصمتها كوزكو Cuzco جنوبى بيرو.

خط طول ٦٠° غرباً حسب الاتفاقية المبرمة بين أسبانيا والبرتغال [اتفاقية توردیسیلاس]، وجدير بالذكر أن مدينة ليما شيدت عام ١٥٣٥[1] لتكون مقراً لإدارة مستعمرات أسبانيا فى النطاق الغربى لامريكا اللاتينية حيث يقع بالقرب منها طرق الانكا الهندية (فى نطاق الانديز) الممتدة حتى يوكاتان - جنوبى المكسيك- موطن حضارة المايا، بالإضافة إلى تفرع الطرق البحرية فى المحيط الهادى قريبها صوب الجنوب والشمال على حد سواء لتخدم الممتلكات الأسبانية الممتدة بين سان فرنسيسكو شمالاً والطرف الجنوبى لأمريكا اللاتينية جنوباً. وأصبحت ليما مقراً لنائب ملك اسبانيا فى نطاق بيرو الذى ضم بنما وكل أمريكا اللاتينية الاسبانية باستثناء فنزويلا (التى كانت مقراً لنائب الملك فى نطاق نيوجرانادا) وبيونس أيرس (مقر نائب الملك فى نطاق لابلاتا).

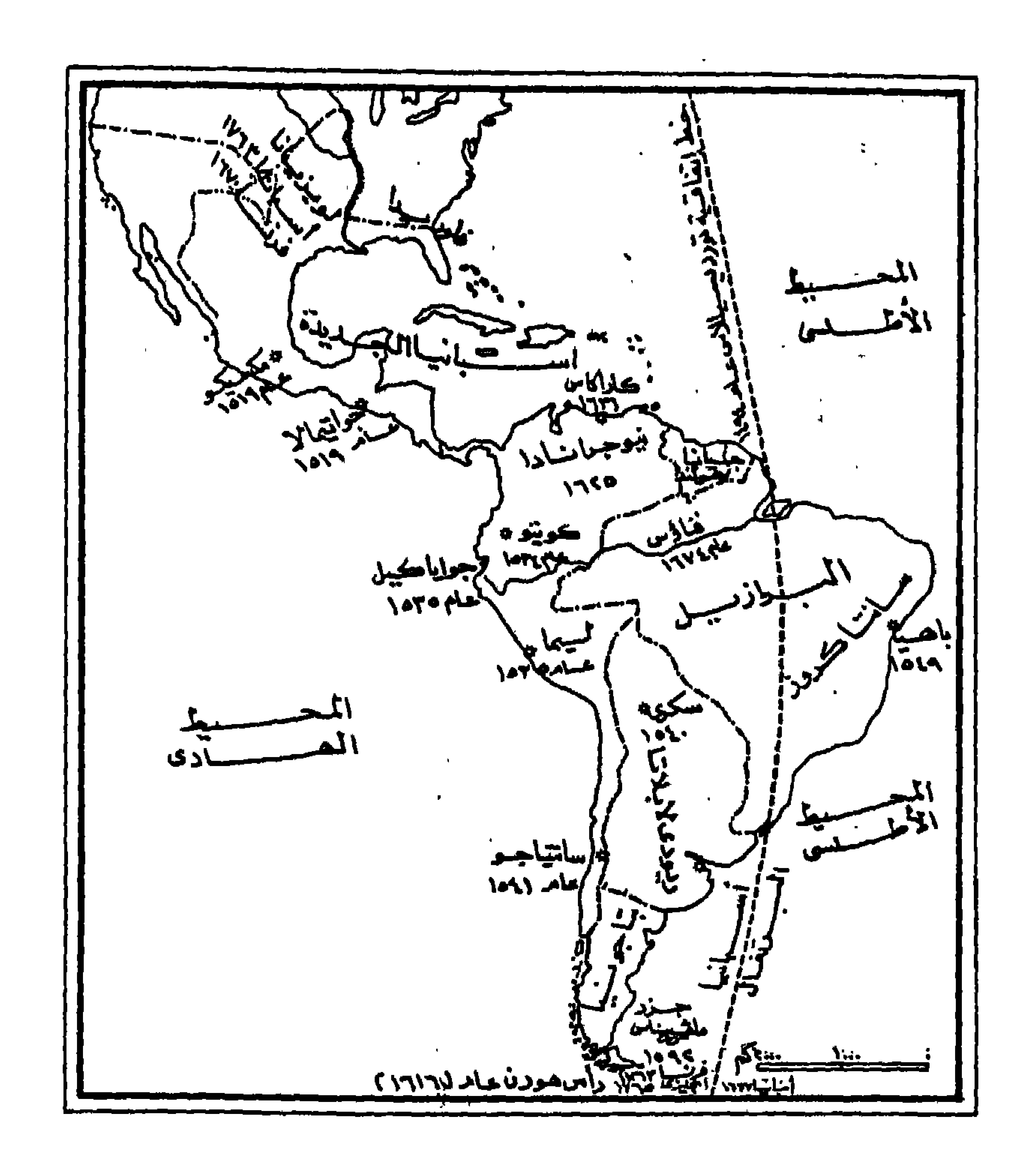
ومن مراكز الادارة الأسبانية الرئيسية فى نطاق أمريكا اللاتينية نذكر المكسيك (عام ١٥١٩)، S. Maria de Buen Aire بيونس أيرس السابق الاشارة إليها (عام ١٥٣٦)، Santafé de Bogota بوجوتا (عام ١٥٣٨).

وتمثل التواجد البرتغالى بالقارة فى مستعمرة سانتا كروز Santa Cruz التى أنشئت عام ١٥٠٤ فى النطاق الشرقى من البرازيل الحالية والتى حدها غرباً خط معاهدة توردیسیللاس المبرمة بين البرتغال وأسبانيا، وشيد البرتغالى سوسا Thomé de Sousa مدينة باهيا Bahia عام ١٥٤٩[2] والتى أصبحت عاصمة للمستعمرة حتى عام ١٧٦٣ عندما انتقلت وظيفة الادارة إلى ريو دى جانيرو. [شكل رقم١٤].

---

(١) عرفت ليما عند انشائها عام ١٥٣٥ باسم Ciudad de los Reyes.

(٢) تعرف باهيا حالياً باسم سلفادور Salvador.



شكل رقم [١٤] التواجد الاسباني والبرتغالي في امريكا اللاتينية

وتعددت رحلات الكشوف الجغرافية التي قام بها الأسبان فى القارة خلال القرن السادس عشر بحثاً عن أرض الذهب Land of El Dorado فى مملكة الأنكا الهندية التى كثرت الأساطير حولها[1] لذا خرجت عدة رحلات

---

(١) شاعت أسطورة البحث عن الدرادو El Dorado أو الإنسان المطلى بالذهب نتيجة لظهور زعيم احدى القبائل الهندية فى اقليم مدينة سنتافى دى بوجوتا (بوجوتا الحالية) وجسمه مغطى بالحلى الذهبية فى إحتفال خاص يقام سنوياً.

كشفية إتجهت من ليما صوب الجنوب (شيلى) والجنوب الشرقى (بوليفيا) لعل أهمها رحلة فالديفيا Valdivia الذى اكتشف الأقاليم الساحلية فى نطاق جنوب غربى القارة حيث تم تشييد عدة مدن أسبانية نذكر منها فالباريزو (عام ١٥٣٦)، سانتياجو (عام ١٥٤١)، لاسيرينا (عام ١٥٤٤)، لاكونسبشن (عام ١٥٥٠)، فالديفيا (عام ١٥٥٢) فى شيلى، وتوغل فالديفيا صوب الشرق مخترقاً نطاق الانديز حتى بلغ أراضى الارجنتين الحالية واكتشف نهري كلورادو، نجرو وشيد فى نطاق بوليفيا الحالية مدن سكرى Sucre (عام ١٥٤٠)، بوتوسى Potosi (عام ١٥٤٦)، لاباز (عام ١٥٤٨)، أسنسيون (فى بارجوارى) عام ١٥٣٧.

وشيد الأسبان مراكز إستقرار رئيسية لهم فى الأجزاء الشمالية من أمريكا اللاتينية والتى كانت تتبع نائب ملك اسبانيا فى نيوجراناادا New Granada، ومن هذه المراكز نذكر بورتوبيلو (عام ١٥١٣)، بنما (عام ١٥١٩)، سانتا ماريا (عام ١٥٢٧)، كورو (عام ١٥٢٧)، سان ميجويل (عام ١٥٣٢)، كارتاجنا (عام ١٥٣٣)، كويتو (عام ١٥٣٤)، جواياكيل (عام ١٥٣٥)، بورتو فيجو (عام ١٥٣٥)، بوبايان (عام ١٥٣٦)، تروجيلو (عام ١٥٣٦)، سنتافى دى بوجوتا (عام ١٥٣٨)، وجدير بالذكر أن الأسبانى أفيلا Gil Gonzalez de Avila اكتشف بحيرة نيكارجوا فى أمريكا الوسطى عام ١٥٢٢[1].

وخرجت من بعض المراكز العمرانية الأسبانية السابق الإشارة إليها العديد من الرحلات الكشفية الأسبانية التى أثرت المعرفة الجغرافية الخاصة بالنصف الشمالى من أمريكا اللاتينية، فمن مدينة كويتو بدأت رحلة أوريلانا

---

(١) بعد بحيرة نيكاراجوا أوسع بحيرات أمريكا الوسطى حيث تبلغ مساحتها ٧٩٣٦ كم٢، وعمق مياهها ٢٣٠ قدم، وهى تتصل ببحيرة ماناجوا Managua (١٤٧٢كم٢) الواقعة إلى الشمالى منها عن طريق نهر تيبيتابا Tipitapa.

Orellana الذى تتبع مجرى نهر الأمازون حتى بلغ منطقة المصب فى المحيط الاطلسى وذلك خلال عامى ١٥٤١، ١٥٤٢ لتشكل بذلك أول رحلة أوربية تخترق الغابات المدارية الكثيفة فى نطاق الأمازون من الغرب صوب الشرق.

واستغل الرحالة الأسبان المجارى النهرية فى الشمال فى القيام ببعض الرحلات الكشفية صوب الاجزاء الداخلية من القارة وخاصة نهر ماجدالينا الذى مكنهم من الوصول إلى هضبة بوجوتا فى الركن الشمالى الغربى من أمريكا الجنوبية، إلى جانب نهر الأوريفوكو وروافده الذى مكن بعض الرحالة من الوصول إلى الاجزاء الداخلية من شمالى أمريكا الجنوبية.

وتأخرت الكشوف الجغرافية الأسبانية فى الأجزاء الداخلية الجنوبية من القارة بعض الشئ حيث لم تبدأ إلا فى أواخر القرن السادس عشر وخلال القرن السابع عشر، وربما يرجع ذلك إلى بعد المسافة والاهتمام بالبحث عن الذهب فى الأجزاء الشمالية والغربية، إلى جانب عامل السبق الجغرافى المتمثل فى تمركزهم فى الشمال منذ أواخر القرن الخامس عشر، كما لا يمكن إغفال عامل الأحداث السياسية التى أثرت فى تحديد مسار الاستراتيجية الأسبانية سواء فى أوربا أو فى العالم الجديد، وكما حدث فى الشمال إستغل الأسبان المجارى النهرية فى الجنوب للتوغل فى الأجزاء الداخلية البعيدة عن خط الساحل، وشارك فى هذه الرحلات الكنيسة الكاثوليكية التى أرسلت البعثات التبشيرية لنشر المسيحية بين هنود العالم الجديد، وبالفعل أستغل نهري لابلاتا وباراجواى فى الوصول إلى مناطق تجمعات الهنود الامريكيين فى الداخل حيث شيدت مراكز استقرار أسبانية فى سنتافى (عام ١٥٧٣) وكورينتس (عام ١٥٨٨).

وكانت الثروات التى جنتها أسبانيا من استعمار الاراضى الجديدة فى

الأمريكتين وإستغلال مواردها، إلى جانب الصراع المستمر بينها وبين بريطانيا من الدوافع التى أدت إلى نشاط الرحلات الكشفية الانجليزية فى هذا العالم خلال أواخر القرن السادس عشر، ومن أميز هذه الرحلات وأطولها رحلة دراك Drake التى بدأت من بليموث جنوبى انجلترى عام ١٥٧٧ وإتجهت صوب الجنوب الغربى بصورة عامة لتمر بجزر كنارى والرأس الأخضر، وليعبر دراك المحيط الأطلسى بعد ذلك ويستمر فى رحلته فى خط مواز تقريباً للساحل الشرقى لأمريكا اللاتينية حتى نهاية طرفها الجنوبى، ليتتبع بعد ذلك السواحل الغربية للقارة، ثم سواحل أمريكا الوسطى وجنوبى أمريكا الانجلوسكسونية حتى الموقع الحالى لكاليفورنيا، ليتجه غربا مخترقاً المحيط الهادى صوب جزر الهند الشرقية، وقد أنهى دراك رحلته الكشفية الطويلة التى جمع خلالها معلومات جغرافية جيدة عام ١٥٨٠.

واقتصر تواجد البرتغاليون فى شرقى القارة على مراكز ساحلية محدودة الحجم بحكم ضآلة حجم سكان البرتغال وإمتداد أنشطتهم الكشفية فى مناطق واسعة من العالم، وتمثلت مراكز البرتغاليين أساساً فى مستعمرة باهيا التى تأسست عام ١٥٤٩، واشتملت مراكز العمران البرتغالية الرئيسية هنا على بورتو سيجورو Porto Seguro (شيدت عام ١٥٠٣)، فيلافيكوسا Vila Vico-sa (عام ١٥٠٣)، ساوفيسنت SaoVicente (عام ١٥٣٢)، بيرنا مبوكو (رسيف) عام ١٥٣٥، سانتوس (عام ١٥٤٥)، باهيا (عام ١٥٤٩)، ساوباولو (عام ١٥٥٤)، ريو دى جانيرو (عام ١٥٦٥)، وأضيف إليها خلال القرن السابع عشر فورتا ليزا Fortaleza (عام ١٦١٢)، ساو لويز دى مارانهاو Sao Luiz de Maranhao (عام ١٦١٢)، بيليم Belem (عام ١٦١٦) فى الشمال، وخلال القرن الثامن عشر شيدت مدينة بورتو أليجرا Porto Alegra عام ١٧٤٣ فى الجنوب. ولم يتوغل البرتغاليون صوب الداخل إلا فى مناطق محدودة حددتها الظروف البيئية لعل أهمها وجود شبكة من المجارى النهرية

كما هى الحال بالنسبة لنهر ساو فرنسيسكو الذى اكتشفه وتتبع مجراه صوب الداخل البرتغالى سواريس Soares .

وبدأ ظهور الفرنسيين والهولنديين فى دائرة الكشوف الجغرافية بأمريكا اللاتينية خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر إذ وصل الفرنسيون (مجموعة من المغامرين) بقيادة دى فيلجاجنون de Villegagnon إلى منطقة ريو دى جانيرو الحالية واستقروا فيها طوال السنوات الخمس الممتدة بين عامى ١٥٥٥ ، ١٥٦٠ ، كما وصلوا إلى مارانهاو Maranhao (ساو لويس Sao Luis) عام ١٦١٢ .

وأهملت شئون البرازيل إلى حد كبير خلال فترة احتلال اسبانيا للبرتغال (١٥٨٠ – ١٦٤٠) مما أدى إلى استيلاء هولندا على إقليم برنامبوكو فى أقصى شمال شرقى البرازيل عام ١٦٣٣ لمدة ١٨ عاماً حيث انسحبوا من الإقليم عام ١٦٥١ وتخلوا تماماً عن مطالبهم الاقليمية فى البرازيل تبعاً لبنود معاهدة لندن التى عقدت بين البرتغال وهولندا فى اغسطس عام ١٦٦١ .

واكتشف الرحالة الأسبان الجيانات الثلاث خلال الفترة الممتدة بين عام ١٤٩٩ – ١٥٠٠ ميلادية، ومع ذلك يعد الهولنديون هم أول من استقر فيها من الشعوب الاوربية بأعداد كبيرة، وفيما يتعلق بالجيانات نشير إلى ما يلى:

- **جيانا البريطانية (جويانا حاليا):** استقر فيها الهولنديون بأعداد كبيرة فى حوالى عام ١٦٣٠ ، وأصبحت مستعمرة هولندية عام ١٦٢٤ ، واستقر فيها أعداد كبيرة من الانجليز خلال القرن الثامن عشر حيث أسسوا مدينة جورج تاون (العاصمة) عام ١٧٨١ ، وأصبحت مستعمرة بريطانية عام ١٨٠٣ .
- **جيانا الفرنسية:** بدأ الاستقرار الفرنسى فيها عام ١٦٠٤ ، وأحتلتها انجلترى عام ١٨٠٩ إلا أنها ردت الى فرنسا عام ١٨١٧ .
- **جيانا الهولندية (سورينام حاليا):** استقر فيها الانجليز عام ١٦٥٠ ،

وسلمت لهولندا عام ١٦٦٧ تبعاً لاتفاقية بريدا Breda وبعد تعديل خط الحدود السياسية الفاصل بينها وبين جيانا البريطانية بالصورة الموجودة عليها حالياً. وجدير بالذكر أن جزءاً من أراضى جيانا البريطانية كان ضمن حدود فنزويلا قبل رسم الخريطة السياسية لهذا الجزء من القارة بصورتها النهائية.

أهم الكشوف الجغرافية في الأجزاء الداخلية:

كان لظهور الهولنديين والفرنسيين على مسرح الكشوف الجغرافية فى أمريكااللاتينية وتشييدهم لمراكز استقرار ثابتة لهم فى الجيانات خلال القرن السابع عشر تأثيراً مباشراً فى نشاط الرحلات الكشفية البرتغالية فى النطاق الشمالى للبرازيل وخاصة فى نطاق حوض الأمازون إذ شيدت بعض مراكز الاستقرار البرتغالية فى منطقة المصب والتى تأتى بارا Bara (بيليم) فى مقدمتها، وشكلت هذه المنطقة نقطة إنطلاق للكشوف البرتغالية المتجهة صوب الغرب والتى يعد بيدرو تكسيراً Pedro Teixeira رائداً لها حيث اخترق نطاق الأمازون من الشرق إلى الغرب واكتشف منابع الأمازون ودخل الأراضى الخاضعة لنفوذ اسبانيا غربى القارة حتى بلغ مدينة كويتو Quito (١٦٣٧ - ١٦٣٩).

وعلى الجانب الآخر قام الاسبانى أوريلانا Orellana برحلة إخترق فيها نطاق حوض الأمازون من نطاق الأنديز فى الغرب صوب الشرق وكان ذلك عام ١٥٤١، ونتج عن هذه الكشوف تزايد المعرفة الجغرافية الخاصة باقليم الأمازون من الجانبين الطبيعى والبشرى حيث نشرت معلومات دقيقة عن جماعات الهنود الامريكيين التى تقطن هذا الاقليم شبه المنعزل فى أمريكا اللاتينية، كما رسمت الخرائط الدقيقة لهذا الجزء من القارة ونشرت بالفعل فى أواخر القرن السابع عشر.

وكانت الرغبة فى البحث عن الذهب والتبشير بالمسيحية، إلى جانب

تجارة الرقيق التى إحترفها البرتغاليون بصورة خاصة من الدوافع الرئيسية لاستكشاف الأجزاء الداخلية من أمريكا اللاتينية وخاصة فى المحاور التى تتوافر فيها المجارى النهرية التى تشكل خطوط نقل سهلة، لذا كانت أحواض نهر ماجدلينا، الأورينوكو، الأمازون، لابلاتا، باراجواى، كلورادو، نيجرو، المجارى النهرية الصغيرة الممتدة فى نطاق الانديز هى محاور الكشوف الجغرافية الأوربية ونقاط إنطلاق حملات جمع المعلومات الجغرافية المتعلقة بأمريكا اللاتينية والتى كانت تتسع دائرتها وتتزايد دقة معلوماتها بصورة تدريجية وخاصة أنه تبين من العرض السابق أن المعلومات الجغرافية المتاحة كانت تتعلق بمناطق متباعدة مكانياً وليست ممتدة إمتداداً متصلاً كما هى الحال فى أمريكا الانجلوسكسونية التى كانت المعرفة الجغرافية المتعلقة بأقاليمها تتحرك بشكل تدريجى من الجانب الشرقى للقارة صوب الجانب الغربى حتى القرن التاسع عشر، ومعنى ذلك أنه حتى القرن الثامن عشر كانت هناك مناطق واسعة من القارة لا تتوافر المعلومات الجغرافية الدقيقة عنها - رغم قيام بعض الرحالة برحلات استكشافية عرضية عبرت القارة بين الشرق والغرب وهى رحلات شاركت فيها كل من البرتغال وأسبانيا وفرنسا - رغم موقع بعضها القريب من خط الساحل.

الكشوف الجغرافية خلال القرن التاسع عشر:

تغيرت الصورة تماماً مع بداية القرن التاسع عشر حيث تعددت الرحلات الكشفية التى أدت إلى توافر الدراسات التفصيلية والمعلومات الدقيقة عن الأقاليم الجغرافية للقارة، وكانت نقطة البداية فى ذلك رحلات ألكسندر فون همبولت Alexander Von Humboldt (١٧٦٩ - ١٨٥٩) مؤسس الجغرافيا الحديثة والتى بدأها برحلته إلى أمريكا اللاتينية عام ١٧٩٩، وهمبولت جغرافى ألمانى عمل فى بداية حياته ولفترة طويلة جيولوجيا فى

المناجم، وقام بعدة رحلات داخل قارة أمريكا اللاتينية (أمريكا الاسبانية) استغرقت نحو خمس سنوات (١٧٩٩ - ١٨٠٤)[١] بهدف جمع المعلومات الجغرافية ونشر المجهول عنها فى أوربا بعد ذلك، بالإضافة إلى التركيز عن تجميع المعلومات المتعلقة بالجوانب الطبيعية من البيئات وخاصة المجهول منها والتى يمكن من تحليلها استنتاج الكثير من الحقائق المتعلقة بالتاريخ الطبيعى للأرض، مما يعنى تركيز إهتمامات همبولت فى البداية على الجوانب الطبيعية بحكم تخصصه الأصلى كجيولوجى.

ويدأ همبولت رحلاته من سواحل شمالى فنزويلا حيث زار مراكزها العمرانية والتى تأتى كومانا Cumana فى مقدمتها[٢] ثم تجول فى حوض نهر الأورينكو وأكد فى مذكراته صلاحية مسافات طويلة من مجراه تمتد بين المنابع والمصب للملاحة النهرية، واستطاع فى نهاية هذه المرحلة من رحلته تحديد خط تقسيم المياه بين الأورينوكو فى الشمال والأمازون فى الجنوب بدقة كبيرة، كما رسم خريطة لحوض نهر الأورينوكو وقع عليها مواقع بعض الاقاليم على إمتداد النهر لمسافة تجاوزت ٢٧٠٠ كم، وبعد زيارة قصيرة لجزيرة كوبا التى نقل إليها بعض العينات من الصخور والنباتات الطبيعية التى جمعها بدأ همبولت رحلته الثانية فى القارة من الركن الشمالى الغربى حيث ركب نهر ماجدلينا وإتجه صوب الجنوب، وفى المرحلة الثانية لهذه الرحلة اخترق النطاق الشمالى لمرتفعات الانديز حتى مدينة كويتو فى إوادور حيث زار مناطق المنابع العليا لنهر الأمازون والتى

---

(١) ولدرج س.، ايست و.، الجغرافيا مغزاها ومرماها (ترجمة يوسف أبو الحجاج)، القاهرة (بدون تاريخ)، ص ١٤.

(٢) لم يكن لمدينة كاراكاس التى أسسها الأسبانى دييجو دى لوسادا Diego de Losada عام ١٥٦٧ أهمية كبيرة خلال فترة تواجد همبولت فى أمريكا اللاتينية، حيث اكتسبت المدينة اهميتها الكبيرة بعد ذلك عندما أصبحت عاصمة لفنزويلا المستقلة خلال أواخر القرن التاسع عشر

لم يصلها خلال رحلته الأولى. ونجح همبولت ايضاً فى إحتراق مرتفعات الانديز فى النطاق الممتد بين إكوادور وشمالى بيرو حتى مدينة ليما. وجمع همبولت عينات من صخور فوهات البراكين، كما حاول الربط بين أنماط النباتات الطبيعية السائدة ومناسيب الارتفاعات فوق مستوى سطح البحر وعلاقة ذلك بدرجة الحرارة، ووفق همبولت أيضاً فى قياس مناسيب بعض القمم والسفوح مستخدماً فى ذلك جهاز الباروميتر، إلى جانب تحديده للمواقع الفلكية لبعض الأماكن بدقة كبيرة، وفى المراحل الاخيرة لرحلته جمع عينات من تكوينات الجوانو (النترات) التى أرسلها إلى أوربا لتحليلها كيميائياً، كما أجرى دراسات على المياه البحرية الممتدة أمام سواحل بيرو (تيار بيرو البحرى) لتحديد درجة حرارتها وسرعتها وتحركاتها، وربما لهذا السبب أطلق على تيار بيرو البارد اسم تيار همبولت.

وعاد همبولت إلى باريس عام ١٨٠٤ بعد زيارة سريعة للولايات المتحدة الامريكية وليسجل نتائج رحلاته فى أمريكا اللاتينية (أمريكا الاسبانية) فى نحو عشرين مجلداً نشرها خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٨٠٧، ١٨١٧، وضمت كتابات همبولت معلومات جغرافية دقيقة عن نظام مرتفعات الأنديز التى أشار إلى امتدادها بين الشمال والشمال الغربى والجنوب، وإلتقاء بعض سلاسلها عند عقد جبلية نجح فى تحديد مواقعها الجغرافية على الخرائط بدقة كبيرة، والملاحظ أن همبولت ركز اهتمامه خلال رحلاته فى القار على البيئة الطبيعية دون الانسان حيث أشار فى كتاباته تفصيلاً إلى مشاهدات لظواهر ومواقع طبيعية وقياسات دقيقة لها وتحليلات وارتباطات موفقة بينها، وربما يرجع ذلك إلى أن همبولت تجول فى مساحات واسعة بالقارة خالية من البشر مما أقنعه بقوة وجبروت الطبيعة الفطرية، لذا أشار إلى الإنسان فى القارة كعنصر من عناصر البيئة الطبيعية التى وصفها

ودرسها بشئ من العمق وبصورة لفتت الأنظار إلى هذا الجزء من العالم الجديد، وأثرت فى من تبعه من الدارسين والرحالة الذين وفدوا إلى أمريكا اللاتينية بهدف إثراء المعرفة الجغرافية بالمعلومات المتعلقة بها. لذا وصل إلى القارة عشرات المستكشفين والدارسين من فرنسا والمانيا وبريطانيا خلال القرن التاسع عشر بحيث لم ينتصف هذا القرن إلا وكانت معظم أقاليم القارة ومظاهرها الرئيسية معروفة بدقة يستثنى من ذلك أربعة أقاليم هى:

- الأجزاء الداخلية من حوض الامازون
- إقليم الجران شاكو الداخلى الممتد بين شمالى الأرجنتين وباراجواى وبوليفيا
- هضبة بتاجونيا جنوبى الارجنتين
- النطاق الجنوبى لمرتفعات الانديز[1]

وتدرج الأقاليم المشار إليها ضمن أواخر الاقاليم التى تم كشفها ونشر حقائقها الجغرافية إذ استغرقت عمليات كشف الأجزاء الداخلية من حوض الأمازون وروافده الصغيرة وروافده العليا فى بيرو أكثر من ثلاثة عقود إنتهت خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبالتحديد فى بداية الستينيات من هذا القرن، وقد قام بهذه الكشوف عدد كبير من الرحالة نذكر منهم شندليز Chandles، كريفو J. Crevaux، لابر P. Labre، والذين إنتهت رحلاتهم بجمع الحقائق الجغرافية والمعلومات الدقيقة عن النظام النهرى لشبكة نهر الأمازون الذى يعد من أطول أنهار العالم وأهمها من حيث حجم التصريف المائى وأوسعها من حيث مساحة الحوض (أكثر من ٦ آلاف كم٢).

---

(١) ساعد على إنتشار المعلومات الجغرافية تأسيس العديد من الجمعيات الجغرافية فى القارة مثل المعهد التاريخى والجغرافى البرازيلى (عام ١٨٣٨)، جمعية برنامبوكو (نشرت أولى مطبوعاتها عام ١٨٦٣)، جمعية بيونس أيرس (نشرت دراساتها بدءاً من عام ١٨٧٩).

وظل إقليم جران شاكو (أكثر من ٧٥٠ ألف كم٢) ذو الموقع الداخلى والممتد بين شمالى الارجنتين (شاكو الأوسط) وباراجواى وبوليفيا (شاكو بوريل) شبه مجهولاً حتى أواخر القرن التاسع عشر حين قام فونتانا Fontana برحلاته المتكررة إلى الاقليم منذ عام ١٨٧٠ والتى استغرقت نحو عشر سنوات نجح خلالها فى كشف النقاب عن النطاق الجنوبى من الاقليم والذى سبق النطاق الشمالى فى دخول دائرة المعرفة الجغرافية، وربما يرجع ذلك إلى الطبيعة الجغرافية الصعبة للجزء الشمالى من الاقليم إذ تغطيه المستنقعات الواسعة الناتجة عن فيضانات نهر باراجواى ورافديه الرئيسيين فى الغرب بيلكومايو Pilcomayo، بيرميجو Bermejo.

ويمتد اقليم بتاجونيا جنوبى الأرجنتين (إلى الجنوب من نهرى نيجرو Negro، ليماى Limay) بين دائرة عرض ٣٩° جنوباً ومضيق ماجلان فى نطاق يتسم بالعزلة والاتساع الكبير (نحو ٨٠٠ ألف كم٢) وصعوبة الظروف المناخية مما يبرر تأخر كشف هذاالجزء من القارة ومعرفة خصائصه وأهم مظاهره حتى اواخر القرن التاسع عشر. ويأتى فرنسيسكو موريتو F. Moreno فى مقدمة الرحالة الذين نجحوا فى كشف غموض هذا الجزء من أمريكا اللاتينية، وشارك فى اكتشاف هذا الاقليم عدد كبير من الرحالة نذكر منهم براكبوش Brackbuch، مستيرز Musters الذين أسهموا فى معرفة العالم للكثير عن جغرافية بتاجونيا والتى أدت إلى تقسيم هذا الاقليم عام ١٨٨١ بين شيلى (مقاطعة ماجالانيس) والأرجنتين (مقاطعات ريو نيجرو، شوبوت، سانتا كروز).

وقام السويدى أوتو نوردينشولد Otto Nordenshiold (١٨٧٠ - ١٩٢٨) بجولات كشفية ودراسات علمية فى النطاق الجنوبي للأنديز وفى مضيق ماجلان وأيضاً فى النطاق القطبى الممتد إلى الجنوب من ذلك، وكشفت هذه

الجولات والدراسات النقاب عن جغرافية الأطراف الجنوبية للقارة وألقت الضوء على الكثير من خصائصها الطبيعية.

الكشوف الجغرافية في الكاريبي ونطاق امريكا الوسطي:

لسهولة دراسة الكشوف الجغرافية فى نطاق جزر البحر الكاريبى وما تلاها من تطور لأوضاعها السياسية يحسن تصنيف هذه الجزر جغرافيا إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى من الشمال إلى الجنوب[1]:

أولا: جزر بهاما:

عبارة عن سلسلة من الجزر يقدر عددها بعدة مئات تمتد بين جنوب شرق فلوريدا وشمال كوبا، ومع ذلك لا يتجاوز عدد الجزر المأهولة بالسكان هنا طول العام ٢٠ جزيرة تقريباً[2] وفيما يلى عرض لأهم الجزر الرئيسية وهى من الشمال إلى الجنوب: -

باهاما الكبرى، أباكو، اليثيرا، نيو بروفيدنس، أندروس، كات، سان سلفادور (واتلينج)، أكسوما، لونج، كروكد، أكلينس، مايا جونا، أناجو، وتنتهى جنوبا بمجموعتى جزر توركس Turks، كاكوس Caicos.

وأكتشفت كولمبس جزيرة سان سلفادور (واتيلنج) فى ١٢ اكتوبر عام ١٤٩٢، وتتابع اكتشاف باقى الجزر بعد ذلك بصورة تدريجية إنتهت تقريباً عام ١٥١٢ باكتشاف جزر كاكوس، وكان يقطن جزر بهاما عند كشفها هنود لوكايان، وأصبحت هذه الجزر ملكاً لأسبانيا بعد توقيع معاهدة توردسيلاس

---

(١) كانت الأوضاع السياسية لجزر البحر الكاريبى تتباين زمنياً تبعاً للأوضاع السياسية وطبيعة العلاقات القائمة والحروب بين الدول فى أوربا، مما يعنى أن التبعية السياسية لم تكن تتفق بالضرورة للدولة التى اكتشفت الجزيرة أو استقر فيها مواطنوها فى البداية.

(٢) National Geographic Magazine, November 1987, Vol, 172, No. 5.

مع البرتغال عام ١٤٩٤ ، وكان يزورها تجار الرقيق والقراصنة من حين لآخر، إلا أنها خضعت للتاج البريطانى عام ١٦٢٩ بعد أن استسلمت لسير روبرت هيث Sir Robert Heath وتعرضت الجزر لهجمات الاسبان خلال الاعوام ١٦٤١ ، ١٦٨٤ ، ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ ؛ كما عانت من استغلال القراصنة لبعض جزرها كقواعد لهم، ونجحت أسبانيا فى السيطرة على بعض جزر بهاما عام ١٧٨٢ ، إلا أن بريطانيا استردتها تبعاً لاتفاقية فيرسال عام ١٧٨٣ .

ثانياً: جزر الأنتيل الكبرى:

تضم هذه المجموعة الجزر التالية:

١- جزيرة كوبا:

اكتشفها كولمبس عام ١٤٩٢ ، وسيطرت عليها أسبانيا منذ عام ١٥١١ ، وكان أول استقرار أوربى فى موقع مدينة هافانا الحالى عام ١٥١٩ ، واحتلتها انجلترا عام ١٧٦٢ حين كانت تكون جزءاً هاماً من ممتلكات أسبانيا يعرف باسم «اسبانيا الجديدة» ويديرها نائباً للملك. وردت جزيرة كوبا إلى أسبانيا مرة أخرى عام ١٧٦٣ ، وأصبحت وحدة إدارية مركزية (رئيسية) عام ١٧٧٧ ، وعاشت عصراً مزدهراً من الناحية الاقتصادية منذ عام ١٧٩٠ تحت إدارة Las Casas، فى حين عانت من فترات إضطراب خلال عامى ١٨٤٦ ، ١٨٤٧ (أثناء الحرب الأسبانية الأمريكية) وأيضاً خلال عامى ١٨٦٨ ، ١٨٧٨ . وازدهرت الجزيرة اقتصادياً عام ١٨٩٥ بعد التوسع فى استخدام مواردها الزراعية بصورة خاصة.

٢- جزيرة هسبانيولا:

زارها كولمبس عام ١٤٩٢ ، واستقر فيها الاسبان منذ عام ١٤٩٣ لتشكل بذلك أول مستعمرة اسبانية فى نصف الكرة الغربى، وقد أباد الاسبان سكانها الأصليين وحل العبيد محلهم فى زراعة الارض حيث تم جلب نحو ٧٠٠

ألف زنجي من غربي افريقيا[1] واحتل القراصنة خلال القرن السابع عشر الجزء الغربي من الجزيرة الذى تخلت عنه اسبانيا لفرنسا عام ١٦٩٧ وأصبح مستعمرة فرنسية عرفت باسم سانت دومينجو، بينما ظل الجزء الشرقى Santo Domingo تحت الادارة الاسبانية، وظلت الجزيرة مقسمة بين اسبانيا وفرنسا حتى أواخر القرن الثامن عشر.

وتعرضت الجزيرة لفترة اضطرابات عام ١٧٩١ نتيجة لتمرد العبيد مما شجع بريطانيا على احتلالها خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٧٩٣ – ١٧٩٨ ، وانقسمت الجزيرة بعد ذلك بين دولتى الدومينكان (تشغل الجانب الشرقى الذى يكون نحو ثلثى الجزيرة) وهايتى (تشغل الجانب الذى يعادل ثلث مساحة الجزيرة تقريباً).

٣- جزيرة بورتوريكو:

اكتشفها كولمبس فى ١٩ نوفمبر عام ١٤٩٣ ، وبدأ يفد إليها الأوربيون بهدف الاستيطان منذ عام ١٥٠٨ ، وأهملتها اسبانيا حتى عام ١٥٣٣ عندما بدأت فى إقامة الحصون القوية حول San Juan المركز العمرانى الرئيسى فيها، واحتلتها الولايات المتحدة الامريكية فى ٢٥ يوليو عام ١٨٩٨ .

٤- جزيرة جاميكا:

اكتشفها كولمبس عام ١٤٩٤ ، وأصبحت مستعمرة أسبانية طوال الفترة الممتدة بين عامى ١٥٠٩ – ١٦٥٥ حيث احتلتها بريطانيا بعد ذلك، وكانت مدينة بورت رويال أزهى مراكزها العمرانية خلال فترة تجارة الرقيق، إلا أنها دمرت بفعل زلزال عنيف لتشيد مدينة كينجستون (عاصمة الجزيرة) فى نفس الموقع عام ١٦٩٢ .

---

(١) National Geographic, Ibid., p. 651.

ويمتد إلى الشمال الغربى من جاميكا **جزركايمان** وهى عبارة عن ثلاث جزر اكتشفها كولومبس عام ١٥٠٣، ومع ذلك لم يستقر فيها الأسبان حتى استوطنها بعض الانجليز النازحين من جزيرة جاميكا عام ١٧٣٤.

ثالثاً: جزيرة الأنتيل الصغري:

تنقسم هذه الجزر إلى مجموعتين رئيسيتين هما:

- جزر ليوارد Leeward
- جزر وندوارد Windward

أ - جزر ليوارد:

تتألف من عدد كبير من الجزر تمتد فى شكل سلسلة إتجاهها شمالى غربى / جنوبى شرقى، وهى تأتى فى مقدمة جزر البحر الكاريبى التى إستقر فيها الانجليز بعد اكتشافها، ومن أهم جزرها نذكر ما يلى:

١- جزر فرجين:

إكتشفها كولمبس عام ١٤٩٣ وأطلق عليها هذا الإسم نسبة إلى ملكة أسبانيا آنذاك، واحتلها الهولنديون والانجليز والاسبان خلال فترات تاريخية متتالية، لتحتلها الدنمارك عام ١٦٨٤ وتعلن ضمها كمستعمرة ضمن ممتلكات التاج الدنماركى عام ١٧٥٤، وحاولت الولايات المتحدة الامريكية شراءها خلال عامى ١٨٦٧، ١٩٠٢ حتى تحقق لها ما أرادت وبيعت لها الجزر عام ١٩١٧.

٢- جزيرة سانت مارتين:

احتلها الفرنسيون والأسبان خلال عامى ١٦٤٠ - ١٦٤٨، وقسمت خلال العام الاخير (١٦٤٨) بين فرنسا وهولندا، حيث تدير فرنسا الجزء الشمالى ومساحته نحو ٥١ كم٢ من مركز مستعمراتها فى جزيرة جواديلوب، بينما يخضع الجزء الجنوبى من الجزيرة (مساحته حوالى ٣٣ كم٢) لهولندا.

٣- جزيرة انتيجوا:

إكتشفها كولمبس عام ١٤٩٣ وسكنها الانجليز عام ١٦٣٢ واحتلتها فرنسا عام ١٦٦٦ لتستردها انجلترى عام ١٦٦٧ .

٤- جزيرة مونتسيرات:

جزيرة بركانية اكتشفها كولمبس عام ١٤٩٣ واحتلها الانجليز عام ١٦٣٢ لتصبح من الممتلكات البريطانية بعد عدة سنوات خضعت الجزيرة خلالها للاحتلال الفرنسى (١٦٦٤ – ١٦٦٨، ١٧٨٢ – ١٧٨٤) .

٥- جزيرة جواديلوب:

إكتشفها كولمبس عام ١٤٩٣ واحتلتها فرنسا عام ١٦٣٥ وانجلترى خلال السنوات ١٧٥٩ – ١٧٦٣ ، ١٧٩٤، ١٨١٠ – ١٨١٣ وتنازلت عنها للسويد عام ١٨١٣ لتستردها فرنسا عام ١٨٦١.

٦- جزيرة دومينيكا:

إكتشفها كولمبس عام ١٤٩٣ واستقر فيها الفرنسيون فى البداية لتسـ لى عليها بريطانيا عام ١٧٥٩ وتحتلها فرنسا عام ١٧٧٨ إلا أنها ردت إلى بريطانيا عام ١٧٨٣ .

ب- جزر وندوارد:

تقع إلى الجنوب من مجموعة جزر ليوارد حيث يفصل بين المجموعتين دائرة عرض ١٥° شمالاً تقريباً، وهى تمتد بين الشمال والجنوب بدءاً من جزيرة مارتينيك فى الشمال حتى دائرة عرض ١٢° شمالاً فى الجنوب، ومن أهم جزرها نذكرها ما يلى:

١- جزيرة مارتينيك:

إكتشفها كولمبس عام ١٥٠٢ وسكنها الفرنسيون عام ١٦٣٥ ، فى حين ضمت للتاج الفرنسى عام ١٦٧٤ ، وهاجمها البريطانيون والهولنديون خلال

القرن السابع عشر، واحتلها الانجليز خلال الفترات الممتدة بين عامى ١٧٩٤، ١٨٠٢ وعامى ١٨٠٩ - ١٨١٤ .

٢- جزيرة سانت لوتشيا:

إكتشفها كولمبس عام ١٥٠٢ واستقر فيها الانجليز عام ١٦٠٥، وكانت مثار تنافس شديد بين فرنسا وبريطانيا طوال القرن السابع عشر، واعتبرت جزيرة محايدة عام ١٧٤٨ ومع ذلك تبادلت الدولتان احتلالها خلال حروب أواخر القرن التاسع عشر، وأخيراً أصبحت من الممتلكات البريطانية عام ١٨١٤.

٣- جزيرة سانت فنسنت[١]:

إكتشفها كولمبس عام ١٤٩٨، وإستقر فيها الانجليز عام ١٦٢٧ وإحتلتها فرنسا خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٧٧٩ - ١٧٨٣ لتستردها بريطانيا بعد ذلك.

٤- جزيرة باربادوس:

اكتشفها البرتغاليون خلال القرن السادس عشر، وضمتها بريطانيا الى ممتلكاتها عام ١٦٠٥ عندما زارها حاكم جيانا البريطانية.

٥- جزيرة جرينادا:

تقع عند الطرف الجنوبى لجزر وندوارد، اكتشفها كولمبس عام ١٤٩٨ واحتلها حاكم جزيرة مارتينيك الفرنسية عام ١٦٥٠، وضمت إلى ممتلكات التاج الفرنسى عام ١٦٧٤ إلا أن بريطانيا احتلتها عام ١٧٦٢ ونجحت فرنسا فى استردادها خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٧٧٩ - ١٧٨٣، وثار الأهالى على فرنسا بمساعدة بريطانيا عام ١٧٩٥ لتدخل دائرة النفوذ البريطانى.

(١) تعد سانت فنسنت من أكثر جزر البحر الكاريبى معاناة من عواصف الهاريكان المدارية.

٦- **جزيرة توباجو:**

اكتشفها كولمبس عام ١٤٩٨ واستقر فيها الانجليز عام ١٦١٦ وتناقلت ملكيتها عدة مرات بين بريطانيا وهولندا وفرنسا، لتحتفظ بها بريطانيا منذ عام ١٨١٤.

وتمتلك هولندا عدداً من الجزر تعرف باسم **جزر الأنتيل الهولندية** تضم إلى جانب الجزء الجنوبى من جزيرة سانت مارتين جزر كاركاو، أوروبا، بونير وتمتد كلها قبالة الساحل الشمالي لفنزويلا.

٧- **جزيرة كاراكاو:**

إكتشفها الاسبان عام ١٤٩٩ واستقروا فيها بالفعل عام ١٥٢٧ ومع ذلك احتلتها هولندا عام ١٦٣٤ حيث اعتبرت من ممتلكات شركة الهند الغربية الهولندية، واحتلتها بريطانيا خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٨٠٧ – ١٨١٥ لتستردها هولندا مع جزيرة أوروبا القريبة منها عام ١٨١٥ بمقتضى اتفاقية باريس.

وتأتى جزيرة **برمودا** الواقعة فى المحيط الأطلسى أمام سواحل فلوريدا فى مقدمة الجزر التى سيطرت عليها بريطانيا فى نصف الكرة الغربى حيث احتلتها خلال توجهها صوب جزر الكاريبى فى الجنوب. وقد زارها الاسبان عام ١٥١٥ اذ يعتقد أنهم أول من اكتشفها، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الاسبانى Juan de Bermudez، وعرفت قديماً فى بريطانيا باسم Somers نسبة إلى البريطانى جورج سوميرس الذى زار الجزيرة وهو فى طريقه إلى فرجينيا على الساحل الامريكى عام ١٦٠٩.

وبالنسبة **لأمريكا الوسطي** فقد اكتشف كولمبس معظم سواحلها المطلة على البحر الكاريبى خلال رحلته الاخيرة عام ١٥٠٢، أما السلفادور المطلة على المحيط الهادى فقد اكتشفها الاسبانى الفارادو Alvarado عام ١٥٢٣ بعد عشر

سنوات من اكتشاف بلباو للمحيط الهادى عام ١٥١٣، وتم تشييد مدينة بنما عام ١٥١٩، فى حين شيدت بورتوكورتيس Puerto Cortes كثانى مدينة أسبانية فى أمريكا الوسطى عام ١٥٢٥.

وأقامت اسبانيا فى امريكا الوسطى وحدة إدارية مستقلة عرفت باسم جواتيمالا عام ١٥٢٧، وضمت هذه الوحدة من الدول الحالية فى المنطقة جواتيمالا، السلفادور، هندوراس، نيكاراجوا، كوستاريكا، ومعنى ذلك أن جواتيمالا الاسبانية التى أنشئت خلال القرن السادس عشر ضمت كل الوحدات السياسية الحالية فى أمريكا الوسطى باستثناء:

أ- بنما التى تم أول استقرار أوربى فيها عام ١٥١٠، وكانت تابعة لنائب ملك اسبانيا فى نيوجرانادا.

ب- هندوراس البريطانية (بليز حاليا) التى استقر فيها عدد من الحطابين الانجليز النازحين من جاميكا عام ١٦٣٨ وأصبحت خاضعة للإدارة البريطانية عام ١٧٨٦.

تذكر أن :

- البحث عن المعادن النفيسة كان أهم الأسباب التى أدت إلى تدفق رحلات الكشوف الجغرافية الأسبانية والبرتغالية إلى مختلف أقاليم أمريكا اللاتينية منذ بداية القرن الخامس عشر، وتلتهما فى مرحلة تالية الدول الأوربية المالكة للأساطيل البحرية وفى مقدمتها بريطانيا، فرنسا، هولندا.

- ملامح البيئة الجغرافية الطبيعية هى التى حددت اتجاهات محاور تطور المعرفة الجغرافية عن القارة، فبينما كانت الجزر - بهاما، الأنتيل الكبرى والصغرى - والنطاقات الساحلية والأقاليم التى تتوافر فيها الأنهار الصالحة للملاحة تتصدر الأقاليم الجغرافية المكتشفة والتى استقر فيها الأوربيون فى البداية، تأتى الأجزاء الغربية وهضبة بتاجونيا وإقليم جران شاكو وجنوبى نطاق الأنديز، بالإضافة إلى حوض الأمازون فى مؤخرة الأقاليم المكتشفة بحكم صعوبة ملامح بيئاتها الجغرافية وتطرف مواقعها ووعورة سطح بعضها.

- مرتفعات الأنديز شاهقة الارتفاع، عظيمة الامتداد بين الشمال والجنوب شكلت أهم العقبات التى اعترضت تقدم الكشوف الجغرافية العرضية بين الشرق والغرب، والتى لم تتم فى البداية إلا عن طريق عبور برزخ أمريكا الوسطى من أضيق نقاطه وهو برزخ بنما (رحلة بلباو عام ١٥١٣) أو عن طريق الدوران حول الطرف الجنوبى للقارة (رحلة ماجلان عام ١٥١٩).

- البرتغال هي أسبق الدول الأوربية في مجال تمويل وارسال رحلات لاكتشاف أقاليم أمريكا اللاتينية.
- الرحالة البرتغالى **بيدرو الفاريز كابرال** هو أول أوربي يصل إلى سواحل امريكا اللاتينية وكان ذلك عند موقع بورتو سيجورو (إلى الجنوب من سلفادور الحالية بمسافة ٤٠٠ كيلو متراً) عام ١٥٠٠.
- **أمريجو فسبوشي** ثاني برتغالي يصل إلى أمريكا اللاتينية عام ١٥٠١ حيث تتبع سواحل القارة حتى بلغ مصب نهر لابلاتا.
- اتفاقية تورديسيلاس التي عقدت بين اسبانيا والبرتغال عام ١٤٩٤ بمساعدة البابا حددت مناطق نفوذ كل من الدولتين في العالم الجديد، وهو ما نشط الكشوف الجغرافية الاسبانية، حتى وصل الأسباني يانيز بينزون إلى سواحل شمال شرقي أمريكا اللاتينية خلال عامي ١٤٩٩ - ١٥٠٠.
- الرحالة الأسباني بلباو نجح لأول مرة في عبور برزخ بنما من جهة البحر الكاريبي والوصول إلى المحيط الهادى الذى أسماه المحيط الجنوبي عام ١٥١٣.
- ملك اسبانيا وافق على تنفيذ فكرة **فرديناند ماجلان** في إمكانية الوصول إلى شرقي آسيا والصين عن طريق تتبع سواحل أمريكا اللاتينية والوصول إلى طرفها الجنوبي والدوران حوله (كما فعل بارثلميوديار عندما دار حول الطرف الجنوبي لقارة افريقيا واكتشف طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧).

وبالفعل قام ماجلان برحلته فى ديسمبر عام ١٥١٩، ونجح فى اكتشاف المضيق المسمى باسمه عند دائرة عرض ٣٠ ٥٢° جنوباً، وبعد عبوره المضيق اخترق المحيط الهادى فى نطاق هبوب الرياح التجارية التى دفعته غرباً حتى بلغ جزر الفلبين حيث قتل فى إحدى جزرها – سيبو – فى ٢٧ ابريل عام ١٥٢١.

– الرحلات الكشفية الاسبانية تعددت فى امريكا اللاتينية، ومن أشهرها رحلة فرنسيسكو بيزايو إلى موقع بيرو الحالية عام ١٥٣١، ورحلة الماجرو إلى موطن حضارة الأنكا الهندية عام ١٥٣٣، ورحلة فالديفيا التى بلغت أقاليم شيلى الحالية بالإضافة إلى بعض أقاليم الأرجنتين، باراجواى، بوليفيا عام ١٥٥٢.

– الأسبان شيدوا العديد من مراكز العمران فى أمريكا اللاتينية مثل بورتو بيلو عام ١٥١٣، بنما عام ١٥١٩، سانتا ماريا عام ١٥٢٧، كويتو عام ١٥٣٤ جوايا كيل عام ١٥٣٥، أسنسيون عام ١٥٣٧٣٧٥١ سكرى عام ١٥٤٠، بوتوسى عام ١٥٤٦، ومن مراكز العمران المشار إليها انطلقت العديد من الرحلات الكشفية الأسبانية التى أثرت المعرفة الجغرافية الخاصة بالنصف الشمالى من أمريكا اللاتينية على وجه الخصوص.

– الثروات التى جنتها اسبانيا من استعمار الأراضى الجديدة فى الأمريكتين أغرت بريطانيا بتكثيف نشاطها الكشفى فى أمريكا اللاتينية خلال أواخر القرن السادس عشر، وكانت أولى رحلاتها الطويلة تلك التى قام بها دراك عام ١٥٧٧.

- الرحلات الكشفية الفرنسية والهولندية إلى أمريكا اللاتينيه نشطت أيضاً خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر والتى تركزت فى الجيانات حيث شيدوا مراكز عمرانية خاصة بهم خلال القرن السابع عشر، وهو ما نشط الرحلات الكشفية البرتغالية فى نطاق حوض الأمازون وخاصة منطقة المصب التى تشكلت نقطة انطلاق للكشوف الجغرافية البرتغانية صوب الأقاليم الداخلية فى هذا النطاق من القارة.

- الكسندر فون همبولت مؤسس الجغرافيا الحديثة قام بعدة رحلات داخل قارة امريكا اللاتينية أو ما يمكن أن نطلق عليه اسم امريكا الاسبانية خلال الفترة بين عامى ١٧٩٩ - ١٨٠٤، واستطاع جمع المعلومات المتنوعة عن الأقاليم المجهولة بالقارة وخاصة ما يتعلق بالجوانب الطبيعية للبيئات فى نطاقات الانديز، حوض الأورينوكو، نهر ماجدلينا، المنابع العليا للأمازون. كما أجرى دراسات على المياه البحرية الممتدة أمام سواحل بيرو الحالية واكتشف التيار البحرى السطحى الذى يحمل إسمه حتى الآن.

- قارة امريكا اللاتينية زارها العديد من المستكشفين من بريطانيا والمانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر وأصبحت معظم أقاليم القارة معروفة للجغرافيين باستثناء بعض الاقاليم التى يتصدرها الاجزاء الداخلية من حوض الأمازون، إقليم جران شاكو الداخلى، هضبة بتاجونيا، جنوبى نطاق الانديز، والتى أمكن معرفة ملامحها الجغرافية تفصيلاً خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

الفصل الثامن
الكشوف الجغرافية في استراليشيا

- مقدمة
- الكشوف الجغرافية الأوربية خلال القرن السابع عشر
- رحلات جيمس كوك
- الكشوف الجغرافية الرئيسية التي قام بها المستوطنون الانجليز
- الكشوف الجغرافية الداخلية في استراليا
- الكشوف الجغرافية الرئيسية في نيوزيلندا

مقدمة:

أشير إلى استراليا كقارة مجهولة تمتد في أقصى النصف الجنوبي للكرة الأرضية في الكتابات الجغرافية القديمة والتي ترجع في أصولها إلى العصر اليوناني حيث عرفت باسم Terra Australis، وأطلق عليها بعد ذلك اسم استراليا Australia، وهي كلمة مشتقة من اللغة اللاتينية وتعني الجنوبية[1].

وكان إفتراض الفكر الجغرافي في وجود الكتلة القارية الجنوبية طوال العصور القديمة قائماً على حتمية وجود هذه الكتلة في نصف الكرة الجنوبي حتى تتوازن مع يابس نصف الكرة الشمالي عبرالمسطحات البحرية الواسعة التي تفصل فيما بينهما، وكان الاعتقاد السائد يدور حول شكل هذه الكتلة القارية Terra Australis لنصف الكرة الجنوبي بأكمله - إلى الجنوب من خط الاستواء - إلا أنه مع بدء حركة الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر وتعدد الرحلات المتجهة صوب الجنوب بعيداً عن خط الاستواء بدأ يتراجع الحد الشمالي لهذه الكتلة صوب الجنوب فرحلتي بارتلوميو دياز (١٤٧٦ - ١٤٨٧)، فاسكو دي جاما (١٤٩٧) دفعتا حدها

---

(١) وقع بطليموس Ptolomy الذي عاش في القرن الثاني الميلادي على خريطته الشهيرة «الأرض الجنوبية المجهولة» كامتداد للقارة الافريقية صوب الشرق وبحيث تتصل بالقارة الأسيوية ليظهر المحيط الهندي كمسطح بحري مغلق تمتد الارض أو القارة الجنوبية إلى الجنوب منه.

ويتميز بطليموس بإنجازاته الجغرافية التي تمثلت في وضعه لقواعد ثابتة لعلم الجغرافيا، وعرضه لطرق رسم الخرائط، وإلمامه بقواعد الجغرافيا الرياضية التي إعتمد عليها في وضع أبعاد محددة لشكل الكرة الأرضية، لذا ضم مؤلفه (الجغرافيا) أطلسا لاقاليم العالم خلال القرن الثاني الميلادي والتي سعى بعض الرحالة فيما بعد إلى كشف المجهول منها - بما في ذلك الأرض أو القارة الجنوبية - إيماناً منهم بدقة خرائط هذا الجغرافي العظيم الذي كان لنظرياته وخرائطه تأثير كبير على الفكر الأوربي طول عدة قرون لاحقة.

الشمالى إلى أبعد من دائرة عرض ٣٥° جنوب خط الاستواء (رأس أجولهاس)، فى حين دفعت رحلة ماجلان حول الرأس الجنوبى لقارة امريكا اللاتينية (١٥١٩ – ١٥٢٢) الحد الشمالى للقارة الجنوبية إلى أبعد من دائرة عرض ٥٥° جنوباً، حتى وصل اليها إلبرتغاليون والهولنديون كما يعتقد البعض خلال القرن السادس عشر، بينما بلغها الانجليز عام ١٦٢٢ عندما وصلوا إلى سواحلها الشمالية الغربية[1] وليتم فى المراحل التالية – والتى لم تتجاوز عدة عقود – تحديد أبعاد القارة الجديدة وتتبع سواحلها وتوقيعها مع الجزر المجاورة لها على خرائط. ومعنى ذلك أن إكتشاف القارة الاسترالية تأخر عن كشف الأمريكتين بفترة زمنية تجاوزت قرن من الزمان، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب نوجزها فيما يلى:

١ – موقعها الجغرافى البعيد عن الكتل القارية الأخرى وخاصة الرئيسية منها فالمسافة بينها وبين شرقى آسيا (جزر اليابان على سبيل المثال) تتجاوز ٧٠٠٠ كم، فى حين تبلغ أكثر من تسعة آلاف كيلو متراً بينها وبين الطرف الجنوبى لقارة افريقيا، ونحو عشرة آلاف كيلو متراً بينها وبين برزخ بنما، مما يعنى إمتداد المسطحات البحرية الفاصلة بينها وبين غيرها من الكتل القارية وخاصة فى نصف الكرة الشمالى لمسافات طويلة كان يصعب إجتيازها خلال عهود الملاحة الشراعية.

٢ – امتداد الشعاب المرجانية فى شكل حاجز طويل Great Barrier Reef أمام السواحل الشمالية الشرقية لاستراليا لمسافة تتجاوز فى إمتدادها إمتداد الجزر البريطانية بين الشمال والجنوب، وتشكل هذه الشعاب خطراً

---

(١) عرفت حقيقة وصول الانجليز إلى سواحل استراليا الشمالية الغربية فى حوالى عام ١٦٢٢ من حطام بعض السفن التى عثر عليها انظر:

Heathcote R. L., Australia, N. Y., 1967, p. 73.

كبيراً على الملاحة البحرية فى نطاق السواحل الشرقية وخاصة الشمالية منها.

٣- إعتراض الرياح التجارية الهابة من الجنوب الشرقى للسفن الملاحية الأوربية المتجهة من سواحل قارتى أمريكا اللاتينية وأريقيا (أكثر الكتل القارية التى تواجد فيها الاوربيون امتداداً ناحية الجنوب) صوب نصف الكرة الجنوبى حيث تدفعها - خلال مرحلة الملاحة الشراعية - تجاه الشمال بصورة عامة حتى نطاق خط الاستواء، ومع تعدد المحاولات تبين للملاحين أنه يمكن الإبحار للوصول إلى نصف الكرة الجنوبى عن طريق بدء الرحلات الكشفية من الطرف الجنوبى لكل من إفريقيا وأمريكا اللاتينية بالاتجاه من الغرب للشرق خلال شهور الصيف حين تسود نطاقات من الضغط الجوى المرتفع حول مدار الجدى، بينما تصبح مثل هذه الرحلات أسهل من الطرف الجنوبى لأمريكا اللاتينية عنها من الطرف الجنوبى لأفريقيا خلال شهور الشتاء لتقطع نطاقات الضغط الجوى المشار إليها، مما يعنى أن الملاحين الأوربيين بعد معرفتهم لنظام هبوب الرياح فى نصف الكرة الجنوبى - وهو أمر إستغرق فترة زمنية طويلة - إستطاعوا الوصول إلى المسطحات المحيطية الجنوبية والتى شكلت بدورها نقطة البداية للوصول إلى استراليشيا بعد ذلك.

٤- أدت البساطة النسبية للأدوات المستخدمة فى تحديد المواقع الجغرافية إلى اتساع احتمالات الخطأ فى رسم الخرائط وبالتالى عدم تحديد مواقع السواحل والجزر والأقاليم بدقة كبيرة خلال سنوات طويلة، لذلك تعددت حالات إكتشاف بعض الجزر وبعد تحديد مواقعها على الخرائط البحرية تعذر الوصول إليها مرة أخرى بسهولة، لذا تكررت ظاهرة إكتشاف الجزيرة الواحد فى نصف المحيط الهادى الجنوبى أكثر من مرة، ينطبق

ذلك على جزر سولومون التى إكتشفها الأسبان لأول مرة عام ١٥٦٨، وجزر سانتا كروز التى إكتشفها الاسبان عام ١٥٩٥، وجزر تونجا Tonga التى اكتشفها الهولنديون عام ١٦١٦، وجزر فيجى التى إكتشفها الهولندى أبل تاسمان عام ١٦٤٣(١).

الكشوف الجغرافية الأوربية خلال القرن السابع عشر:

إذا وضع فى الاعتبار الصعاب السابق الإشارة إليها وخاصة إتجاه الرياح السائدة فى النصف الجنوبى للكرة الارضية والتى تدفع السفن المتجهة إلى القارة الاسترالية بعيداً عن سواحلها الشمالية والشمالية الغربية، وامتداد الحاجز المرجانى الكبير أمام السواحل الشمالية الشرقية والشرقية لاستراليا يمكن استنتاج أن النطاقات الجنوبية والجنوبية الشرقية تصبح المواقع الممكن وصول المستكشفين الأوربيين إليها عند إكتشافهم هذه القارة الصغيرة. وإن كان هناك فريق من الباحثين يرجح وصول البرتغاليين والهولنديين إلى السواحل الشمالية والشمالية الغربية قادمين من الجزر الأسيوية الواقعة إلى الشمال من أستراليا فى أوائل القرن السادس عشر ويبرهنون على هذا الرأى بحطام السفن الأوربية الذى عثر عليه فى هذه الأنحاء:

وأرسلت بريطانيا بعض ملاحيها للمساهمة فى عمليات إكتشاف القارة الجنوبية، وكان أولهم سير فرنسيس دراك F. Drake – وهو قائد بحرى شهير – الذى بدأ رحلته من بلايموث جنوبى انجلترا عام ١٥٧٧ بهدف إكتشاف القارة الجنوبية المجهولة وتتبع سواحلها، إلا أن الأوامر صدرت إلى دراك بعد ذلك بتغيير خط سير رحلته بهدف سلب بعض الممتلكات الأسبانية، لذا

---

(١) للتوسع فى دراسة تطور فن رسم الخرائط خلال فترات الكشوف الجغرافية الكبرى انظر:
Grone, G. R., Maps and their Makers, London, 1968, pp. 73 - 94

تتبع بعد عبور مضيق ماجلان سواحل أمريكا اللاتينية والانجلوسكسونية وجمع غنائم كثيرة من الممتلكات الاسبانية سواء كانت مستعمرات على يابس أمريكا اللاتينية أو سفن صادفها، واستمر في إتجاهه صوب الشمال حتى بلغ منطقة نيو ألبين New Albion في ولاية كاليفورنيا الحالية، وليغير اتجاهه بعد ذلك صوب الجنوب الغربي فالغرب مختزقاً المحيط الهادى حتى بلغ جزر الهند الشرقية وليعبر المحيط الهندى بعد ذلك في إتجاه عام صوب الجنوب الغربي ليدور حول رأس الرجاء الصالح ليصل إلى بريطانيا منهيا رحلته عام ١٥٨٠ دون أن يحقق الهدف الأصلي الذى خطط له.

وقام الرحالة الأسباني فرنانديس كويروس Fernandes de Queires برحلة إلى المحيط الهادى الجنوبي بهدف اكتشاف القارة الجنوبية بدأها من سواحل بيرو عام ١٦٠٥، واتجه صوب الجنوب الغربي والغرب ليكتشف عدداً كبيراً من جزر المحيط الهادى الجنوبي منها جزر دوف Duff، جزر تومونو Tuamotu، وهي جزر اعتبر دى كويروس وجودها تأكيداً لوجود القارة الجنوبية المجهولة لذا أطلق على هذه الجزر التى اكتشفها إسم أطفال القارة الأم Children for a mother continent وتبعه لويس توريس Luis Torres الأسباني وهو من أوائل الأوربيين الذين وصلوا يقينا إلى هذه الانحاء من نصف المحيط الهادى الجنوبي واقترب من استراليا حيث بدأ رحلته من أمريكا اللاتينية عام ١٦٠٥ وإتجه صوب الجنوب الغربي والغرب حتى اكتشف جزر نيو هبرديز New Hebrides عام ١٦٠٦[1] وليستمر في اتجاهه صوب الغرب بعد ذلك ليكتشف قوس جزر Louisiade (الواقعة إلى الجنوب من جزر سولومون) والسواحل الجنوبية لجزيرة نيوغينيا، وليعبر الممر البحرى الفاصل بين جزيرة نيوغينيا ورأس يورك والذى أطلق عليه بعد ذلك

---

(١) تقع جزر نيو هبرديز إلى الشرق من استراليا بمسافة ٢١٠٠ كم تقريباً.

إسم مضيق توريس Torres Strait وأعلن توريس بعد عودته إلى أسبانيا اكتشافه للقارة الجنوبية، مما لفت الأنظار فى أوربا إلى هذا الجزء الجنوبى من العالم، لذا تعددت الرحلات الكشفية المتجهة إلى هذه الانحاء حيث وصل الهولنديون إلى السواحل الشمالية الغربية لاستراليا وخاصة بعد إنشاء شركة الهند الشرقية الهولندية، وإن كان البعض يضيف بعض المواقع على السواحل الجنوبية إلى النطاقات التى وصل إليها الهولنديون فى أستراليا خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٦٠٦ – ١٦٤٤[١].

ويعد الهولندى وليام جنزون William Janzoon أول أوربى يهبط على أرض استراليا حيث بدأ رحلته من جزيرة جاوه عام ١٦٠٥ وإتجه صوب الشرق حتى بلغ السواحل الجنوبية لجزيرة نيوغينيا حيث مسحها بشكل جيد، ثم إتجه جنوباً بعد ذلك ليتجول فى خليج كارينتاريا قبل أن يهبط على الأرض الاسترالية التى أطلق عليها إسم «هولندا الجديدة».

والملاحظ أن الرحلات التى بلغت المسطحات الجنوبية من المحيط الهادى والقريبة من استراليا والتى قام بها الانجليز والأسبان حتى بداية القرن السابع عشر الميلادى وفدت من جهة الشرق مستفيدة فى ذلك من إتجاه الرياح التجارية الجنوبية الشرقية، لذا فكر الهولنديون وخاصة بعد إستقرارهم فى جزر الهند الشرقية وتأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية فى الإتجاه إلى هذه الانحاء عن طريق الإتجاه إلى الجنوب من رأس الرجاء الصالح حتى نطاق هبوب الرياح الغربية وبهذه الطريقة وصل الملاح Thijssen إلى الساحل الجنوبى لاستراليا وتجول فى خليج إستراليا الكبير عام ١٦٢٧[٢].

(١) Heathcote, R. L., op. cit., p. 73.

(٢) Philips Comparative Commonwealth Atlas, London, 1965, p. 64.

وقام الملاح الهولندى كابتن أبل تسمان Abel Janszoon Tasman برحلته الشهيرة بهدف إكتشاف هولندا الجديدة الواقعة جنوب المسطحات البحرية الممتدة إلى الجنوب من نيوغينيا، وبدأ تسمان رحلته من مدينة باتافيا Batavia[1] عام ١٦٤٢ حيث عبر مضيق سوندا الفاصل بين جزيرتى سومطرة وجاوه، وإتجه صوب الجنوب الغربى لمسافة ٥٦٠٠ كيلو مترا حتى بلغ جزر موريشيوس فى المحيط الهندى والواقعة بين دائرتى عرض ٢٠ ، ٣٠، ٢٠° جنوباً وخط طول ٣٠ ٥٧° شرقاً، وليغير إتجاهه بعد ذلك ويتجه جنوباً حتى دائرة عرض ٤٩° جنوباً ليغير اتجاهه مرة أخرى ويتجه صوب الشرق بصورة عامة حتى بلغ السواحل الجنوبية للجزيرة التى عرفت باسمه فيما بعد (جزيرة تسمانيا)، وإعتقد أنها أرض هولندا الجديدة، لذا أصيب بخيبة أمل كبيرة بعد أن حدد سواحلها واكتشف أنها جزيرة صغيرة. [شكل رقم ١٥].

واستمرت رحلة تسمان حيث إتجه صوب الشرق حتى بلغ السواحل الغربية لجزيرة نيوزيلندا الجنوبية، وبعد وصوله إلى أقصى طرفها الشمالى (رأس فارويل Farewell) لم يستطع اكتشاف مضيق كوك - الفاصل بين الجزيرتين - بسبب العواصف الشديدة، لذا إتجه سمالاً بمحاذاة السواحل الغربية للجزيرة الشمالية، وفشل فى النزول فوق أرض نيوزيلندا لقتل جماعات الموارى بعض بحارته، لذا إستمر فى إتجاهه صوب الشمال حتى اكتشف جزر تونجا Tonga، وفيجى Fiji عام ١٦٤٣ قبل أن يعود إلى باتافيا فى جزر الهند الشرقية.

وفى رحلة ثانية لكابتن أبل تسمان عام ١٦٤٤ إتجه صوب الشرق

---

(١) شيد الهولندى Jan Coen مدينة باتافيا على الساحل الشمالى الغربى لجزيرة جاوه عام ١٦١٩ لتكون المقر الرئيسى لشركة الهند الشرقية الهولندية. وتعرف المدينة حالياً باسم جاكارتا (عاصمة اندونيسيا).

ليتجول فى المسطحات البحرية الممتدة إلى الشمال من أستراليا مما مكنه من تحديد خليج كارينتاريا بدقة، واتجه صوب الغرب حيث أبحر بمحاذاة السواحل الشمالية والغربية لاستراليا حتى موقع خليج شارك ليعود بعد ذلك إلى جزر الهند الشرقية.

والحقيقة الجديرة بالملاحظة أن المناطق الساحلية التى طرقها الهولنديون فى أستراليا سواء فى الشمال أو فى الغرب أو فى الجنوب تتسم جغرافياً بالصعوبة لجفاف معظمها وفقر بيئاتها الطبيعية، لذا لم يحاولوا تثبيت اقدامهم فيها وخاصة أن مناطق نفوذهم القريبة فى جنوب شرقى آسيا (جزر الهند الشرقية بصورة خاصة) تميزت بغناها الطبيعى والبشرى مما قلل تماماً من إهتمامهم بهذه الانحاء من استراليا.

وقام كابتن وليم دامبير William Dampier الانجليزى برحلتين إلى استراليا خلال عامى ١٦٨٨، ١٦٩٩ قادماً من الغرب، وكانت نقطة وصوله خليج شارك على الساحل الغربى حيث زار نطاقات من الساحل الشمالى الغربى لاستراليا وجمع عدة عينات من النباتات الطبيعية الاسترالية تمهيداً لدراستها فى بريطانيا[١] فى محاولة على ما يبدو لتحديد خصائص هذه القارة وتقييم بيئاتها الطبيعية[٢] لذلك مع بداية النصف الثانى من !

(١) Heathcote, R L., op. cit., p. 73.

(٢) أرسلت بريطانيا بعض الرحلات الكشفية بهدف اكتشاف القارة الاسترالية وحصر مواردها الطبيعية وخصائص سكانها تمهيداً لضمها إلى ممتلكات التاج البريطانى، ومن هذه الرحلات رحلة صمويل والاس Samuel Wallis عام ١٧٦٧، والتى اتجهت غرباً بعد عبورها مضيق ماجلان ونجح خلالها فى اكتشاف بعض جزر المحيط الهادى لعل أهمها جزر تاهيتى Tahiti، ومع ذلك لم ينجح والاس فى الوصول إلى استراليا.

وحاولت فرنسا خلال القرن الثامن عشر المشاركة فى الرحلات البحرية الساعية إلى اكتشاف أستراليا فأرسلت الرحالة بوجانفيل Bougainville إلى المحيط الهادى الجنوبى عام ١٧٦٨، ومر على العديد من جزر هذا المحيط واقترب من استراليا، إلا أن الحاجز المرجانى الكبير الممتد إلى الشرق من السواحل الشمالية الشرقية لاستراليا إعترض مسار

=/=

الثامن عشر كان قد تم رسم عدد من الخرائط البحرية الأوربية موقعاً عليها تفصيلات عديدة تتعلق بالسواحل الاسترالية مما شجع على تكثيف الرحلات الكشفية إلى هذه القارة والتى كانت رحلات جيمس كوك أهمها وأبعدها أثراً.

رحلات جيمس كوك:

جيمس كوك من مواليد يوركشير، إحترف ركوب البحر منذ صغره وخدم فى الأسطول البريطانى لذا سافر إلى امريكا الانجلوسكسونية لمشاركة القوات البريطانية فى صراعها مع القوات الفرنسية بهدف السيطرة على النطاق الشمالى الشرقى للقارة الجديدة، وشارك فى عمليات مسح مجرى السانت لورانس لتحديد المسار الملاحى فيه، كما شارك بالفعل فى المعارك التى دارت بين بريطانيا وفرنسا والتى انتهت بالاستيلاء على كويبك عام ١٧٥٩، وبعد نحو تسع سنوات وقع الاختيار على جيمس كوك عام ١٧٦٨ للقيام برحلة علمية تهدف إلى كشف القارة الجنوبية وجمع معلومات دقيقة عن هذه القارة المجهولة، لذا ضمت بعثته عدداً من العلماء المتخصصين فى مجالات عدة يأتى فى مقدمتها الطبيعة والنبات والفلك، وبعد عبوره رأس هورن إتجه صوب الشمال الغربى مخترقاً النصف الجنوبى من المحيط الهادى حتى بلغ جزر تاهيتى الواقعة عند التقاء دائرة عرض ٣٧َ ١٧° جنوباً مع خط طول ٢٧َ ١٤٩° غرباً، وتجول خلال جزر Society التى إستقر فيها بعض الوقت قبل أن يكمل رحلته حيث إنحرف جنوباً حتى دائرة عرض ٤٠° جنوباً بحثاً عن القارة الجنوبية ليغير إتجاهه بعد ذلك صوب الغرب ليصل إلى خليج بفرتى Paverty الواقع فى منتصف الساحل الشرقى للجزيرة الشمالية لنيوزيلندا عام ١٧٦٩ حيث إعتقد كوك أنه بلغ القارة الجنوبية

=/= رحلة بوجانفيل لذا إتجه شمالاً حتى بلغ رأس يورك، ثم تتبع السواحل الشرقية والشمالية لنيوغينيا ليصل بعد ذلك إلى جزر الهند الشرقية قبل عودته إلى فرنسا.

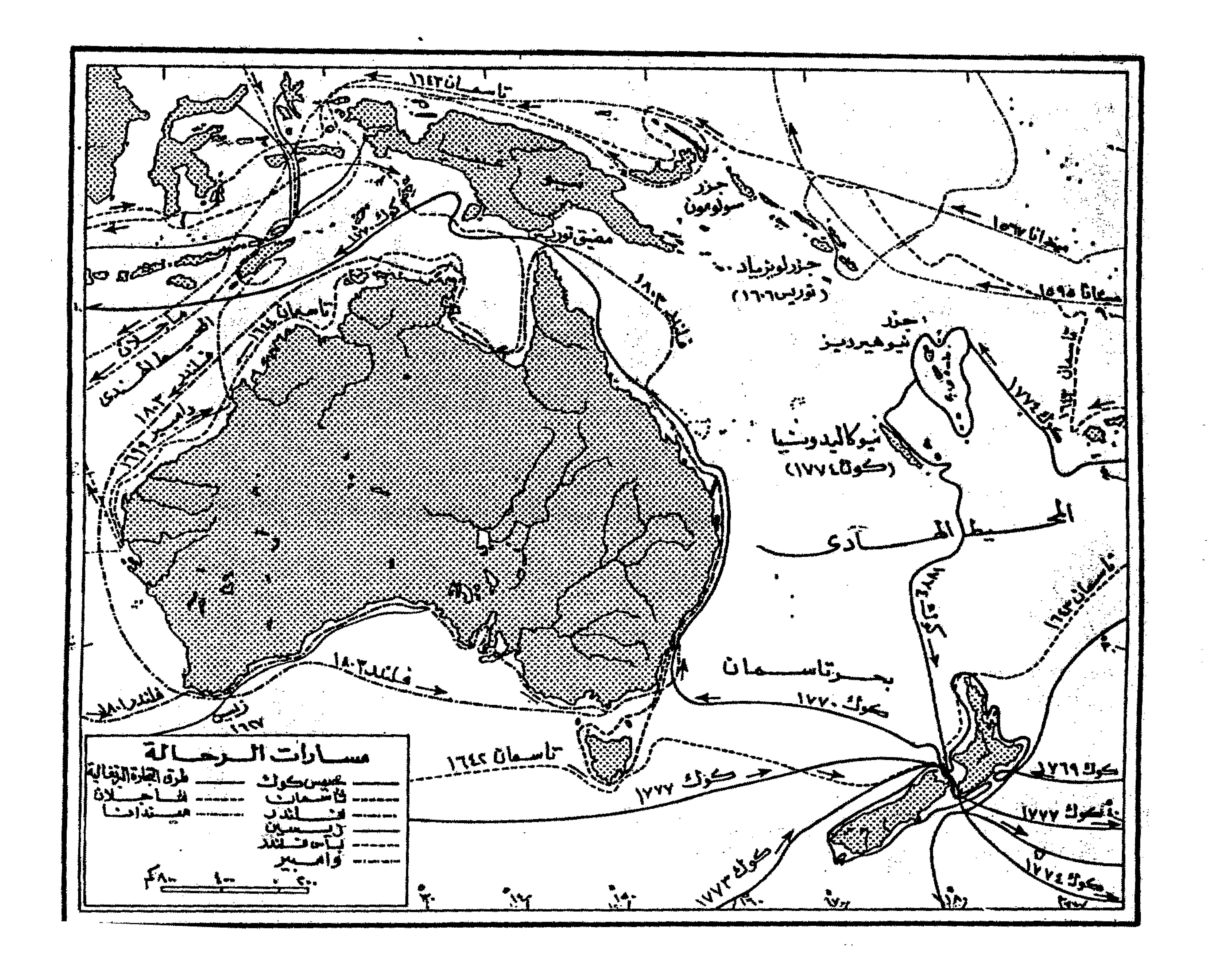
المجهولة، ولكن تبين بعد إجراء مسح دقيق لسواحل الجزيرتين الشمالية والجنوبية لنيوزيلندا وإختراق الممر البحرى الفاصل بينهما والذى عرف بعد ذلك بمضيق كوك واكتشاف جزر الملوك الثلاثة Three Kings Islands الممتدة إلى الشمال من الطرف الشمالى لجزيرة نيوزيلندا الشمالية عند التقاء دائرة عرض ٠٩َ ٣٤° جنوباً بخط طول ٠٩َ ١٧٢° أن ما وصل إليه لا يعدو أن يكون أكثر من مجموعة من الجزر نجح بعد مسح سواحلها فى إعداد خرائط دقيقة لها أعانت كثيراً البعثات التى جابت هذه المناطق بعد ذلك. [شكل رقم١٥].

وبعد عدة أشهر قضاها كوك فى نيوزيلندا وبدلاً من العودة بالإتجاه شرقاً صوب رأس هورن قرر الإتجاه نحو الغرب عام ١٧٧٠ لتظهر أمامه أرض هولندا الجديدة التى بلغها عند رأس إيفيرارد C. Everard الحالية، وليتجه صوب الشمال لترسو سفينته فى خليج بوتانى Botany فى ١٩ إبريل عام ١٧٧٠، وجدير بالذكر أن مدينة سيدنى شيدت كأول مركز عمرانى أوربى فى استراليا شمالى هذا الخليج بعد نحو ثمانية عشرة سنة (عام ١٧٨٨)، وأطلق كوك على هذه الأنحاء اسم «نيو سوث ويلز»،وتتبع كوك بعد ذلك الساحل الشرقى لاستراليا وإتجه صوب الشمال حيث واجه الحاجز المرجانى العظيم. وأبحر فى النطاق المحصور بين هذا الحاجز والساحل الشمالى الشرقى لاستراليا لمسافة ١٩٠٠ كيلو متراً تقريباً حتى بلغ الطرف الشمالى لاستراليا خلال شهر أغسطس من نفس العام (عام ١٧٧٠) وليطلق عليه رأس يورك، ثم يعبر مضيق توريس الذى تأكد بعد إجتيازه انفصال استراليا عن نيوغينيا، وليستمر فى إتجاهه صوب الغرب مخترقاً نطاق جنوب شرقى وجنوبى آسيا ليصل إلى مدينة الكاب وهو فى طريق عودته إلى وطنه الذى بلغه فى يوليو عام ١٧٧١ لتنتهى رحلة جيمس كوك الأولى التى استغرقت الفترة الممتدة بين عامى ١٧٦٨ – ١٧٧١ والتى إكتشف خلالها

النطاق الشرقى لاستراليا وتأكد من إمتدادها ككتلة قارية منفصلة عن نيوغينيا، إلى جانب اكتشاف جزر نيوزيلندا التى رسم لها خرائط دقيقة أثبت بها أنها لا تشكل إمتداداً للقارة الاسترالية.

وقام جيمس كوك برحلته **الثانية** عام ١٧٧٣ بهدف إستكمال الكشوف الجغرافية الخاصة بالقارة الجنوبية، وبدأت الرحلة من بليموث جنوبى انجلترا إلى منطقة الكاب، لتبدأ بعد ذلك أهم مراحل الرحلة والتى تمثلت فى الاتجاه صوب الجنوب بصورة عامة ليعبر لأول مرة فى تاريخ البشرية الدائرة القطبية الجنوبية وليستمر فى إتجاهه بعد ذلك صوب الجنوب فى ظروف طبيعية غاية فى الصعوبة دون أن يصادف أية كتل قارية، لذا يغير إتجاهه صوب نيوزيلندا التى وصلها فى أواخر عام ١٧٧٣، ويستمر كوك فى رحلته بعد ذلك بالاتجاه صوب الشرق حتى بلغ جزر تاهيتى، وزار عددا كبيراً من الجزر الواقعة إلى الشرق من استراليا مثل جزر نيوهبرديس، نيوكاليدونيا، نورفولك Norfolk وليعود بعد ذلك إلى نيوزيلندا للحصول على ما يحتاج إليه من مياه ومؤن قبل أن يبدأ رحلة العودة إلى الوطن عن طريق رأس هورن والذى اكتشف بعد عبوره جزر سوث جورجيا South Georgi، سوث سندويش South Sandwich فى نطاق المحيط الاطلسى الجنوبى قبل أن يصل إلى منطقة الكاب التى غادرها فى المرحلة الأخيرة من رحلته الثانية متوجهاً إلى بريطانيا التى وصلها عام ١٧٧٥ بعد أن قطع حـ[illegible]، هذه الرحلة مسافات تفوق تلك اللازمة للدوران حول الكرة الأرضية.

ومن أهم إنجازات الرحلة الثانية لجيمس كوك إضافة إلى طول المسافه التى قطعها أنه طرق مسطحات محيطية لم يسبقه إليها أحد لموقعها المتطرف فى نصف الكرة الجنوبى، إلى جانب الاحتمال الكبير الذى أكدته الرحلة بوجود كتلة قارية قطبية تمتد جنوباً إلى أبعد من دائرة العرض التى



شكل رقم [١٥] الكشوف الجغرافية البحرية في استراليشيا

بلغها بدليل مجموعات الجزر التى إكتشفها جنوبى المحيط الأطلسى والتى تشكل نطاقات أرضية متفرقة للقارة القطبية الجنوبية المحتمل وجودها.

ويدأ جيمس كوك رحلته **الثالثة** عام ١٧٧٦ بهدف البحث عن الممر البحرى الشمالى الواصل بين المحيطين الهادى والأطلسى شمالى قارة أمريكا الانجلوسكسونية. ووصل كوك إلى منطقة الكاب لتبدأ المرحلة الثانية من رحلته التى إتجه خلالها صوب الشرق بصورة عامة مخترقاً النطاق الجنوبى للمحيط الهندى ليمر أمام الساحل الجنوبى لجزيرة تسمانيا عام ١٧٧٧ ويصل إلى نيوزيلندا، ويعبر مضيق كوك الفاصل بين الجزيرتين متجهاً صوب جزر تاهيتى، وبعدها غير إتجاهه ناحية الشمال حيث اكتشف جزر كريسماس Christmas[١] وبعدها جزر ساندويش Sandwich[٢] وليغير اتجاهه بعد ذلك صوب الشمال الشرقى حتى بلغ الساحل الغربى لأمريكا الانجلوسكسونية، وتتبع امتداد الساحل المشار إليها حتي الموقع الحالى لفانكوفر فى كندا حيث استقر بعض الوقت لاصلاح سفينته قبل أن يواصل إتجاهه صوب الشمال بحثاً عن الممر الشمالى متتبعاً ساحل الأسكا وليعبر مضيق بيرنج ويستمر فى إتجاهه صوب الشمال إلا أنه لم يستطع تجاوز دائرة عرض ٧٠° شمالاً تقريباً لتعذر الملاحة فى ظل الظروف الطبيعية القاسية السائدة فى هذه العروض، لذا قرر كوك العودة ويكتشف فى طرق عودته جزر هاواى التى قتل فيها عام ١٧٧٩ لتنتهى حياة أشهر ملاح أوربى أسهم فى إلقاء الضوء على استراليا وعلى النصف الجنوبى للمحيط الهادى، كما فتح الباب على مصرعيه لتزايد المعرفة الجغرافية عن استراليشيا.

---

(١) يعتقد بعض الباحثين أن جزر كريسماس كانت معروفة للبحارة منذ حوالى عام ١٦٥٠.

(٢) أطلق جيمس كوك أسم «ساندويش» على هذه الجزر نسبة إلى قائد الاسطول البحرى الملكى البريطانى آنذاك.

الكشوف الجغرافية الرئيسية التي قام بها المستوطنون الانجليز:

سبق الإشارة إلى سيدنى وبورت جاكسون كأول مراكز عمرانية أوربية شيدت فى نطاق خليج بوتانى عام ١٧٨٨ حيث استقر فيه اعداد كبيرة من المهاجرين الانجليز الذين ساهموا بعد ذلك فى جهود الكشوف الجغرافية فى القارة خلال أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر إذ قام جورج باس George Bass برحلة استغرقت نحو ثلاثة شهور عام ١٧٩٨ نجح خلالها فى اكتشاف وعبور المضيق البحرى الفاصل بين كتلة أستراليا القارية وجزيرة تسمانيا والذى عرف بعد ذلك بمضيق باس البالغ طوله ٢٩٦ كم، فى حين يتراوح عرضه بين ١٢٨ - ٢٤٠كم، وعمقه ٢٣٠ قدم فى المتوسط، [شكل رقم ١٦] ونجح باس فى رحلة ثانية بالاشتراك مع كابتن ماتثو فلندرز Matthew Flinders فى الدوران حول جزيرة تسمانيا عام ١٧٩٩.

واهتم المستوطنون الانجليز فى القارة باكتشاف الأجزاء الجنوبية وخاصة القريبة من خليج بوتانى، لذا قام فلندرز فى أواخر عام ١٨٠١ بمسح الساحل الجنوبى الممتد فى رأس ليوين Cape Leeuwin فى الجنوب الغربى ورأس هوى Cape Howe فى الجنوب الشرقى، لذا اكتشف خليجى سبنسر وسانت فينسنت اللذين يفصل بينهما شبه جزيرة يورك، كما إكتشف جزيرة كانجارو البالغ مساحتها ٥٠٤٣ كم٢. وتعددت رحلات فلندرز التى إمتدت حتى عام ١٨٠٣ ونجح خلالها فى الدوران حول القارة الاسترالية ومسح سواحلها وتأكيد خطأ النظرية السائدة آنذاك والقائمة على وجود ممر بحرى طولى يمتد بين الشمال والجنوب ليفصل الكتلة القارية الاسترالية إلى جزيرتين، حيث أثبت الامتداد المتصل للكتلة القارية التى أطلق عليها ماتثو فلندرز لأول مرة إسم «استراليا»[1].

---

(١) National Geographic Magazine, vol 173, No. 2, Februray 1988.

الكشوف الجغرافية الداخلية في استراليا:

نشطت الكشوف الداخلية فى استراليا خلال القرن التاسع عشر الميلادى بعد إنشاء مراكز الاستقرار الأوربية على طول إمتداد خط الساحل أو بالقرب منه وخاصة فى الشرق والجنوب الغربى حيث شيدت سيدنى (بورت جاكسون) عام ١٧٨٨ ، نيوكاسل عام ١٨٠٤ ، بورت ماكويرى عام ١٨١٨ ، برسبين عام ١٨٢٥ (فى الشرق) ، اسبيرانس عام ١٨٢٠ ، بورت لاند عام ١٨٣٤ ، أدليد عام ١٨٣٦ ، ملبورن عام ١٨٣٧ (فى الجنوب) ، بالإضافة إلى هوبارت – فى تسمانيا – عام ١٨٠٣ ، ألبانى عام ١٨٢٦ ، فريمنتل عام ١٨٢٨ ، بيرث عام ١٨٢٩ (فى الجنوب الغربى) .

وأدت ظاهرة تباين كمية الامطار الساقطة خلال بعض السنوات فى عدد من النطاقات الساحلية إلى لفت إنتباه المهاجرين الانجليز إلى حتمية التوجه صوب الأجزاء الداخلية وهو ما حدث بالفعل خلال عام ١٨١٥ عندما حدثت موجة جفاف شديدة دفعت بعض الرحالة إلى الاتجاه صوب الغرب بحثاً عن ثغرات طبيعية يمكن من خلالها عبور نطاق المرتفعات الشرقية للوصول إلى الأجزاء الداخلية من القارة عن طريق البر وهو ما تحقق بالفعل إذ أمكن الوصول إلى سهول بعض الأودية الواقعة خلف المرتفعات الشرقية حيث تتوافر المياه الجارية والتربات الزراعية الخصبة مثال ذلك نجاح ايفانز G. Evans فى مسح سهول باثورست التى استغلت زراعياً بعد انشاء مدينة باثورست Bathurst عام ١٨١٥ .

وتمثلت الخطوة التالية للمستكشفين بالقارة فى محاولة تتبع المجارى النهرية المنحدرة فى إتجاه الغرب والجنوب الغربى لتحديد أبعاد أحواضها ومعرفة حجم تصريفها المائى، ومن الرواد الأوائل الذين قاموا بمثل هذه الكشوف **جون أوكسلي** John Oxley الذى بدأ رحلاته من باثورت ونجح خلال عامى ١٨١٧ ، ١٨١٨ فى اكتشاف عدد كبير من مجارى الانهار يأتى فى

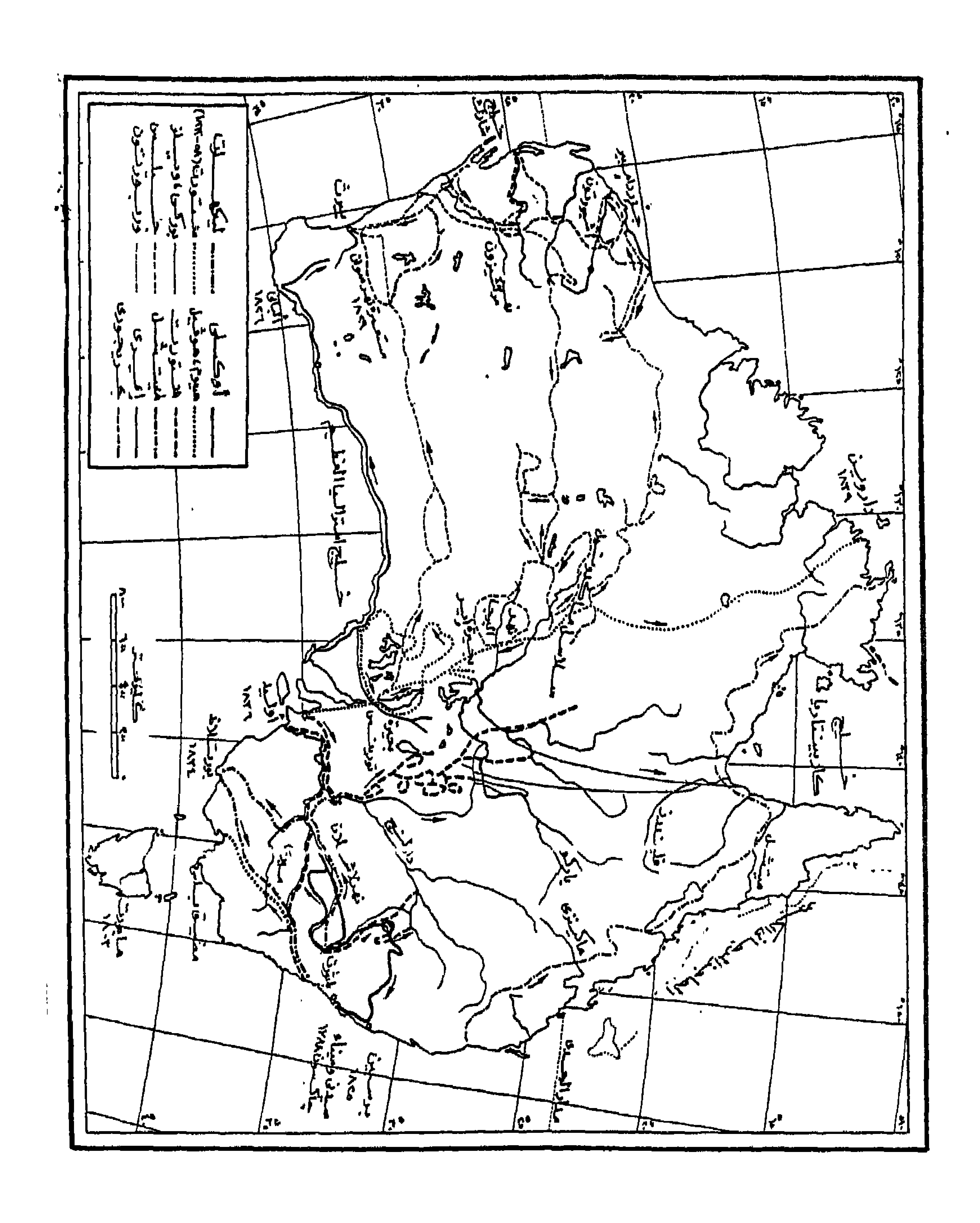
مقدمتها نهر لاشلان Lachlan البالغ طوله ١٤٧٥ كم والذى يعد أول نهر يتم كشفه داخل القارة الاسترالية، واكتشف أنه ينبع من المرتفعات الزرقاء الواقعة إلى الجنوب الغربى من سيدنى، ولم يستطع أوكسلى التقدم فى مجرى النهر لمسافة طويلة لوجود مستنقعات واسعة، كما إكتشف أوكسلى نهرى نامو Namoi (٨٤١ كم)، ماكوارى Macquarie، وأكدت رحلات أوكسلى أن نطاق المرتفعات الشرقية لا يشغل سوى مساحات محدودة يمتد إلى الغرب منها أراضى سهلية واسعة يخترقها عدد كبير من مجارى الانهار. وأعلن أوكسلى فى نهاية رحلاته أن أهم الأنهار التى توصل إلى اكتشاف أجزاء من مجاريها ماكوارى (٩٤٤ كم) لضخامة تصريفه المائى، وأشار أن النهر يتجه صوب الشمال الغربى ليصب حسب إعتقاده فى بحيرة ضحلة يعتقد أنها سوف تطامر بصورة تدريجية بفعل الغرين التى تحملها مياه النهر من المنابع العليا فوق المرتفعات الشرقية. [شكل رقم١٦].

وبدأت الرحلات الكشفية الداخلية التالية تاريخياً لرحلات أوكسلى من الجنوب وقام بها كل من هيوم Hume، وهوفيل Hovell عام ١٨٢٤ بهدف اكتشاف النطاقات الداخلية من جنوبى القارة، لذا بدأت رحلتهما المشتركة من منطقة بحيرة جورج (جنوبى ولاية نيو سوث ويلز الحالية) وتتبعا نهر مورومبدجى Murrunbidgee[1] المتجه صوب الغرب والبالغ طوله ١٥٧٠ كم، كما تتبعا مجرى نهر جولبورن Goulburn[2] فى ولاية فيكتوريا الحالية والبالغ طوله ٤٤٨ كم، ولتنتهى رحلتهما المشتركة عند منطقة ملبورن الحالية المطلة على خليج بورت فيليب Port Phillip.

---

(١) نهر مورومبدجى من روافد نهر مرى حيث يلتقى به عند خط طول ١٤٣ ° درجة شرقاً، وهو صالح لملاحة السفن الصغيرة خلال موسم سقوط الامطار لمسافة ٨٠٠ كم تقريباً.

(٢) نهر جولبورن من روافد نهر مرى.



شكل رقم [١٦] الكشوف الجغرافية الداخلية في استراليا

وقدم هيوم وهوفيل فى تقاريرهما وصفاً دقيقاً لجغرافية هذه المنطقة من جنوبى استراليا والتى تغطيها الحشائش الطبيعية الغنية بصورة لا نظير لها، لذا أشارا إلى إمكانية إقامة مزارع ناجحة فيها لتربية الحيوانات، وجدير بالذكر أن هيوم وهوفيل لم يكتشفا إلا مسافات محدودة من مجارى أنهار جنوبى استراليا، لذا لم يستطيعا تحديد نقاط النهاية حيث أشارا إلى أنها ربما تنتهى فى بحيرة داخلية واسعة.

وفى محاولة لكشف غموض نظام التصريف النهرى فى المناطق الجنوبية القريبة من مراكز الاستيطان، وللبحث عن مناطق داخلية تتوافر فيها المجارى النهرية وتصلح للزراعة وتربية الحيوانات وبالتالى تصلح للإستقرار البشرى مما يجنب المهاجرين المشاكل الناجمة عن موجات الجفاف التى تعانى منها بعض الاقاليم الساحلية، قام عدد كبير من الرحالة برحلات كشفية منهم **تشارلز ستورت** C. Sturt الذى قام بعدة رحلات خلال الأعوام ١٨٢٨، ١٨٢٩، ١٨٣٠ ونجح خلالها فى كشف غموض نظام التصريف النهرى لمجموعة الأنهار الرئيسية الممتدة جنوب شرقى أستراليا حيث تتبع مجرى نهر مورومبدجى حتى نقطة إلتقائه بنهر دارلنج (١٥٧٠ كم) كما تتبع مجرى النهر الأخير – دارلنج – حتى مصبه فى خليج إنكونتر Encounter وبذلك أثبت خطأ نظرية أوكسلى القائمة على تصريف هذا النهر فى بحيرة داخلية.

وقام **توماس ميتشل** T. Mitchell برحلة من باثورت عام ١٨٣٦ حيث إتجه صوب الغرب متتبعاً مجرى نهر لاشلان حى نقطة إلتقائه بنهر دارلنج (١٤٧٥كم) مما يعنى نجاحه فى عبور نطاق المستنقعات الذى حال دون تقدم جون أوكسلى غرباً عام ١٨١٨، وإتجه ميتشل بعد ذلك صوب الجنوب حيث تتبع جزءاً من مجرى نهر مرى قبل أن يغير إتجاهه صوب الجنوب

الغربى ليصل إلى موقع مدينة بورت لاند Portland الساحلية، ليبدأ بعد ذلك رحلة العودة حيث إتجه صوب الشمال الشرقى بصورة عامة مخترقاً نطاقات سهلية واسعة وليصل إلى سيدنى بعد عبوره نطاق المرتفعات الشرقية، وقد أضافت رحلات ميتشل الكثير من المعلومات إلى معرفة الجغرافية الخاصة بالنطاق الجنوبى الشرقى لاستراليا وخاصة فيما يتعلق بنظام التصريف المائى لنهري مرى ودارلنج وإمتداد الأراضى السهلية الخصبة الصالحة للاستغلال والتى تمكن من إعالة إعداد كبيرة من المهاجرين الأوربيين .

ومع أواخر العقد الثالث وبداية العقد الرابع من القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بإزاحة النقاب عن طبيعة الأجزاء الجنوبية والوسطى من أستراليا، وكانت البداية للرحالة الشهير إير Eyre الذى قام برحلته الأولى عام ١٨٣٩ وبدأها من الطرف الجنوبى لشبه الجزيرة التى عرفت بإسمه فيما بعد وإتجه صوب الشمال بصورة عامة ليكتشف سلسلة تلال فلندرز Flinders Range وبحيرة تورينس الملحية الضحلة البالغ طولها ٢٠٨ كم والتى تتبع ساحلها الشرقى فى إتجاهه صوب الشمال حتى بلغ دائرة عرض ٣٠° جنوباً تقريباً ليضطر بعد ذلك إلى العودة لعدم توافر مياه الشرب.

وقام إير بعد ذلك بعدة رحلات كشفية داخلية خلال عامى ١٨٤٠، ١٨٤١ تتبع خلالها خط الساحل الجنوبى لاستراليا المطل على خليج استراليا العظيم حتى بلغ بلدة ألبانى Albany الساحلية، وليتجه بعد ذلك صوب الشمال مخترقاً الطرف الجنوبى الغربى من الصحراء الأسترالية لمسافة ٥٠٠ كيلو متراً تقريباً وليكون بذلك أول أوربى يصل إلى هذه الأجزاء من القارة الاسترالية.

وقام تشارلزستورت بعدة رحلات اخترق خلالها النطاق الاوسط من استراليا متجهاً صوب الشمال، وكانت أولى رحلاته لتحقيق هذا الغرض

خلال عامى ١٨٤٤، ١٨٤٦ وبدأها من أدليد منجهاً صوب الشمال متتبعاً فى البداية مجرى نهر مرى لمسافة ٥٠٠ كيلو متراً تقريباً، وليتجه بعد ذلك صوب الشمال الغربى فالشمال مكتشفاً النطاق التلالى الواسع المحصور بين نهر بارو Paroo (رافد دارلنج) شرقاً وسلسلة البحيرات الملحية الصغيرة (فرومى Frome، كالابونا Callabonna، بلانشى Blanche. جريجورى) غرباً، وليستمر فى إتجاهه بعد ذلك صوب الشمال ليعبر دائرة عرض ٢٥° جنوباً ويقترب من مدار الجدى ليكون بذلك أول رحالة أوربى ينجح فى القيام برحلة بين الجنوب والشمال فى القارة ويصل إلى هذه العروض الجافة.

وخلال العقد الرابع من القرن التاسع عشرنشطت ايضاً حركة الكشوف الجغرافية الداخلية فى الغرب لإزاحة النقاب عن طبيعة هذه الأجزاء التى لم يكن معروفاً عنها سوى القليل والذى تلخص أساساً فى معرفة مجرى نهر سوان Swan الذى إكتشفه كابتن ستيرلينج Stirling عام ١٨٢٧(١) وتبع ذلك إنشاء مستعمرة فى حوض النهر عرفت باسم مستعمرة نهر سوان عام ١٨٢٩ رشيدت بيرث كعاصمة لها.

ويأتى جريجوري F. T. Gregory فى مقدمه الرحالة الذين كشفوا النقاب عن جغرافية مساحات واسعة من الغرب الاسترالى حيث قام برحلات عديدة خلال الاعوام ١٨٤٠، ١٨٤٨، ١٨٥٨، ١٨٦١ نجح خلالها فى إجراء مسح شامل لكل النطاقات الممتدة غربى وشمال غربى استراليا بعمق يتراوح بين ٢٠٠ – ٦٥٠كم من خط الساحل، واكتشف جريجورى بحيرة Moore مورى الملحية الجافة، وأنهار مورشيسون Murvhison (٧٠٤كم)، جسكوينى

---

(١) يعتقد بعض الباحثين أن نهر سوان اكتشفه الهولندى وليم دى فلاميتج Willem de Vlamingh عام ١٦٩٧.

Gascoyne (عبارة عن مجرى نهرى طوله ٧٦٠ كم يتسم بالجفاف طول العام تقريباً ما عدا فترات سقوط الامطار)، أسبورتون Ashburton (٦٤٠كم)، فرتيسكو Fortescue (عبارة عن مجرى تجرى فيها المياه خلال فترات سقوط الامطار فقط).

وحظيت النطاقات الشمالية من أستراليا بنصيب من الرحلات الكشفية وخاصة تلك التى قام بها **ليكهارت** Leichhardt خلال عامى ١٨٤٤، ١٨٤٥ حيث بدأ رحلته من بريسبين على الساحل الشرقى وإتجه صوب الشمال الغربى ليخترق نطاق المرتفعات الشرقية ويعبر نهري ماكينزى Mackenzie، بوردكين Burdekin، ويستمر فى إتجاهه صوب الشمال حتى مجرى نهر ميتشل Mitchell الذى تتبع مجراه (من الجانب الأيسر) حتى إقترب من خليج كاربنتاريا ليدور حوله ويستمر فى إتجاهه صوب الشمال الغربى لينهى رحلته عند شبه جزيرة كوبورج Cobourg التى تحد خليج فان ديمين (شمال شرق مدينة داروين) جهة الشمال الشرقى[1].

وقام **جون ستيوارت** John Stuart برحلات متعددة خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٨٥٨، ١٨٦٢ بهدف إكتشاف ملامح النطاق الأوسط من أستراليا والممتد بين الجنوب والشمال، وقد بدأ رحلاته من أدنيد فى الجنوب، ونجح فى إكتشاف النطاقات الممتدة إلى الشمال من شبه جزيرة إيرى وليتجه شمالاً بعد ذلك متخذاً مساراً يمتد إلى الغرب من بحيرة إير ويعبر نهري ألبرجا Alberga، فنكى Finke (اللذين يتحدان فى بعض المواسم ليصبا فى بحيرة إير)، ويصل ستيورات إلى أليس اسبرنج Alice Springs فى قلب استراليا، وليعبر بعد ذلك سلاسل مكدونل Macdonnell العرضية والتى تتألف من حافات متوازية تحصر فيما بينها نطاقات منخفضة، وليستمر فى

---

(١) شيد ميناء داروين شمالى استراليا عام ١٨٣٩.

إتجاهه صوب الشمال حتى يصل إلى نيوكاسيل ووترز، ليستعد ذلك لإنهاء المرحلة الاخيرة من رحلاته والتى قطع خلالها نحو ألف كيلو مترا قبل أن يصل إلى ميناء داروين فى الشمال.

وكانت حكومة استراليا الجنوبية قد أعلنت عن رصد جائزة مالية لأول من يعبر القارة بين الجنوب والشمال من اليابس، وبالفعل نجح كل من روبرت أوهارا بوركي Robert O' Hara Burke، وليم جون ويلز William John Wills فى الوصول إلى الساحل الجنوبى لخليج كاربنتاريا فى الشمال إلا انهما ماتا فى طريق العودة عام ١٨٦١، لذلك حصل منافسهما جون ستيوارت على الجائزة فى أدليد ومقدارها ٣٥٠٠ جنيهاً انجليزياً[١].

وبدأت الرحلات الكشفية العرضية بين الشرق والغرب خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر وخاصة بعد إكتشاف المعادن فى الغرب والتى جذبت إهتمام كل من الباحثين عن الثراء والرحالة الذين زاد فضولهم لاختراق النطاقات الصحراوية الغربية، لذا قام جيلس Giles بثلاث رحلات خلال الأعوام ١٨٧٢، ٧٣ - ١٨٧٤، ٧٥ - ١٨٧٦ نجح خلالها فى عبور صحراء فيكتوريا الكبرى بالاتجاه من الشرق إلى الغرب، وعبور صحراء جيبسون بالاتجاه من الغرب إلى الشرق.

وعبر وربورتون Warburton صحارى غربى استراليا خلال عامى ١٨٧٣، ١٨٧٤ فى عروض تمتد شمالى العروض التى تتبعها جيلس حيث أنهى رحلته عند أرخبيل دامبير فى اقصى الشمال الغربى.

وكان لتأسيس الجمعية الجغرافية الاسترالية فى كل من سيدنى وملبورن عام ١٨٨٣ دور كبير فى تطوير الكشوف الجرافية فى القارة والربط بين أقاليمها الجغرافية المختلفة عن طريق إبراز خصائص وطبيعة موارد كل منها

---

(١) National Geographical Magazine, op. cit.

وبالتالى إلقاء الضوء على إمكانات التكامل الاقتصادى فيما بينها، والذى أمكن تحقيقه على مراحل تدريجية عن طريق تطوير شبكات النقل.

الكشوف الجغرافية الرئيسية في نيوزيلندا:

اكتشف الهولندى كابتن أبل تسمان نيوزيلندا عام ١٦٤٢ ، وزارها جيمس كوك عام ١٧٦٩ ، وتتابع إكتشاف جزرها بعد ذلك حيث اكتشف كابتن وليم بليج Willem Bligh جزر بونتى (تقع إلى الشرق من الجزيرة الجنوبية) عام ١٧٨٨ ، كما اكتشف جزر كاثام Catham (تقع جنوب شرق الجزيرة الشمالية) عام ١٧٩١ ، وجزر أوكلاند الست (فى الجنوب) التى إكتشفها كابتن بريستو Bristow عام ١٨٠٦ ، واكتشف أحد الصيادين جزر كامبل Campbell (فى أقصى الجنوب) عام ١٨١٠.

وبدأ الاستقرار الأوربى فى نيوزيلندا عام ١٨٤٠ بعد عقد إتفاقية ويتانجى Waitangi بين بريطانيا وزعماء الموارى، وكان صائدوا الاسماك والحيتان، إلى جانب البحارة والمبشرين هم أول العناصر الأوربية التى إستقرت فى نيوزيلندا، وكان الاستقرار الاوربى قاصراً على النطاق الساحلى خلال مراحله الأولى، لذا بدأت حركة الكشوف الجغرافية فى الجزيرة الشمالية رغم إمتداد غاباتها الكثيفة ووعورة أجزائها الداخلية وكثرة عدد سكانها من جماعات الموارى، ويؤكد العلاقة الوثيقة بين حركة الكشوف الجغرافية هنا ونشاط التبشير بالمسيحية بين الموارى أن احدى بعثات التبشير «بعثة كولنسو Colenso» هى التى إكتشفت مجرى نهر واكاتو Waikato البالغ طوله نحو ٤٢ كم، وبحيرة توابو Taupo الممتدة لمسافة ٤٠ كم وذلك خلال بداية عقد الأربعينيات من القرن التاسع عشر.

ونجح بعض الرحالة ومنهم سيلون فى اختراق الجزيرة الشمالية وتحديد ملامح سطحها المتمثل فى وجود سلسلتين جبليتين يفصل بينهما واد منخفض المنسوب.

وأفادت الحقائق الجغرافية التى تمخضت عن الرحلات الكشفية

وعمليات مسح أقاليم نيوزيلندا المختلفة فى تحديد المواقع الأنسب لمناطق الاستيطان الاوربي التى تحققت خلال المراحل التاريخية المختلفة والتى كان فى مقدمتها النطاقات السهلية الممتدة غربى وشمالى الجزيرة الشمالية. وكانت حركة الكشوف الجغرافية فى الجزيرة الجنوبية أبطأ وتمت فى مرحلة متأخرة عن مثيلتها فى الجزيرة الشمالية، وربما يرجع ذلك إلى عامل السبق فى مجال التعمير والذى تم فى الجزيرة الشمالية فى البداية بحكم موقعها الجغرافى وخصائص بيئتها الجغرافية وتوافر الموارد الزراعية فيها بصورة خاصة.

وبدأت الكشوف الجغرافية فى الجزيرة الجنوبية فى أواخر الأربعينيات من القرن التاسع عشر وأمكن عن طريقها تحديد أبعاد السهول الشرقية الواسعة وخاصة سهل كنتربرى، إلى جانب اكتشاف المجارى النهرية المنحدرة على السفوح الشرقية للمرتفعات لتخترق هذه السهول مثل أنهار أوتيرى، راكيا، رنجيتاتا، ومعنى ذلك أن النطاقات السهلية الواسعة فى الشرق كانت أسبق فى الكشف وأيضاً فى التعمير الحديث من مثيلتها الضيقة الممتدة غربى الجزيرة الجنوبية والتى جاءت فى مؤخرة أقاليم نيوزيلندا مع نطاق المرتفعات الجبلية من حيث تاريخ الكشف والمسح الجيولوجى.

وجدير بالذكر أن الكشوف الجغرافية وما تبعها من عمليات مسح للموارد الطبيعية قد كشف عن غنى الجزيرة الجنوبية بمواردها المعدنية وخاصة الذهب فى نطاقاتها الغربية وفى منطقة أوتاجو Otago القريبة من مدينة دندين الحالية، مما جذب أعداد كبيرة من المهاجرين الأوربيين إلى الجزيرة مع بداية عقد الستينيات من القرن التاسع عشر(١).

(١) Mayhill, R. D., Bawden, H. D., New Zealand Geography, Auckland, 1976, p. 58

تذكر أن :

- استراليا كقارة مجهولة أشير إليها فى الكتابات الجغرافية القديمة التى ترجع فى أصولها إلى العصر اليونانى، وكان أسمها مشتق من كلمة لاتينية تعنى الجنوبية.

- الفكر الجغرافى القديم افترض حتمية وجود كتلة قارية جنوبية حتى تتوازن مع الكتل القارية فى نصف الكرة الشمالى عبر المسطحات البحرية الواسعة التى تفصل فيما بينهما.

- رحلتى بارثلميودياز (عام ١٤٩٧)، ڤاسكو دى جاما دفعتا الحد الشمالى للقارة الجنوبية المجهولة إلى أبعد من دائرة عرض ٣٥° جنوب خط الاستواء، فى حين دفعت رحلة فرديناند ماجلان (خلال عامى ١٥١٩، ١٥٢٢) الحد الشمالى بهذه القارة إلى أبعد من دائرة عرض ٥٥° جنوب خط الاستواء، ويعتقد البعض أن البرتغاليين والهولنديين وصلوا إليها خلال القرن السادس عشر، ووصل الانجليز إليها عام ١٦٢٢

- تأخر كشف استراليشيا يرجع إلى الأسباب الرئيسية التالية:

* الموقع الجغرافى البعيد عن باقى الكتل القارية حتى أن المسافة بينها وبين شرقى آسيا تتجاوز ٧٠٠٠ كيلو متراً، وبينها وبين الطرف الجنوبى قارة أفريقيا حوالى تسعة آلاف كيلو متراً، وبينها وبين برزخ بنما نحو عشرة آلاف كيلو متراً.

* امتداد الحاجز المرجانى العظيم أمام السواحل الشمالية الشرقية

لاستراليا لمسافة يتجارز امتدادها امتداد الجزر البريطانية بين الشمال والجنوب، مما شكل خطراً كبيراً على الملاحة البحرية فى نطاق السواحل الشرقية وخاصة الشمالى منها.

* اعتراض الرياح التجارية الهابة من الجنوب الشرقى للسفن البحرية الأوربية المتجهة من سواحل قارتى أمريكا اللاتينية وافريقيا صوب نصف الكرة الجنوبى حيث تدفعها خلال الشمال بصورة عامة حتى نطاق خط الاستواء، ومع تعدد المحاولات اكتشف الملاحون أنه يمكن الابحار للوصول إلى نصف الكرة الجنوبى عن طريق بدء الرحلة من الطرف الجنوبى لكل من افريقيا أو أمريكا اللاتينية بالاتجاه - من الغرب إلى الشرق خلال شهور الصيف، بينما تكون هذه الرحلة أسهل خلال شهور الشتاء مما يعنى أن نقطة البداية للوصول إلى استراليشيا كان معرفة نظام هبوب الرياح في نصف الكرة الجنوبي، وهو أمر استغرق فترة زمنية طويلة.

- الارهاصات الأولى لكشف القارة الجنوبية المجهولة قام بها الهولنديون والبرتغاليون خلال أوائل القرن السادس عشر، إلى جانب رحلة البريطانى سير فرنسيس دارك خلال عامى ١٥٧٧ - ١٥٨٠، ورحلة فرنسيس كويروس الاسبانى خلال عامى ١٦٠٥ - ١٦٠٦، وبعض الرحالة الهولنديين خلال الفترة بين عامى ١٦٠٥ - ١٦٤٤.
- الهولندى رليام جنزون هو أول أوربى يهبط على أرض استراليا وكان ذلك عام ١٦٠٥ وأطلق عليها إسم «هولندا الجديدة».

- الملاح الهولندى تسمان وصل إلى الساحل الجنوبى لاستراليا وتجول فى خليج استراليا الكبير عام ١٦٢٧ .

- الملاح الهولندى أبل تسمان اكتشف خلال رحلته الأولى (١٦٤٢ - ١٦٤٣) جزيرة تسمانيا والسواحل الغربية لجزيرة نيوزيلندا الجنوبية، وجزر تونجا، ڤيجى، فى حين اكتشف ومسح خلال رحلته الثانية (عام ١٦٤٤) السواحل الشمالية والغربية لاستراليا ذات الظروف الطبيعية الصعبة التى لم تشجع على تشييد مراكز استيطان فيها .

- الملاح وليم دامبير هو أول بريطانى يصل إلى استراليا خلال رحلتين قام بهما خلال عامى ١٦٨٨ - ١٦٩٩ ، زار خلالهما السواحل الشمالية والغربية لاستراليا وجمع عينات من النباتات الطبيعية لدراستها فى بريطانيا.

- الاختيار وقع على چيمس كوك عام ١٧٦٨ حيث أرسلته بريطانيا فى رحلة علمية لكشف القارة الجنوبية وجمع معلومات وثيقة عنها، وبلغ نيوزيلندا (الجزيرة الشمالية) عام ١٧٦٩ ، وأجرى عمليات مسح كاملة لسواحل جزيرتى نيوزيلندا واكتشاف المضيق البحرى الفاصل بينهما، وأبحر بعد ذلك ناحية الغرب حتى بلغ استراليا (أرض هولندا الجديدة آنذاك) عام ١٧٧٠ ، وأطلق كوك على الجزء الجنوبى الشرقى إسم نيوسوث ويلز، وبلغ الساحل الشمالى الشرقى حيث أطلق على طرف اليابس هنا إسم رأس يورك. وليعبر مضيق توريس بعد ذلك وليستمر فى ابحاره صوب الغرب حتى يصل إلى مدينة الكاب

ومنها أبحر إلى وطنه (بريطانيا) والذى بلغه فى يوليو عام ١٧٧١ لتنتهى رحلته الأولى.

- جيمس كوك اكتشف خلال رحلته الثانية عام ١٧٧٣ العديد من الجزر الجنوبية والتى يتصدرها نيوهبرديس، نيوكاليدونيا، نورفولك، وعاد إلى وطنه عام ١٧٧٥ بعد أن قطع خلال رحلته الثانية مسافة تفوق تلك اللازمة للدوران حول الكرة الأرضية. وأكدت رحلته وجود كتلة قارية قطبية تمتد جنوباً إلى أبعد من دوائر العرض التى بلغها.
- الرحلة الثالثة لجيمس كوك بدأت عام ١٧٧٦ بهدف البحث عن الممر البحرى الشمالى الواصل بين المحيطين الهادى والأطلسى شمالى قارة امريكا الانجلوسكسونية.

وبعد وصوله مدينة الكاب إتجهه صوب الشرق مخترقاً النطاق الجنوبى للمحيط الهندى ليمر أمام الساحل الجنوبى لجزيرة تسمانيا عام ١٧٧٧ ويصل إلى نيوزيلندا، حيث عبر مضيق كوك الفاصل بين الجزيرتين ويتجه صوب جزر تاهيتى، وبعدها يغير اتجاهه صوب الشمال حيث اكتشف مجموعتى جزر كريسماس، ساندويش، وليغير إتجاهه صوب الشمال الشرقى حتى يبلغ الساحل الغربى لأمريكا الانجلوسكسونية ويتتبعه حتى موقع فانكوفر الحالية ويستمر فى اتجاهه صوب الشمال ليعبر مضيق برنج، إلا أنه لم يستطيع تجاوز دائرة عرض ٧٠° شمالاً لتعذر الملاحة فى ظل صعوبة الظروف الطبيعية، وفى طريق عودته يكتشف جزر هاواى حيث قتل فيها عام ١٧٧٩.

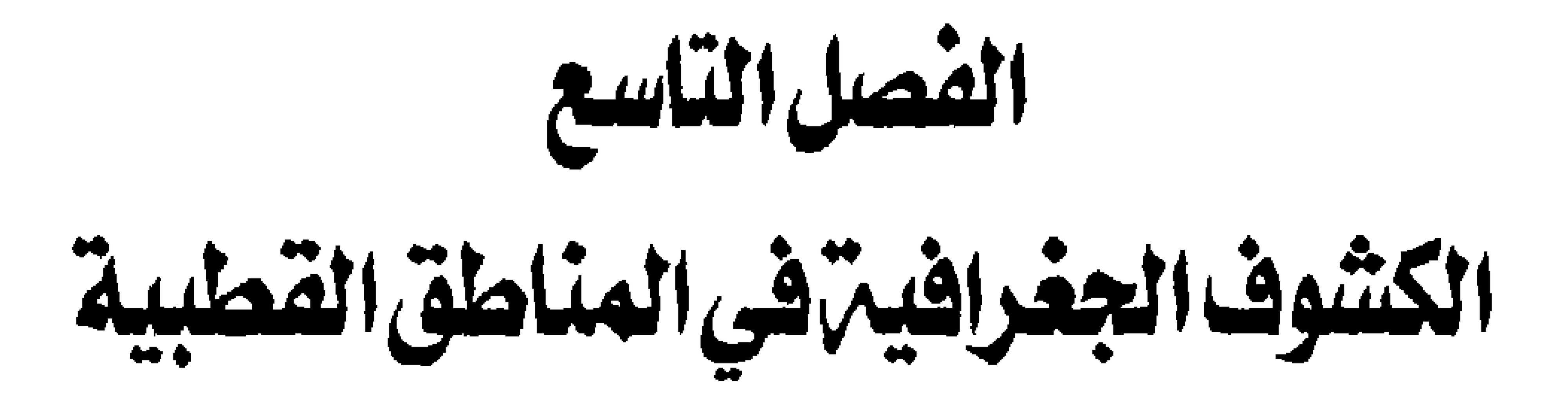
- سيدني، بورت جاكسون هي أولى مراكز الاستيطان الأوربي التي شيدها الانجليز للإستيطان فيها باستراليا عام ١٧٨٨ .

- من مراكز الاستيطان في القارة انطلقت عدة رحلات كشفية خلال أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وبدأها جورج باس عام ١٧٩٨ عندما اكتشف المضيق الفاصل بين كتلة استراليا القارية وجزيرة تسمانيا والذى عرف باسم مضيق باس. وفي العام التالي - ١٧٩٩ - اشترك معه ماتثو فنلدرز في رحلة بحرية حول جزيرة تسمانيا.

- اهتم المستوطنون الانجليز في القارة باكتشاف الاجزاء الداخلية منها وخاصة خلال القرن التاسع عشر، واكتشفت العديد من سهول الأودية الواقعة خلف المرتفعات الشرقية حيث تتوافر التربات الخصبة والمياه الجارية، واستمرت الرحلات الكشفية إلى ما بعد ذلك حيث اكتشفت الاجزاء الوسطى والغربية والشمالية وذلك بفضل العديد من المستكشفين الذين يتصدرهم هيوم وهوفيل عام ١٨٢٤ ، تشارلز ستورت خلال الأعوام ١٨٢٨ ، ١٨٢٩ ، ١٨٣٠ ، توماس ميتشل عام ١٨٣٦ ، إيري خلال الأعوام ١٨٣٩ ، ١٨٤٤ ، ١٨٤٦ ، جريجوري خلال الأعوام ١٨٤٠ ، ١٨٤٨ ، ١٨٥٨ ، ١٨٦١ ، ليكهارت خلال عامي ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، جون ستيوارت خلال الفترة بين عامي ١٨٥٨ ، ١٨٦٢ ، وكل من روبرت بوركي، وليم ويلز عام ١٨٦١ ، جيلس خلال الأعوام ١٨٧٢ ، ٧٣ - ١٨٧٤ ، ٧٥ - ١٨٧٦ ، وربورتون خلال عامي ١٨٧٣ ، ١٨٧٤ .

- الكابتن أبل تسمان الهولندى اكتشف نيوزيلندا عام ١٦٤٢ ، وزارها جيمس كوك عام ١٧٦٩ ، واكتشف وليم بليج جزر بونتى (جنوب شرق الجزيرة الشمالية) عام ١٧٨٨ وجزر كاثام (جنوب شرق الجزيرة الشمالية) عام ١٧٩١ ، واكتشف كابتن بريستو جزر أوكلاند عام ١٨٠٦.

- بدأ الاستقرار الأوربى فى جزر نيوزيلندا عام ١٨٤٠ بعد عقد اتفاقية ويتانجى مع زعماء قبائل الموارى لتبدأ رحلات كشف الاجزاء الداخلية لكل من الجزيرة الشمالية والجزيرة الجنوبية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر بهدف تحديد إمكانات وموارد الجزيرتين تمهيداً للاستيطان الأوربى فى معظم اقاليمها.


الفصل التاسع
الكشوف الجغرافية في المناطق القطبية

١- في الاقاليم الشمالية:

أثناء عصر الكشوف الجغرافية كانت مسألة البحث عن ممر ملاحى شمالى يؤدى إلى الصين وشرق آسيا – أمراً ملحاً على القوى الأوربية المنافسة للبرتغال وأسبانيا فى تجارة التوابل، وقد بدأ البحث عن الممر الشمالى الغربى عبر المناطق الشمالية من قارة أمريكا الشمالية بواسطة بحارة أوربيين. وذلك لمنافسة البرتغال التى نجحت فى الوصول إلى الشرق بالدوران حول أفريقيا – وأسبانيا التى حققت ذات الهدف بالاتجاه نحو الغرب.

وقد وقفت الظروف الطبيعية القاسية للمناطق القطبية حائلاً دون الكشوف المبكرة، كالعواصف الثلجية وأمراض سوء التغذية والحيوانات القطبية كالدببة إضافة إلى عداء السكان الأصليين من الإسكيمو رغم ما كتب عن كرمهم وحسن معاملتهم للأوربيين. وإذا كان الملاحة سهلة فى المناطق المدارية طوال العام، فإن الأمر يختلف كثيراً فى المناطق القطبية الباردة. فالعواصف الثلجية تجعلها مقبرة للسفن طول اشهر الشتاء، إضافة إلى تأثير كتل الجليد التى تقضى على السفن – كما أن البوصلة البحرية تفقد دورها الحاسم فى توجيه السفن بسبب ذبذباتها الكبيرة التى تزداد بالاتجاه شمالاً ومن ثم يصعب فى ذلك الوقت المبكر من المعرفة الإنسانية تحديد الأماكن بدقة، إضافة إلى الجزر العديده والمضايق والفيوردات التى تنتشر فى المناطق القطبية.

وإضافة إلى ما سبق من صعوبات فكانت خرائط العصور الوسطى لهذه المناطق الشمالية غير دقيقة بل ورسمت فيها مجموعات جزرية بطريقة عشوائية.

ورغم ذلك كله فقد ظل البحث عن الممر الشمالى المزعوم لبلاد المشرق رافعاً قوياً وإغراء لا يقاوم لدى المستكشفين، ودعم الانجليز هذه الافكار أملاً فى مكاسب منتظرة للموانى الانجليزية إذا عرف هذا الممر، فانجلترا هى المنتج الرئيسى للملابس الثقيلة آسيا وشعوب شرق آسيا ترغب فى تبادل

منتجاتها من الحرير وكذلك التوابل وغيرها من منتجات المشرق مما يؤدى إلى تبادل المنفعة الاقتصادية الكبرى بين هذين الاقليمين – شمال غرب أوربا من ناحية، والصين وشرق آسيا من ناحية أخرى.

وقد تمت محاولات عديدة للتحقق من وجود الممر الشمالى الغربى إلى بلاد الصين وشرق آسيا وذلك منذ القرن السادس عشر وأبرز هؤلاء المستكشفين فروبشر Frobisher الذى بدأ بعثة سنة ١٥٧٦ اتجه إلى جنوب جرينلند ومنها إلى مضيق هدسن الذى اعتقد أنه يؤدى إلى ا لصين واتجه بعد ذلك غرباً إلى خليج عرف بعد ذلك باسمه حيث تمكن من رؤية جماعات الإسكيمو لأول مرة.

وجاء بعد ذلك البحار ديفز سنة ١٥٨٥ حيث قام بعدة رحلات سار فيها بمحازاة الساحل الغربى لجرينلاند حتى خليج بافن. غير أن أهم الرحلات بحثاً عن هذا الممر المنشود هى رحلات هنرى هدسن، حيث أرسلته انجلترا وهولنده فى بعثات أبرزها سنة ١٦١٠ حيث عبر مضيق هدسن واتجه جنوباً وغرباً معتقداً أنه اقترب من المحيط الهادى ولكن تزايد الثلوج وبرودة الشتاء وصعوبة ظروف البيئة قضى على بعثته التى انتهت إلى مصير مجهول. غير أن أهم نتائج بعثته أنه أكد أن خليج هدسون لا يؤدى إلى المحيط الهادى ومن ثم ترك الغموض سلف الممر الغربى مرة أخرى.

وأرسلت هولنده ويليام بارنتس Barents الذى توغل شمالاً من بحر كارا حتى اكتشف جزيرة سبتزبرجن غير أنه مات مريضاً وعاد أفراد بعثته مع إحدى السفن الروسية.

وفى النهاية بعد جهود مضنية استمر البحث عن الممرين الشمالى الشرقي والغربي وارتبط كشفهما بالوصول إلى نقطة القطب الشمالى زادت، وكان طبيعياً أن يتم ذلك متأخراً فى القرن العشرين حيث وصل روبرت بير R. Peary إلى القطب الشمالى لأول مرة سنة ١٩٠٩ بعد محاولات عديدة فى القرن العشرين حيث تمكن أمندسن Amundsen النرويجى فى عام ١٩٠٥ من

كشف الطريق المائى عديم الفائدة والذى شغل الرحالة والقوى البحرية ردحاً طويلاً من الزمن.

وفى سنة ١٩٠٩ تمكن روبرت بيرى Peary من الوصول إلى القطب الشمالي لأول مرة، وهى مهمة أعد لها طويلاً بإقامة علاقات طيبة مع الذين ساعدوه فى تحقيق هذا الهدف من خلال مساعدته بالغذاء ومئات الكلاب التى تجر الزحافات الثلجية.

جدول رقم (٢)

تاريخ الكشوف في الاقاليم القطبية

الاقليم	المكتشف	التاريخ
– كشف المحيط	ماجلان والدوران حول الأرض	١٥١٩ – ١٥٢٢
– جزر جالاباجوس	دييجو دى ريڤارفيرا – الأسبانى	١٥٣٥
– سبتزبرجين	ويلم بارنتس Barents الهولندى	١٥٩٦
– الدائرة القطبية	جيمس كوك البريطانى	١٧٧٣
– انتاركتيكا	ناتنيال بالمر الأمريكى، وفابيان بلنجشاوزن الروسى	١٨٢٠
– انتاركتيكا	تشارلس ويلكس الأمريكى	١٨٤٠
– القطب الشمالى	روبرت بيرى – الأمريكى	١٩٠٩
– القطب الجنوبى	رولد أمندسن النرويجي	١٩١١

المصدر: Information Please Alnanac Atlas and Yearbook, 1996, 49th ed. New York, 1996, p. 474.

٢- القارة القطبية الجنوبية

(أنتاركتيكا)

تعد قارة أنتاركتيكا Antarctica – أو القارة القطبية الجنوبية – أكبر كتلة يابسة لا تخضع لدولة واحدة. وتصل مساحتها إلى ١٤ مليون كيلو متراً مربعاً، وقد تسابقت بعض الدول للسيطرة على قطاعات منها وهى الأرجنتين واستراليا وشيلى وفرنسا ونيوزيلنده والنرويج والمملكة المتحدة. وفى سنة ١٩٥٩ قامت هذه الدول السبع إضافة إلى بلجيكا واليابان وجنوب افريقيا والاتحاد السوفيتى (آنذاك) والولايات المتحدة الأمريكية بتوقيع معاهدة لوقف الإدعاءات الإقليمية على أى قطاع من هذه القارة على أن تسرى هذه الاتفاقية لمدة ثلاثين سنة، وأن تتعاون الدول على إنشاء مراكز بحث علمى فيها. وفى سنة ١٩٩١ وافقت ٢٤ دولة على مد سريان هذه الاتفاقية لمدة ٥٠ عاماً أخرى ومنعت البحث عن البترول والتعدين بها لمدة ٥٠ سنة[١]، وأنشأت مراكز للسيطرة على التلوث الذى قد يؤثر فيها، وذلك لأهميتها فى حفظ التوازن البيئى العالمى خاصة مستوى مياه سطح البحار والمحيطات.

ومعنى ذلك أن هذه القارة المتجمدة الجنوبية التى تبلغ مساحتها نحو عشر مساحة اليابس العالمى خالية من السكان ومعظمها تغطية غطاءات ثلجية دائمة يصل سمكها فى بعض المناطق بها إلى سمك ٥ كيلو مترات، وقد قدر العلماء أن هذه الكتلة الجليدية السميكة لو تعرضت للذوبان لرفعت مستوى المحيطات والبحار فى العالم بأكثر من ٥٠ متراً[٢].

والقارة المتجمدة الجنوبية – حتى الآن – مازالت نظيفة غير ملوثة –

---

(١) Rubenstein, J. Am Introduction to Human Geography, 7 th ed. Macmi l l an 2003, p. 251.

(٢) Porritt, J. Save The Earth, Turner Publishing Inc. Atlanta, Georgia (U.S A), 1991, p. 86.

غير ان الصراع والمنافسة بين الدول الصناعية للسيطرة على قطاعات منها أو استغلال البحار المحيطة بها قد لا يبقيها نظيفة أو خالية من التلوث في المستقبل.

ولكن بعد ذلك كله كيف اكتشفت هذه القارة النائية الخالية من البشر. هذا ما ستجيب عنه السطور التالية.

مراحل كشف القارة:

كان جيمس كوك James Cook البحار البريطاني أول من أشار إلى أن هناك مساحة كبيرة من اليابس تقع بالقرب من المناطق القطبية الجنوبية وذلك عند زيارته لنيوزيلنده سنة ١٧٦٩ ثم عبوره الدائرة القطبية الجنوبية سنة ١٧٧٣. وقد أشار إلى أنها قارة عديمة القيمة لقسوة ظروفها المناخية، غير أن الأبحاث أثبتت عكس ذلك فيما بعد.

والواقع أن كشوف القارة القطبية الجنوبية تمثل مرحلة التعاون الدولي في الكشوف الجغرافية العلمية لهذه القارة حيث تنعكس هذا الجهود الدولية في الأسماء التي أطلقت على مناطق وقطاعات وجزر القارة. ففي الفترة من ١٨١٩ – ١٨٢١ قام بحار روسي يدعى بلنجتشاوزن Bellingshausen برحلة هامة من ريودي جانيرو إلى منطقة سوث جورجيا لكن الكتل الجليدية حالت دون تقدمه بعد دائرة عرض ٦٠° جنوباً، ومع ذلك اكتشف ثلاث جزر تقع شمال مجموعة جزر ساندوتش الجنوبية، ثم أبحر بعد ذلك نحو الشرق حتى وصل سدني في سبتمبر ١٨١٩ واتجه منها ثانية إلى المنطقة القطبية الجنوبية حتى وصل إلى دائرة عرض ٦٩° جنوباً وهناك اكتشف جزيرة بطرس الأول والكسندر الأول وواصل رحلته إلى – ثوث جورجيا بعد أن دار حول الدائرة القطبية الجنوبية.

وقد أعقب ذلك جهود كشفية أخرى قام بها بحارة أثناء تجوالهم وبحثهم

عن الحيتان فى البحار الجنوبية وخاصة بحار يدعى Weddell آخرون كانوا فى شركة Enderby Company وقد اشتهر بعض هؤلاء البحارة الصيادين فى قصة كشف انتاركتيكا وفهم كمب Kemp، وبلنى Balleny الذين اكتشفا بعضاً من أراضى وجزر انتاركتيكا وساعد على توجيه الأنظار لأهمية هذا الإقليم من العالم.

ورغم كثرة عدد البحارة والمكتشفين بعد ذلك إلا أن أبرزهم وأهمهم سير جيمس روس Rossوالذى اقترن اسمه أيضاً بالقطب الشمالى. فقد رأس سنة ١٨٤٠ بعثة كشفية واتجه إلى انتاركتيكا من نيوزيلنده وعبر الدائرة القطبية الجنوبية فى يناير من تلك السنة، واكتشفكيب آدار Cape Adare أحد المعالم الهامة فى القارة وأطلق على المناطق المجاورة فكتوريا لاند Victoria Land وأعلن تبعيتها البريطانية ثم واصل كشفه بعد ذلك جنوباً واكتشف سلسلة ادميرا التى Admiraltyrange، واكتشف بركانين أطلق عليهما Terror و Erebus (هما اسما السفينتين اللتين كانتا تقلان بعثته الكشفية).

وقد تمكن جيمس روس من الوصول إلى دائرة عرض ٤َ ٧٨° جنوباً وحاول أن يقضى فصل الشتاء فى انتاركيتكا وبحث عن مكان مناسب لذلك ولكنه لم يتمكن من قضاء الشتاء به وعاد إلى تسمانيا، ثم حاول فى العالم التالى ولكن عاقته الكتل الجليدية الطافية ولم يجد مفراً سوى اللجوء إلى جزر فولك لان. وفى سنة ١٨٤٢ حاول مرة أخرى غيرأن محاولاته باءت بالفشل ولم يتمكن من الابتعاد جنوباً اكثر مما يصل إليه من قبل ورغم أنه لم يحقق كل أهدافه الكشفية إلا أن نتائج رحلاته كانت ذات قيمة كبرى فى كشوف أنتاركتيكا.

وبعد بعثه جيمس روس – توقف النشاط الكشفى تقريباً فى القارة القطبية الجنوبية حتى نهاية القرن التاسع عشر رغم أن اصيطاد الحيتان فى البحار

الجنوبية وعلى شواطئ هذه القارة استمر بعد ذلك، وتركز اهتمام الكشوف الجغرافية آنذاك على افريقيا والقطب الشمالى.

ومن أوائل المستكشفين - فى مرحلة ما بعد جيمس روس - بوركجريفنك Borchgrevink الذى أبحر من انجلترا سنة ١٨٩٨ حتى وصل إلى رأس آدار وبقى بعض اعضاء بعثته هناك طوال فصل الشتاء - لأول مرة يتم الكشف هنا باستخدام الزحافات الجليدية حتى قامت البعثة خلالها بعمل مسوح للمناطق التى زاروها ورسموا عدة خرائط لها.

وقد أعقب ذلك رحلة هامة قام بها كابتن روبرت سكوت Scott فى سنة ١٩٠١، واستقرت بعثته فى رأس آدار وركز على كشف بحر روس Ross Sea وقام بدراسات هامة وأعقبه بعثة أخرى بقيادة ارنست شاكلتون E.Shackleton.

وقد توغل فى داخل القارة لمئات الأجيال، وبعد صعوبات شديدة واجتها البعثة فقد قامت ببحوث هامة عن الهضبة الداخلية وبحر روس Rosssoa وبركانى Erebus و Terror وفى كل ذلك لم تتعد هذه البعثة دائرة العرض ٢٣َ ٨٨ْ جنوباً كما اكتشف بعض اعضاء البعثة القطب المغناطيس الجنوبى.

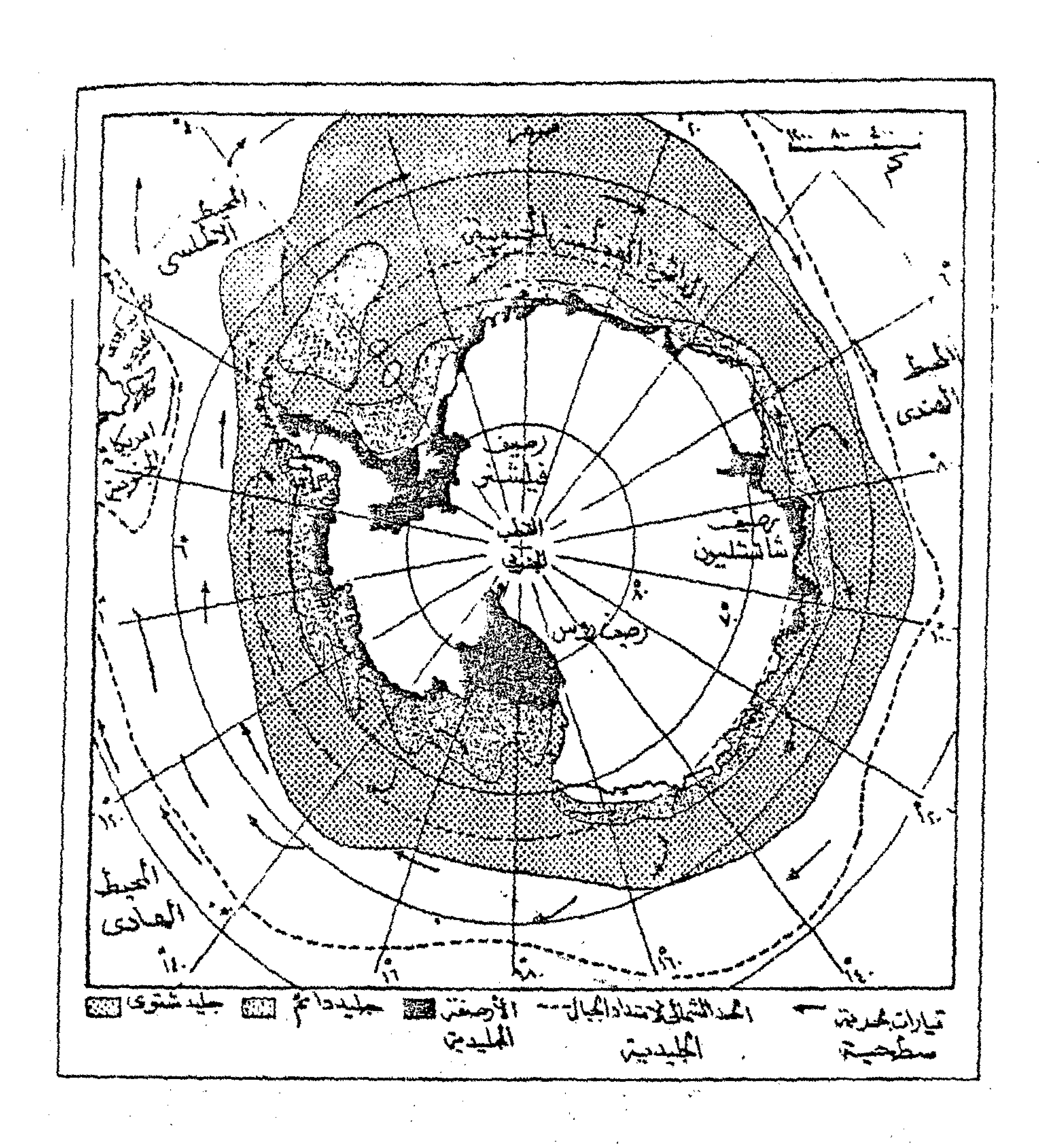
وبعد ذلك بخمس سنوات وفى سنة ١٩١٦ نظم شاكلتون Shakleton بعثة لعبور انتاركتيكا من Weddell إلى بحر وس Ross Sou مروراً بالقطب الجنوبى ولكنها لم تكلل بالنجاح للعقبات العديدة التي واجهتها، وعاود شاكلتون الرحلة مرة أخرى سنة ١٩٢١ لكشف سواحل القارة والقيام ببعض الأبحاث فى المحيط الأطلنطى الجنوبى، ولكنه توفى في سوث جورجيا حيث شهدت كثيراً من كشوفه الجغرافية المتميزة فى هذا النطاق.

وبعد ذلك توالت البعثات على انتاركتيكا وكان أبرزها جهود المكتشف

الأمريكى الأدميرال ريتشارد بيرد R. Byrd والذى يعد أول من طار فوق القطب الجنوبى – كما فعل ذلك من قبل فى القطب الشمالى، وقد قام بيرد بأربع رحلات برية وجوية للكشف عن القارة القطبية الجنوبية وذلك فى الفترة من ١٩٢٩ – ١٩٥٠ رسم خلالها خرائط واضحة لسواحل القارة وحدد كثيراً من الظاهرات الموجودة داخل يابسها. وقد كشف أبعد يابس للأرض جنوباً عرف باسم Marie Byrd Land، وأقام هناك معسكراً مزوداً بوسائل حديثة ومهبطاً لطائرته وارتبط بالولايات المتحدة الأمريكية باللاسلكى وسمى منزله القطبى هذا بأمريكا الصغرى Little America – وقام ببحوث هامة حتى إنه أصبح واحداً من أعظم مكتشفى القارة القطبية الجنوبية وتوفى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٩٥٧.

وتوالت بعد ذلك جهود كثير من الدول للنشاط الكشفى والعلمى فى القارة وأقامت روسيا قاعدة علمية وكذلك الولايات المتحدة والتى أنشأت عدداً من القواعد، واستطاع سير ڤيڤيان فوسن Vivian Fuchs من عبور القارة سنة ١٩٥٧ وساعده فى ذلك سيرادموند هيلارى Hillary أحد الذين قهروا قمة إڤرست، وتمكنا بذلك من تحقيق أحلام كثيرين سبقوهم وساعدهم فى ذلك التقدم التكنولوجى فى أدوات الانتقال والاتصال.

ومنذ منتصف القرن العشرين بدأت بعض تحاول الدول بسط سيطرتها على قطاعات من القارة القطبية الجنوبية، وأقامت عدداً من محطات الأرصاد الجوية لمعرفة ظروف المناخ والتقلبات الجوية فى هذا النطاق القطبى الجنوبى، وازداد الاهتمام بها فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين خاصة فى رصد التغيرات فى طبقة الأوزون والتغيرات فى مناخ الكرة الأرضية وارتفاع درجة الحرارة الذى شهده العالم لأسباب عديدة من بينها التلوث الذى أحدثه الإنسان فى البنية العالمية شكل رقم [١٧].

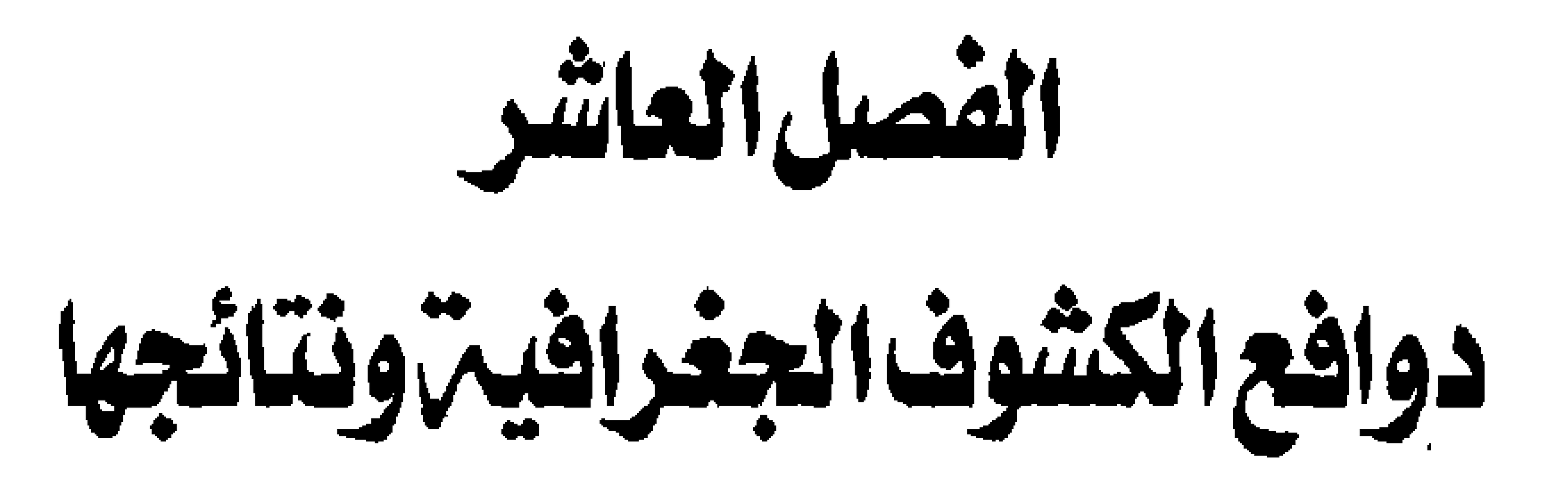


شكل رقم [١٧] الغطاءات الجليدية في القطب الجنوبي وحدود امتداد الجبال الجليدية في نصف الكرة الجنوبي

الباب الرابع

دوافع الكشوف الجغرافية ونتائجها

- الفصل العاشر: الدوافع والنتائج
- الفصل الحادي عشر: كوكب الأرض الذي اكتشفه الإنسان



الفصل العاشر

دوافع الكشوف الجغرافية ونتائجها

أظهرت الصفحات السابقة أن الكشوف الجغرافية كانت مرحلة حاسمة فى تاريخ المعرفة البشرية وعلم الجغرافيا، فقد أسهمت فى تزايد معرفة البشر بالأرض وما عليها وما بها من ظاهرات وإلى نمو خريطة العالم وتحديد معالمها عبر العصور. وقد قام بهذه الكشوف رجال عظماء دفعهم حب العلم والمعرفة إلى ارتياد المجهول وكشف أسرار القارات والجزر والبحار، ومنهم من سجل كشوفه وأضاف للعلم والمعرفة لبنات جديدة، ومنهم من ضحى بنفسه وعجز عن تحمل قسوة البنية المكتشفة وفتكت به الأمراض وحفر اسمه فى سجل الخالدين.

ولعل ما ذكره أدميرال رتشارد بيرد R. Byrd الأمريكى الذى جذب الانتباه القومى إلى انتاركتيكا عندما قام برحلتين إلى القطب الجنوبى فى عامى ١٩٢٨ - ١٩٣٠ و ١٩٣٣ - ١٩٣٥ - ما يوضح قيمة الكشوف الجغرافية عندما قال:

"Geographical discovery is still, as it always was, the brighest weapon in the explorers armory; but in the new philosophy of exploration it is principally a tool for getting at something deeper. It attains the degnity of a science only when vrising above the super ficial glory of a first penetration, it brings the appatrtus of science to bear upon the "Unknown" for the true understanding of a multiplicity of problems"(1).

أى أن الكشف الجغرافى كان - ومايزال - أمضى الاسلحة لدى أى مكتشف، ومع ذلك فهو يعد من أهم أدوات الوصول إلى حقائق أعمق وأشد أثراً فى المعرفة البشرية، ذلك لأن الكشوف الجغرافية فى الواقع تمثل فخار

(١) Wood, H.J. Exploration and Disouery, Hutchinsm House, London, 1951, pp. 169 - 170.

العلم وعزته – فقط عندما تعلو فى قمتها على ذلك الشعور السطحى بالمجد الذى يغمر المكتشف عندما يرتاد – لأول مرة – منطقة جديدة لم يطاها انسان قبله، هنا – فى تلك اللحظة – فإن ذلك يعد إيذاناً بتقدم العلم نحو «**المجهول**» ليعرفه أولاً وليفهمه بعد ذلك، ويقف على أسرار ذلك المجهول وما يحويه من مشكلات عديدة ومتنوعة.

دوافع الكشوف الجغرافية:

رغم أن الكشوف الجغرافية قديمة – قدم الحضارات البشرية فى العصر التاريخى – فإن دوافعها تختلف من إقليم لآخر – ومن عصر إلى آخر . غير أن الدافع الرئيسى لأى كشف جغرافى مبكر كان المعرفة وارتياد المجهول، وإذا كان ذلك عاملاً نفسياً يرتبط برغبة الإنسان وميله نحو حب الاستطلاع ومعرفة ما وراء التلال – فقد ارتبط بتلك الرغبة فى إضافة الجديد إلى المعرفة الجغرافية فى كل آن. كذلك فإن شخصية المكتشف وميله للمغامرة كان دافعاً حاسماً فى القيام بالكشوف عبر العصور المختلفة، فإذا لم يكن قادراً على تحمل الصعاب ومدركاً لمخاطر الكشوف ومؤمن برسالته للمعرفة الإنسانية فإنه يعجز عن تحقيق أهدافه – بل قد يتطرق إليه اليأس فى بعض مراحل الكشف وهذا ما شهده تاريخ الكشوف الجغرافية فى مختلف العصور.

وفى العصر الحديث – كان كثير من المكتشفين من الأوربين، تعددت دوافعهم ومراتبهم، غير أن هناك صفات مشتركة فى شخصياتهم لعل أبرزها قوة الإرادة والشجاعة والقدرة على التحمل والإلمام بالمعارف والعلوم المناسبة التى تفيده فى رحلاته مثل اللغات واللهجات وعادات الشعوب والقبائل التى سيرتاد أرضها، إلى جانب أن بعضهم كان ملماً ببعض فنون الطب وطرق الوقاية من الأمراض وكذل بالفلك ومواقع النجوم – وعلى

دراية باستخدام الخرائط المتاحة وملماً بقراءات عن السابقين فى العصور القديمة والوسطى.

وتعد افريقيا المدارية والعالم الجديد مجالاً خصباً للكشوف التى شهدت نشاطاً محموماً ازدادت وتيرته وتعددت دوافعه، وكان المكتشفون من اقطار أوربية عديدة ومن مهن مختلفة ولطبقات اجتماعية متباينة فمنهم من كان من طبقة النبلاء، وغيرهم من عامة الشعب بل ومن القراصنة والمبشرين والصيادين وتجار الرقيق واستطاعوا فى النهاية - بعد قصة مداها ما يقرب من أربعة قرون أن يرسموا خرائط للمناطق التى اكتشفت وما احتوتها من انهار وبحيرات وجبال وكذلك ما بها من شعوب وقبائل شتى مختلفة الأشكال والألوان والملفات وأساليب الحياة والاقتصاد.

ومع ذلك كله فإن دوافع الكشوف الجغرافية عديدة ومتبانية - ورغم تعددها - فإنها فى النهاية كشفت عن مناطق غامضة وأراض لم تكن معروفة. ومن الصعب تحديد دور كل دافع من الدوافع ولكن يمكن ايجازها فى الدوافع الديننية والاقتصادية والسياسية.

الدوافع الدينية:

كانت الدوافع الدينية للكشوف الجغرافية منذ نهاية القرن الخامس عشر كامنة لدى كثير من المستكشفين خاصة بعد أن أدى الصراع بين العرب المسلمين والامارات المسيحية فى شبه جزيرة ايبيريا إلى إخراج العرب نهائياً من الأندلس سنة ١٤٩٢ ، واستمر الصراع بعد ذلك متمثلاً فى محاولة تعقب المسلمين فى افريقيا، وقد قاد الأسبان والبرتغاليين هذه المحاولات وتجلت فى كثير من المظاهر لعل أبرزها محاولة التحالف مع ملك الحبشة المسيحى لتطويق القوى الإسلامية والسيطرة على تجارة المشرق، وقد باركت البابوية هذه الجهود بل وأسهمت فى حل كثير من المشكلات التى

طرأت بين الجهود بل وأسهمت فى حل كثير من المشكلات التى طرأت بين القوى المسيحية التى قامت بالكشوف الجغرافية المبكرة.

وقد ارتبط بالدوافع الدينية الكامنة فى حركة الكشوف الجغرافية الرغبة فى التبشير الدينى لنشر المسيحية، بل إن ذلك كان حافزاً رئيسياً لدى كثير من المستكشفين المشهورين مثل دافيد لفنجستون - أكبر المكتشفين فى افريقيا الجنوبية - وقد ساعدت كثير من الجمعيات التبشيرية فى القيام بهذه الكشوف وذلك لنشر المسيحية لدى الجماعات والقبائل الوثنية فى افريقيا، بل والعمل على تحضير هذه الجماعات، وارتبط بذلك جهوداً أخرى مع الاستكشاف وهى نشر التعليم والعلاج لدى بعض القبائل.

والواقع أن أوربا المسيحية وجمعياتها العلمية والتبشيرية والمكتشفين الأوربيين قد رأوا فى الكشف الجغرافى والتبشير ونشر الحضارة الأوربية واجباً مفروضا عليهم، وكانت افريقيا وأمريكا اللاتينية - بشعوبها وقبائلها - المجال الخصب لتلك الجهود، فقد اعتقد الأوربيون أن افريقيا المدارية التى تسكنها جماعات وشعوب وثنية مختلفة ويجب هدايتها إلى المسيحية، وتغيير معتقداتها المتباينة.

وكذلك الحال فى امريكا اللاتينية وشعوبها الهندية الحمراء، ولذا كانت الكنائس والكاتدراتيات هى المنشآت الأوربية المبكرة فى المناطق التى اكتشفها الأوربيون وسيطروا عليها بعد ذلك.

الدوافع الاقتصادية:

رغم أن دوافع الكشوف الجغرافية قد اختلفت من عصر لآخر حيث كانت الرغبة فى المعرفة وحيث الاستطلاع مرتبطة بالكشوف المبكرة فى العصور الكلاسيكية، فقد كانت التجارة والرغبة فى الحصول على ثروات

المناطق المكتشفة دافعاً رئيسياً فى العصور الوسطى وما بعدها، ولقد سجل التاريخ لنا أن المعادن الثمينة والسلع والمنتجات المدارية وغير المدارية ارتبطت بالرحلات المبكرة والكشوف الجغرافية والمكتشفين، والرحالة الذين بلغوا أقصى الأرض وأشد المناطق عزلة فى القارات أملاً فى الحصول على منتجاتها النادرة أو التى يشتد عليها الطلب فى بلادهم الأصلية. ولعل أبرز هذه المنتجات التى ارتبطت بالكشف مبكراً - جزيرة الصين (طريق الحرير)، وتوابل جزر الهند الشرقية، والذهب والفضة من أمريكا الوسطى والجنوبية، والذهب من كاليفورنيا واستراليا، والحيتان والثروة السمكية من المياه القطبية.

ومن أسف كانت تجارة الرقيق - ضمن الدوافع التى دفعت البرتغال وأسبانيا للكشوف الجغرافية والسيطرة على مناطق من أفريقيا بالتحديد. فبعد أن تم البرتغاليين كشف الساحل الغربى لافريقيا أنشأوا على الساحل والجزر المجاورة محطات تموين للسفن التى تجوب هذا النطاق لجلب البضائع من المشرق، خاصة التوابل ثم بدأت تتحول تدريجياً إلى ما عرف بالعاج الأسود - أو الرقيق - الذى ازداد الطلب عليه فى العالم الجديد.

وقد حاول بعض الكتاب الأوربيين تبرير قيام البرتغال بتجارة الرقيق وعللوا تلك التجارة الآدمية برغبته البرتغاليين فى نشر الديانة المسيحيةوتعليم الزنوج حتى يعودوا إلى بلادهم مستنيرين ورسلاً للتبشير، غير أن هذا التبرير للآسف لم يصمد أمام المهانة والقسوة والتنكيل فى التسابق في اصطياد الزنوج من غرب أفريقيا وشحنهم بعد ذلك إلى أسواق النخاسة فى أوربا - وبعد ذلك فى أمريكا الوسطى والشمالية.

لواقع أن تزايد الطلب على العمالة السوداء فى المستعمرات الأوربية فى العالم الجديد كان له دور فى نشاط هذه التجارة الآدمية، وشهد المحيط

الأطلنطى مثلث تجارة مشهور أركانه فى الشاطئ الغربى لافريقيا الزنجية، وغربا فى جزر الكاريبى وشمالاً فى غرب أوربا، وفى هذا المثلث كانت السفن تقوم بنقل الرقيق من افريقيا إلى الساحل الغربى للمحيط الاطلنطى وتعود منه محملة بمنتجات الأمريكتين إلى أوربا، ثم بعد ذلك تتجه إلى غرب افريقيا لتبدأ دورة جديدة من هذه التجارة الأدمية. وقد تباينت الآراء فى تقدير خسارة افريقيا من البشر بسبب تجارة القيق وإن كان هناك تقدير بأن الخسارة بلغت – حتى تحريم تجارة الرقيق قرابة ٨٠ مليون نسمة لم يصل منهم إلى العالم الجديد سوى النصف ومات النصف الآخر فى الطريق.

وقد اظهرت الكشوف الجغرافية مدى ثراء المناطق المكتشفة بمواردها الطبيعية مما كان حافزاً قوياً للقيام بالبعثات الكشفية فى المناطق المجهولة، ولعل ثروات أفريقيا خير دليل على ذلك مثل الذهب والعاج ومنتجات الغابات والتى أدت فى النهاية إلى تكوين شركات أوربية لاستغلال هذه المواد الخام.

ولقد كان الذهب والماس والنحاس فى جنوب افريقيا دافعاً رئيسياً للكشوف الداخلية التى شهدها هذا الاقليم وكذلك زراعة المطاط ونخيل الزيت فى غرب القارة، والقطن والشاى والقرفة والقرنفل أسباباً لإهتمام الأوربيين بمعرفة مناطق الإنتاج وتحديد المسالك على الخرائط. مما أدى إلى زيادة المعرفة الجغرافية بهذه الأقاليم.

وبالإضافة إلى الحصول على المواد الخام والمنتجات المدارية من المناطق المكتشفة، فقد عمل الأوربيون على فتح اسواق بها لإنتاج أوربا، ورغم أن هذا الإنتاج فى البداية كان مقتصراً على سلع قليلة الشأن لإكتساب رضا السكان الأصليين – (مثل الاقمشة وعقود الخرز وبعض المنتجات البسيطة) – إلا أن التجارة تزايدت بعد ذلك تدريجياً وتطورت مع الزمن

خاصية أن شركات أوربية عديدة وجدت مجالاً رحباً للاستثمار الاقتصادى فى المناطق المكتشفة.

وقد أسهمت الثورة العلمية التى شهدتها أوربا - مواكبة لعصر الكشوف الجغرافى الكبرى - على ارتياد مناطق جديدة صعبة حيث قدمت هذه الثورة العلمية ابتكارات عديدة فى مجال الوقاية من الأمراض، وفى تحديد الأماكن ورسم الخرائط ومعرفة الطرق مما ساعد على زيادة المصروف من سطح الأرض وبحارها ومحيطاتها، وزادت الأساطيل التجارية لنقل السلع والمنتجات بسبب ثورة البحار التى اشتدت على الفحم أولاً ثم تحولت إلى البترول بعد ذلك. وقد أدى هذا التقدم التقنى فى زيادة المعرفة بكثير من مناطق العالم النائية كما أسهم بعد ذلك فى ارتياد الصحارى وتسلق المرتفعات الجبلية الشاهقة.

الدوافع السياسية:

كانت الدوافع السياسية والرغبة فى التوسع الأرضى للدول الأوربية أمراً حاسماً فى الكشوف الجغرافية، وقد صاحبت معظم الكشوف التى مولتها دول أوربية خاصة البرتغال وأسبانيا ثم بريطانيا وفرنسا ودول أخرى بعد ذلك. ورغم أنه بيد الصعب فى كثير من الأحيان وضع حد فاصل بين الدين والاقتصاد والسياسية كبر واقع للكشوف الجغرافية، فإن هناك بعض الأمثلة التى كانت فيها الدوافع السياسية هى الأقوى فى حركة الكشوف الجغرافية، ويبدو ذلك فى رغبة الدول الأوربية ايجاد طرق طولية جديدة تؤدى إلى المناطق الهامة التى يتم اكتشافها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، ومثل كشوف البحارة الانجليز والفرنسيين للمحيط الهادى خلال القرن الـ ١٨، وكذلك الكشوف الجغرافية التى تمت فى خلال القرن الـ ١٩ فى افريقيا وأمريكا اللاتينية والشمالية وجزر المحيط الهادى. كل ذلك كان عامل السياسية كامناً كدافع قوى للكشف الجغرافى.

وقد كانت الرغبة فى الاستعمار دافعاً قوياً تجلى فى المنافسة الدولية الأوربية التى ظهرت عقب الكشوف الجغرافية فى العصر الحديث وتجلى ذلك فى سيطرة أسبانيا والبرتغال على أمريكا اللاتينية وبريطانيا وفرنسا على أجزاء من أمريكا الشمالية والوسطى ثم تقسيم أفريقيا بين الدول الأوربية وتجزئتها أكبر من أية قارة مكتشفة أخرى على خريطة العالم. وأتخذ الاستعمار أشكالاً عديدة أبرزها الاستيلاء على الأرض (ورفع العلم عليها) إلى استغلال ثرواتها الاقتصادية ثم على الاستيطان البشرى الكامل. مما غير من الخريطة الجغرافية للمناطق المكتشفة تغييراً كبيراً.

نتائج الكشوف الجغرافية:

يجمع الجغرافيون على أن الكشوف الجغرافية الحديثة تعد مرحلة جديدة وحاسمة فى تاريخ علم الجغرافيا، فقد اسهمت فى زيادة المعرفة عن العالم، وأماطت اللثام عن مناطق وأقاليم ظلت مجهولة حتى تم كشفها، وقد سبق القول أن حركة الكشوف الجغرافية كانت ذات ايقاع مختلف عبر العصور إلاأنها بلغت ذروة النشاط فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس عشر ونهاية القرن التاسع عشر، وقد أضاف المكتشفون خلال هذه القرون الأربعة أربع قارات جديدة إلى خريطة العالم لم يكن الإنسان يعرف عنها شيئاً من قبل، وهى قارات امريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، واستراليا، والقارة القطبية الجنوبية. إضافة إلى كشف أسرار افريقيا جنوب الصحراء والتى لم تكن معرفتها كاملة بل كانت مقتصرة على المناطق الغربية من الكتلة الإسلامية فى الشمال والشرق، وحتى الدوران حول القارة الافريقية واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح لم يكن العالم على علم به قبل ١٤٨٧.

وإضافة إلى توسيع دائرة المعرفة البشرية للعالم فقد شهد علم الخرائط تطوراً كبيراً نتيجة الكشوف الجغرافية فى العصر الحديث، فبعد أن كانت

الخرائط تتصف بالتعميم وعدم الدقة أصبحت توضع عليها ظاهرات تم كشفها وتسميتها سواء كانت أنهاراً أم بحيرات أو مظاهر تضاريسية أخرى. كما شملت جهود المستكشفين دراسة للحياة النباتية والحيوانية فى المناطق الجديدة، وكذا دراسة شعوبها وقبائلها ولغاتهم وعاداتهم مما أضاف الكثير إلى الجغرافية والأنثروبولوجيا والمعرفة بعاثه.

وكان معظم رسامى الخرائط (الكارتوفرافيين) فى القرن الخامس عشر الميلادى فى جنوة أو فى البندقية لأن معظم الرحلات كانت تبدأ من هاتين المدينتين، وكان الجغرافيون يعتمدون فى كثير من أعمالهم على خريطة بطليموس ويصححون أخطائها كما فعل العرب من قبل فيما قبل القرن الخامس، وبدأ تطور فن الخرائط بمحاولات عديدة لعل أبرزها ما قام به ماركيتور Mercator الذى يعد أول من أنتج خريطة ملاحية صالحة للعروض الوسطى والدنيا سنة ١٥٦٩[١]. كما أنتج بعد ذلك أطلساً به مجموعة من الخرائط منذ ١٥٨٥. وأصبحت امستردام مركزاً رئيسياً لنشر الأطالس والخرائط. وبدأ انتاج نماذج من الكرة الأرضية وبيعها للجمهور. وأخذ صناع الخرائط فى هولنده وفرنسا وغيرها يدخلون بعد ذلك التحسينات المتوالية على الخرائط ويضيفون عليها ما تسفر عنه الكشوف الجغرافية من حقائق ومعلومات.

وإضافة إلى ذلك كله فقد أدى تراكم المعارف الجغرافية إلى رسم خرائط لظاهرات طبيعية أو بشرية مثل مناطق الرياح التجارية، والرياح التجارية، والرياح الموسمية، وكذا وصف البيئات الجديدة وما بها من نباتات وحيوانات وبشر، كما عرف شكل الأرض من أنها منبعجة عند خط الاستواء ومفرطحة

---

(١) Janes, P. All Possible World, New York, 1972, p. 102.

عن: محمد محمدين – الجغرافيا والجغرافيون – طبعة الرياض– ١٤٢١ هـ، ص ص ٢٣٧ – ٢٤١.

عند القطبين. كما عرف امتداد القارات واتساع البحار والمحيطات، وبددت الكشوف الجغرافية كثيراً من المعتقدات الخاطئة التى ظلت قروناً عالقة بالفكر البشرى، فحيين تمكنت السفن البرتغالية من اجتياز خط الاستواء لم تحترق كما كان يعتقد بعض الناس، وغير ذلك المفاهيم الخاطئة التى استقرت فى اذهان البشر قروناً عديدة.

وتعد نتائج الكشوف الجغرافية فى أفريقيا المدارية مثالاً واضحاً على ما ستهدفه باقى أقاليم العالم التى اكتشفها الأوربيون فى العصر الحديث، غير أن افريقيا تتميز بنتائج خاصة لعل من أبرزها أنها كانت مجال تجارة الرقيق، وقد ترتب على الكشوف الجغرافية وضع حد لهذه التجارة فى البشر، وجاء ذلك نتيجة لضغوط متواصلة من أنصار الحرية فى أوربا على الساسة وصناع القرار لوقف هذه التجارة البشرية، وفى الوقت الذى حرمت فيها تجارة الرقيق فقد وضعت النواة الأولى للاستعمار وبسط النفوذ السياسى على المناطق المكتشفة فى القارة.

وقد أدى التقسيم السياسى لأفريقيا المدارية إلى تفتتها إلى عدد كبير من الوحدات السياسية يربو على أى عدد فى أية قارة أخرى، فقد بلغ عدد الوحدات السياسية فى القارة ٥٢ وحدة تعددت الدول التى سيطرت على كل منها، ورغم أنهادول مستقلة الآن فإنها على ارتباط قوى اقتصادياً وثقافياً وسياسياً مع الدول التى كان تستعمرها من قبل.

والواقع ان أبرز نتائج الكشوف الجغرافية فى افريقيا ثم السيطرة السياسية عليها بعد ذلك هو ذلك الأثر الثقافى العميق فى نظم التعليم واللغة حتى إن القارة أصبحت تتحدث عديداً من اللغات الأوربية كالانجليزية والفرنسية والبرتغالية والأسبانية، فالنطاق الغربى من القارة سيتحدث الفرنسية، مع جزء منفصلة تتحدث الانجليزية والأسبانية والبرتغالية، على حين يتحدث

النطاق الجنوبى والشرقى بالانجليزية إلى جانب مناطق تتحدث البرتغالية والفرنسية، واقتصرت المناطق التى ظل سكانها يتكلمون لغتهم الأصلية المكتوبة على النطاق الشمالى الذى يتحدث العربية، وهى اللغة التى وفدت من جنوب غرب آسيا مع الإسلام، كما يتحدث الأحباش باللغة الأقهرية، والصوماليون بالسواحليلية.

وإضافة إلى وفود لغات أوربية على أفريقيا بعد حركة الكشوف الجغرافية العظمى فقد اعتنقت شعوب القارة جنوب الصحراء الديانة المسيحية بمذاهبها الرئيسية – الارثوزكسية والكاثوليكية والبروتستانية – السائدة فى أوربا، وكان ذلك نتاجا لجهود بعثات التبشير التى نشطت – ومازالت – فى المناطق التى شهدت استعماراً أوربياً فى القرنين التاسع عشر والعشرين.

وقد أفادت افريقيا المدارية – وغيرالمدارية – من نتائج التقدم الطبى الذى احرزه الأوربيون فى العصر الحديث، وقد تمثل زمان فى الثورة الطبية الأوربية التى تمثلت فى اكتشاف الامصال والأودية لمقاومة الأمراض الشاهقة فى العالم وفى المناطق الحارة، وخاصة الأمراض التى تسببها الحشرات وتنتشر فى البنيات المدارية كالملاريا والحمى الصفراء والطاعون ومرض النوم، وقد نشطت مراكز البحوق الأوربية فى دراسة أسباب هذه الأمراض وطرق الوقاية منها وأساليب العلاج المناسبة، وترتب على ذلك هبوط معدلات الوفيات بعامة ووفيات الأطفال على وجه الخصوص، فبعد أن كان أكثر من نصف عدد المواليد يموتون سنوياً فى المراحل المبكرة للاستعمار الأوربى تناقص هذاالمعدل إلى أقل من ذلك بكثير مما تترتب عليه تزياد فى عدد السكان بشكل واضح – وبعد أن كان معدل النمو السكانى ضئيلاً بسبب زيادة الوفيات – فقد تزايد هذا المعدل بعد انخفاضها على درجة أن السكان أصبحوا نبضاً فى عددهم كل ربع قرن تقريباً.

أما الجانب الاخر للتأثيرالأوربى فى أفريقيا فهو استغلال ثرواتها الاقتصادية إلى درجة كبيرة، فقد اعتمدت كثير من الصناعات البريطانية والفرنسية على الخامات الأفريقية كالقطن والكاكاو والفول السودانى وزيت النخيل والمطاط كما استغلت الشركات الأوربية بعض مواد الثورة المعدنية على نطاق واسع خاصة النحاس والذهب والبترول. ومازالت هذه الموارد مصدراً لكثير من المنازعات السياسية حتى الآن بسبب استمرار التكالب عليها من قبل الاستثمارات الأوربية.

وإضافة إلى ما سبق فقد نتج عن الكشوف الجغرافية واستعمار القارات الجديدة والمناطق المكتشفة تبادل سكانى على نطاق كبير تمثل فى هجرات قسرية وطوعية خرجتا من أفريقيا إلى العالم الجديد، ورغم مثال هذه الحركات السكانية فإنهاكانت - ومازالت - رمزاً على اختلاط الشعوب والتبادل الحضارى والثقافى - بل وظهور مجتمعات مختلطة لم تعرفها البشرية من قبل مثل المستنيرو والمولاتو والزامبوس.

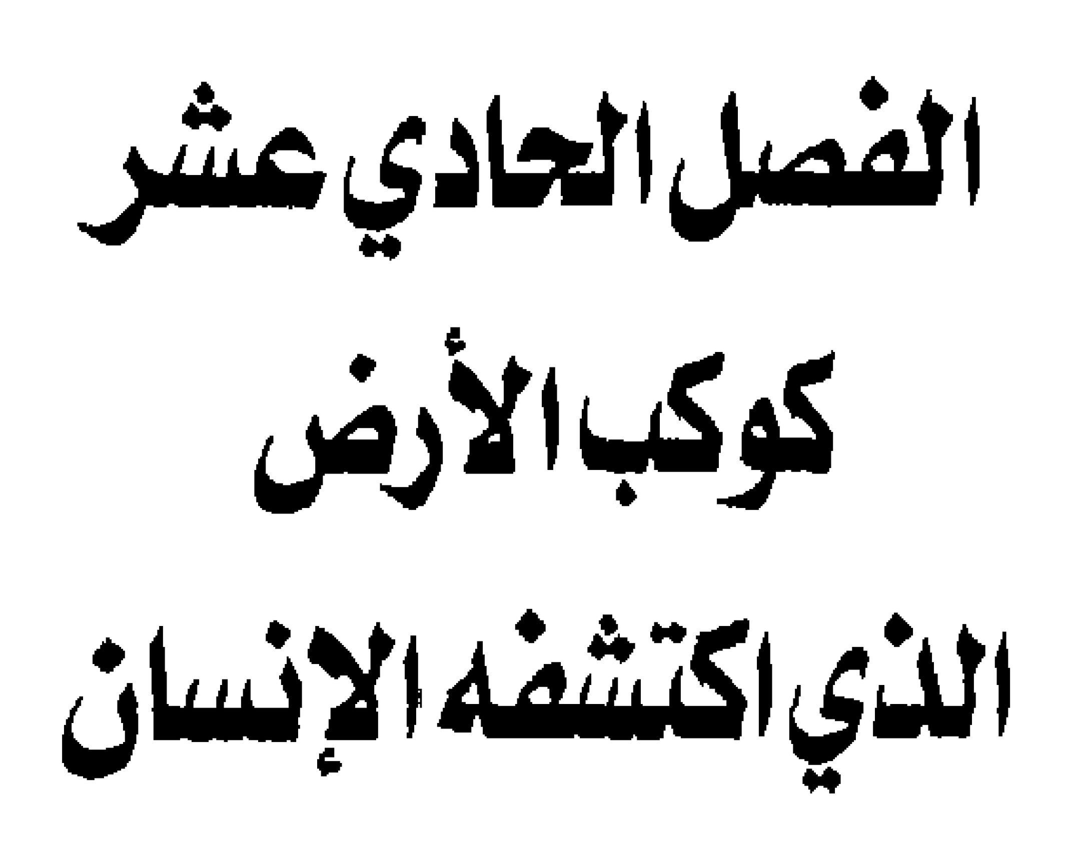
خاتمة:

تعددت الدوافع التى اسهمت فى حركة الكشوف الجغرافية على مر العصور، وليس من السهل أن نفصل بين العوامل المختلفة التى دفعت بالدول والمكتشفين على ارتياد المجهول، فإذاكانت المعرفة وحب الاستطلاع دافعاً مبكراً، فإن العوامل الدينية والاقتصادية والسياسية كانت وراء حركة الكشوف العظمى التى شهدها العالم منذ أوائل القرن السادس عشر، ويضاف إلى ذلك فإن العلم Science - فى حد ذاته كان دافعاً رئيسياً - كامناً وراء كل الدوافع الأخرى، ولعل أبرز أمثلة الدافع العلمى هى كشوف القطبين والاصقاع القطبية بعامة.

ومع ذلك تبقى المستكشفون رواداً عظاماً فى سجل البشرية، وتميزوا فى

معظمهم بروح المغامرة والشجاعة التى أفادت العلم بعد ذلك، ومنهم من تدين له الدراسات الجغرافية بدرجة كبيرة خاصة فى جنوب افريقيا، ويأتى فى مقدمتهم دافيد لفنجستون الذى كان هو الشخص الوحيد الذى أدرك دور التضاريس والمناخ فى كشف افريقيا المدارية، كيف أنها أدت إلى تآخر كشف كثير من المناطق كما حدث فى جزر الهند الشرقية واستراليا، ولعل فى غابات الامازون وهضاب وسط آسيا وصحارى شمال افريقيا خير دليل على ذلك، إضافة إلى العواصف والأعاصير التى حالت دون اتمام رحلات كثيرة، ومع ذلك فقد تمكن الفايكنج مثلاً أن يعبروا المحيط الأطلنطى ووصلوا إلى العالم الجديد، ودانت الصحارى الكبرى للإنسان الذى اخترقها وتغلغل فيها وأماط اللثام عن كثير من أسرارها.

وقد أدت الكشوف الجغرافية الى نتائج مذهلة فى تطور علم الجغرافيا، فقد وسعت من دائرة المعرفة الجغرافية وأضافت للمعروف من العالم أربع قارات جديدة، وأدت إلى تطور كبير فى علم الخرائط وصححت كثيراً من المعلومات المتوارثة عن شكل الأرض والظاهرات الجغرافية المختلفة، كما أماطت اللثام عن أسرار كثير من الأقاليم وأسهمت فى دراسه كثير من الشعوب وحضارتها، وإذا كانت قد مهدت الطريق لحركة الاستعمار العالمى الحديث، فإنها أدت إلى أوربة العالم فى الواقع، حيث أضحى النفوذ الأوربى والثقافة الأوربية سائدة فى العالم الجديد وفى افريقيا المدارية، بل وفى باقى بقاع العالم، إضافة إلى ذلك فقد حفزت من التقدم العلمى فى مجال الطب والصحة العامة ومقاومة الامراض الوبائية والمستوطنة فى المناطق المدارية.



الفصل الحادي عشر
كوكب الأرض
الذي اكتشفه الإنسان

الفصل الحادي عشر
كوكب الأرض الذي اكتشفه الإنسان

١- مقدمة:

تطورت معرفة الإنسان بكوكب الأرض بعد مراحل الكشوف الجغرافية المبكرة والتى وصلت إلى نهايتها فى القرن العشرين، وكانت المعرفة البشرية بكوكب الأرض مرهونه بالمراحل الحضارية التى عاشها الإنسان، فالعالم المعروف بالنسبة للقدماء من الأغريق والرومان - كان يضم أوربا وجزءً بسيطا من آسيا وأفريقيا يحيط بها جميعاً محيط عالمى (هكذا تصور القدماء) يصعب اجتيازه، وأطلق عليه العرب بحر الظلمات - أو البحر المحيط.

ومع مرور الزمن، وكلما تسارعت قدرة الإنسان على الاستكشاف، ظهرت المفاجآت، فاليابس اكثر إتساعا وتمتد أوربا شمالاً، أما أفريقيا وآسيا، فقد اتضح أنهما أكبر مما كان متصوراً، والمحيط العالمى أصبح من الممكن أجتيازه، كما ظهر أن هناك سكانا فى الأجزاء المقابلة من الكرة الأرضية، ووجدت ثلاثة قارات جديدة يعيش فيها بشر، كما وجدت قارة سابعة يغطيها الجليد.

وعبر تاريخه الطويل - لم يكن الإنسان قانعاً بالاستقرار فى بيئته الأصلية، بل دفعته الظروف البيئية، وحب المغامرة والاستطلاع إلى هجرة أوطانه الأصلية، وقد حدثت أول هجرة بشرية واسعة النطاق من العالم القديم إلى العالم الجديد فى أثناء العصر الجليدى الأخير، أى منذ ١١٥٠٠ سنة تقريباً عندما أدى تنامى قمم القطب الجليدى إلى ضحالة مياه المحيطات فى المضايق الفاصلة بين القارتين بحيث أصبح السير ممكنا على أرض جافة تمتد من سيبريا إلى ألاسكا، ثم وصل الإنسان بعد ذلك إلى تييرا دلفويجو - الطرف الجنوبى لأمريكا الجنوبية، وقد قام المغامرون من اندونيسيا - قبل كولومبس بفترة طويلة باستكشاف الجانب الغربى من المحيط الهادى

بأستخدام الزوارق البدائية كما قام البعض من بورنيو بالاستقرار فى مدغشقر. أما المصريون والليبيون القدماء فقد أبحروا مطوفين حول أفريقيا، وبعد ذلك توالت الكشوف. فقد استطاعت السفن البحرية الأوربية، خلال الفترة الواقعة بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر من اكتشاف قارات جديدة (كانت جد يدة بالنسبة للأوربيين) وأبحرت مطوفة حول كوكب الأرض. وفى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تسابق المستكشفون والبحارة والمستوطنون الأمريكيون والروس غربا وشرقاً عبر قارتين ضخمتين متجهين نحو المحيط الهادى.

إن متعة الإستكشاف وتسخير الطبيعة ـ مهما كان طيش أصحابها ـ تتسم بقيمة حية جليه. إنها لا تقتصر على أمة واحدة أو جماعة عرقية بعينها ـ بل هذ موهبة طبيعية يشترك فيها أفراد الجنس البشرى جميعهم ويبدو فى أيامنا هذه ـ أنه لا يوجد مكان أو موقع فوق كوكب الأرض، لم يكتشف بعد[1].

٢ ـ صورة الأرض الحديثة من الفضاء:

لقد اجتهد البحارة والمستكشفون فى رسم سواحل القارات، وقام الجغرافيون بترجمة هذه النتائج إلى خرائط وكرات جغرافية، أما الصور الفوتوغرافية لمختلف البقاع الصغيرة لكوكب الأرض، فقد أمكن الحصول عليها فى بداية الأمر من خلال البالونات والمناطيد والطائرات، وبعدئذ عن طريق سفن الفضاء المدارية والتى أمدتنا بمنظور يماثل ذلك المنظور الذى يمكنك رؤيته إذا ما وجهت بصرك إلى كرة جغرافية كبيرة، وبرغم أننا تعلمنا أن الأرض كروية، وأننا جميعا ملتصقون بها ، بشكل ما، بفعل الجاذبية، فإننا لم نبدأ فى ادراك واقع حالنا بالفعل إلا بعد حصولنا على تلك الصورة الشهيرة لمجمل كوكب الأرض التى جلبتها سفينة الفضاء «أبوللو» ـ تلك الصورة التى ألتقطها رواد أبوللو فى آخر رحلة بشرية للقمر[2]. وتبدو فى

(١) كارل ساجان ـ كوكب الأرض: نقطة زرقاء باهته ـ ترجمة شهرت العالم ـ مراجعة حسيس بيومى ـ عالم المعرفة ـ ٢٥٤ ـ الكويت ـ ٢٠٠٠ ص ص ٩ ـ ١٠.

(٢) فى ديسمبر ١٩٧٢ ـ وكان سفينة الفضاء أبوللو ١٧.

هذه الصورة قارات العالم، فتظهر أنتاركتيكا فى موقع يعتبره الأمريكيون والأوربيون القاع، وفوقها تمتد كل أفريقيا، حيث يمكن مشاهدة اثيوبيا وتنزانيا وكينيا، وفى القمة على اليمين توجد المملكة العربية السعودية ـ وما يطلق على قمة الصورة يمكن بصعوبة رؤية البحر المتوسط، الذى نشأ حوله الكثير من حضارات الأرض، كما يمكن تمييز زرقة المحيط واللون الأحمر المائل للاصفرار للصحارى، واللون البنى المائل للاخضرار للغابات وأراضى الحشائش(١). (أنظر الصورة رقم ١).

وهكذا أماط الإنسان اللثام عن كوكب الأرض، بعد محاولات متعاقبة جيلاً بعد جيل لمعرفة المجهول، ورسم خرائطه، ومنذ بداية العصور التاريخية ـ وحتى أوائل القرن العشرين ظل الإنسان تدفعه المغامرة لمعرفة ما لا يعرفه ـ وتحقيق أمله فى توسيع دائرة المعرفة الجغرافية ـ ومازال السؤال التاريخى الذى ميز الإنسان ـ ساكن الأرض ـ قائماً وهو ـ ماذا وراء التلال؟. وإجابة هذا السؤال هى التى جعلت الإنسان يعرف أرضه ـ موطنه ويعرف توزيع اليابس والماء والجبال والأنهار والبحيرات، ويرسم خرائط تتفاوت دقتها حسب قدراته العلمية المتاحة فى كل عصر.

وهكذا عرف الإنسان أن الأرض إحدى كواكب المجموعة الشمسية التسعة، وثالثتهما من حيث البعد عن الشمس (بعد المريخ والزهرة)، وخامستها حجماً. وهى تبدو كرة غير تامة الاستدارة، وطول محيطها عند خط الاستواء ٤٠,٠٧٥ كيلو متراً، والمار بالقطبين ٤٠,٠٠٨ كيلو متراً ـ ومجموع مساحة سطح الكرة الأرضية. ٥١٠,٠٨٣,٠٠ كيلو مترا مربعاً منها:

- مساحة اليابس ١٤٨,٦٢٨,٠٠٠ كيلو مترا مربعا بنسبة ٢٩,٢ ٪.
- مساحة البحار والمحيطات ٣٦١,٤٥٥,٠٠٠ كيلو مترا مربعا بنسبة ٧٠,٨٪.

وقسمها الجغرافيون إلى ثلاثة أقسام مناخية كبرى هى :

- المناطق المدارية ومساحتها ٢٠٢,٥٠٥,٠٠٠ كيلو مترا مربعا بنسبة ٣٩,٧٪.

١) كارل ساجان ـ المرجع السابق ـ ص ١٩.

- المناطق المعتدلة وسماحتها ٢٦٥,٤١٨,٠٠٠ كيلو مترا مربعا بنسبة ٥٢,٠٪.

- المناطق القطبية ومساحتها ٤٢.١٦٠,٠٠٠ كيلو مترا مربعاً بنسبة ٨,٣٪.

وقد أدت الكشوف الجغرافية إلى تأكيد كروية الأرض، هذه الحقيقة التى أدركها القدماء منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وكان لهم فى ذلك أدلة تطورت بتطور العلم ذاته، ومن هذه الأدلة استدارة ظل الأرض على سطح القمر، واستدارة الأفق واتساعه تبعاً للارتفاع، وظهور أعالى الأشياء قبل أسافلها، واختفاء أسافلها قبل أعاليها، واختلاف الزمن فى الأقطار المختلفة، وكانت رحلة ماجلان المشهورة التى استغرقت عامين (١٥١٩ - ١٥٢١) وطاف خلالها حول الأرض - حاسمة فى تأكيد شكل الأرض الكروى. وبعد ذلك تطورت وسائل النقل البحرى، وظهرت الطائرات - التى استطاعت أن تقوم برحلات كاملة حول الأرض، مما أكد الحقيقة السابقة، ولم تعد هناك شكوك حول حقيقة كروية الأرض.

وجاء عصر ارتياد الفضاء الذى بدأ منذ سنة ١٩٥٩ عندما تمكن العلماء من اطلاق سفن فضاء تخترق الغلاف المحيط بالأرض وتتحرر من جاذبيتها نحو أبعاد عظيمة خارج الغلاف الجوى المحيط بالأرض، ومن هذا الارتفاع الشاهق دارت سفن الفضاء حول الأرض مئات المرات وشاهدها رواد الفضاء وسجلوا لها آلاف الصور، والتى أظهرت كلها أن الأرض كروية الشكل، بل ويراها الرواد من بعيد مضيئة كما يبدو القمر لنا، وذلك نتيجة لإنعكاس أشعة الشمس على سطحها.

والواقع أن الأرض ليست كرة هندسية تماماً، حيث أن هناك اختلافات بين أبعادها، فقد ظهر أن القطر الاستوائى radius أطول من القطر القطبى بنحو ٤٣,٥ كيلو متر، إذ يبلغ القطر الاستوائى ١٢٦٨٣,٥ كيلو متراً، والقطر القطبى ١٢٦٤٠ كيلو مترا، أى أن شكل الأرض مفرطح عند القطبين ومنبعج عند خط الاستواء، أما محيط الأرض Circum ference ، فإنه يزيد نوعاً فى دائرة خط الاستواء عن المحيط المار بالقطبين فالمحيط الاستوائى يبلغ طوله

٤٠٠٧٦ كم، والمحيط القطبى نحو ٤٠٠٠٧ ، والمسافة بين اى من القطبين وخط الإستواء نحو ١٠,٠٠٠ كيلو متراً.

٣ـ القارة القطبية الجنوبية (القارة البيضاء) :

هى القارة السابعة فى سلسلة قارات العالم السبع، تسمى أنتاركتيكا Antarctica، ويكسوها الجليد ـ ولذا سميت بالقارة البيضاء، وكان الغموض يكتنفها حتى كشف الرحالة والمستشكفون والعلماء ـ النقاب عنها تدريجيا، وتوالت الدراسات عنها حتى أصبحت محط أنظار العالم كله خاصة بعد الحديث عن طبقة الأزون وتآكلها، وتأثير ذلك على حرارة الأرض وذوبان الجليد.

والقارة القطبية الجنوبية ـ رغم ذلك ـ لا تحظى باهتمام الجغرافيين ـ ربما لأنها غير مسكونة، ولأن الجغرافيا وهى دراسة العلاقات بين الإنسان وبيئته، لا نجد مجالاً لتلك الدراسة فى تلك القارة، ورغم أن ذلك صحيح، فإن دراستها للجغرافيين أصبحت هامة لاعتبارات عديدة لعل من أبرزها أن العالم كله يتأثر بتلك القارة ودرورها فى مياهه ومناخه، كما أنها تمثل فى الواقع مستودعا طبيعيا لموارد هائلة لم يكشف عنها النقاب بعد.

والقارة القطبية الجنوبية أصبحت معروفة المعالم فى الوقت الحاضر، وتحظى باهتمام علمى بين الدول التى سيطرت على قطاعات فيها وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبريطانيا وفرنسا واستراليا، وتشترك معها دول أخرى مثل نيوزيلنده والنرويج واليابان والأرجنتين وشيلى وبلجيكا وأسبانيا، وتوفد كلها علماء الى هذه القارة للدراسة والبحث لفائدة الانسانية والعلم، وقد شيدت القواعد والمحطات العلمية فى أنحاء متفرقة من القارة بفضل تقدم العلم واستخدام التكنولوجيا الحديثة.

وسبق القول أن تاريخ كشف هذه القارة يسجل بطولة الرحالة والرواد وقوة تحملهم للشدائد والصعوبات، وهو تاريخ ملئ بالمخاطر والأهوال والمفاجآت، وقد توغل بعضهم فى مجاهل القارة، وتعاونوا فى النهاية فى رسم خريطة لها وكشفوا كثيراً من أسرارها، ولكن فى النهاية كانت القارة،

ومازال - مجالاً للمنافسة الدولية بين الدول المتقدمة - بل وبعض الدول النامية، مثل شيلى والأرجنتين والهند، وذلك لإنشاء قواعد ومحطات والتسابق فى ادعاء ملكية قطاعات منها أملاً فى تحقيق مكاسب اقتصادية واستراتيجية فى المستقبل.

والقارة القطبية كبيرة المساحة حيث تصل إلى ١٣،٢ مليون كيلو متراً مربعاً، وتكاد تعادل فى مساحتها نصف مساحة أمريكا، غير أنها مستديرة الشكل تقريباً، ويصل طول قطرها من المحيط إلى المحيط نحو ٤٨٠٠ كيلو متراً، وتحيط بها المحيطات فى أقصى الجنوب، حيث تلتقى الأجزاء الجنوبية من المحيط الهادى والمحيط الأطلسى والمحيط الهندى مكونة محيطا مائيا هائلاً يعرف بالمحيط الجنوبى، ويتوسط هذه القارة القطب الجنوبى، ويواجهة فى الشمال القطب الشمالى فى المحيط المتجمد الشمالى.

ويكاد خط طول جرينتش (١٨٠ْ درجة) يقسم القارة القطبية الجنوبية إلى قسمين غير متساويين، فالقسم الشرقى أكبر مساحة من القسم الغربى، وللقسم الشرقى ساحل مستدير الشكل يطل على المحيط الهندى، والقسم الغربى تتوسطة تقريبا شبه جزيرة ممتدة على شكل قرن فى اتجاه الطرف الجنوبى لأمريكا الجنوبية والتى يسميها الانجليز جراهام لاند Graham Land، ويسميها الأمريكان شبه جزيرة بالمير Palmer، وهى تتصل بين سواحل القارة المطلة على المحيط الأطلسى فى شرقها وسواحلها المطلة على المحيط الهادى فى الغرب.

وسبق القول أن القارة القطبية الجنوبية يطلق عليها «القارة البيضاء» الجليد يغطيها بأكملها، وهو يؤلف طبقات عظيمة السمك يتراوح سمكها بين الفين وثلاثة آلاف متر، وبمتوسط يصل إلى ألفين وخمسمائة متر. ويمتد الجليد فى مساحات شاسعة وعلى وتيرة واحدة - كبحر واسع من الجليد، أو كصحراء جليدية شاسعة المساحة والاتساع.

ويكون الجليد الذى يكسو القارة أكبر الغطاءات الجليدية فى العالم، وهو يقدر بنحو ٩٠ ٪ من الجليد الذى يوجد على سطح الأرض، ولذلك سميت هذه

القارة (ثلاجة العالم). وله أثر كبير فى مناخ العالم ومستوى مياه البحار والمحيطات وكذلك فى التيارات البحرية، كما أن احتمال تراكم هذا الجليد أو ذوبانه، وتقدمه أو انحساره له أهمية كبرى للانسانية كلها، ويقول العلماء أنه لو ذاب هذا الجليد لأرتفع مستوى مياه المحيطات ٦٠ مترا (ستون مترا) ولغرقت جميع موانى العالم(١).

وقد أثبتت الدراسات أنه من بين جملة مساحة القارة التى تبلغ ١٣,٢ مليون كيلو متر مربع، نحو مليونى كيلو متر مربع من الجليد يمتد إلى ما بعد أطراف القاعدة الصخرية لأرض القارة، وهو عبارة عن أرصفة جليدية تتجاوز أطراف القارة إلى ما وراء الساحل نحو المحيط، وفى الشتاء الطويل تتجمد البحار المحيطة بالقارة الجنوبية لمسافة مئات الكيلومترات حول سواحلها، وفى الصيف ينكسر هذا الجليد ويتحرك شمالاً ببطء ويطفو بمسافات بعيده فى المحيط الجنوبى، فتنكشف أجزاء من سواحل القارة، وتعرف كتل الجليد الطافية باسم (Pack-ice) وقد تصل فى انتشارها إلى دائرة عرض ٦٠° جنوباً.

والظروف المناخية لأنتاركتيكا ليس لها مثيل فى أى اقليم جغرافى آخر فى العالم، فهى أبرد جهات العالم وأكثرها رياحا، وهى أشد برودة من المناطق القطبية الشمالية، فقد تنخفض درجة الحرارة إلى ٧٠° مئوية تحت الصفر، وقد تبلغ سرعة الرياح القطبية العاتية التى تكتسح سطح القارة ١٦٠ كيلو مترا فى الساعة، وهى سرعة لا نظير لها فى أى أقليم آخر فى العالم.

ونظراً لوقوع معظم القارة الجنوبية داخل الدائرة القطبية الجنوبية، فإن الشمس لا ترى فى أى جزء منها لمدة ستة شهور، وهى أشهر الشتاء، وحينئذ تغمر الظلمة القارة البيضاء، وفى الستة شهور الأخرى تدور الشمس بميل شديد قرب الأفق دون أن تغرب، ولا يتعدى ارتفاع زاوية الشمس فوق الأفق ٢٣,٥° عند الدائرة القطبية الجنوبية فى ٢٣ ديسمبر، وتقل زاوية الميل

---

(١) نجيب يوسف بدوى - القارة القطبية الجنوبية - وزارة التعليم العالى - الادارة العامة للثقافة، مشروع الألف كتاب - ٤٠٤ - القاهرة - ١٩٦٢ - ص ص ١٦ - ١٩.

تدريجياً كلما اتجهنا نحو القطب الجنوبى، وكلما تناقصت زاوية الميل كان ذلك ايذانا بقرب حلول فصل الشتاء.

وفصل الصيف فى القارة القطبية نهار طويل متصل تظهر فيه الشمس بصفة دائمة، أى لا تشرق - ولا تغرب - كما هى الحال عندنا. بل تدور فوق الأفق فى الصباح ووقت الظهر وفى منتصف الليل، لا تغيب طوال أشهر الصيف، أما فى أشهر الشتاء فتختفى الشمس وراء الأفق، ويسود الليل القطبى الطويل[1].

ويلح على الخاطر سؤال هام هو كيف يمكن للإنسان أن يعيش فى هذه الظروف المناخية القاسية ؟.

الواقع أنه لم يذهب من البشر إلى القارة القطبية الجنوبية سوى الرواد والعلماء، ويذكرون أن الجو هناك رغم برودته الشديدة صحى وخال من التلوث والبكتيريا، ولذلك فهم لا يشكون من الأمراض التى تنقلها الميكروبات، ولا يصابون بالبرد أو الزكام مع وجودهم فى وسط الجليد. وإن كان هذا الجو - طبعا - يتطلب الملابس السميكة المكسوة بالجلد حتى لا ينفذ إليها الهواء البارد، ولابد أن تغطى الجسم كله حتى لا تتجمد الأطراف، وإذا وصلت البرودة إلى ٦٥° م تحت الصفر صار التنفس صعبا ومؤلما وأصبح من الضرورى ارتداء أقنعة أو أجهزة خاصة بالتنفس.

وقد سبق القول أن القارة أن القطبية الجنوبية ذات أثر كبير فى أحوال مناخ العالم، لذلك عنيت الدول المختلفة بإنشاء القواعد العلمية ومحطات الأرصاد الجوية فى القارة وأقامت فيها المساكن الخشبية التى تضاء بالكهرباء والتى تتوفر فيها وسائل الراحة والتدفئة وزودت بالمعدات الحديثة والأجهزة العلمية وآلات الرصف، وأوفدت بعض العلماء للدراسة والبحث العلمى، المعلومات عن طريق أجهزة الاتصال الحديثة لتحديد صورة متكاملة عن أحوال مناخ القارة.

---

(١) المرجع السابق - ص ص ٤٣ - ٤٤.

٤ ـ الجغرافيا السياسية للقارة القطبية الجنوبية :

يذكرنا الصراع الدولى للسيطرة على أنتاركتيكا، بقصة الصراع الأوربى على السيطرة على أفريقيا فى نهاية القرن التاسع عشر، فقد كانت القوى الأوربية تسارع فى السيطرة وبسط النفوذ ورفع علمها القومى فوق الأراضى التى تدعى ملكيتها والسيطرة عليها ـ ومع الفارق الكبير فى جغرافية القارتين، فقد كان الدافع الرئيسى للسيطرة على قطاعات من القارة القطبية الجنوبية هو نهم العالم من أجل الحصول على مواردها وثرواتها الطبيعية خاصة البترول والغاز الطبيعى.

ويحمى القطب الجنوبى معاهدة دولية اشتركت فيها ١٢ دولة سنة ١٩٥٩ وعدلتها سنة ١٩٦١، ولكن رغم ذلك فإن مستقبل القارة القطبية الجنوبية غامض سياسيا، ومن المحتمل نشوب خلافات جذرية دولية كبيرة فى المستقبل.

والدول التى تدعى ـ حتى الآن ـ وجود حقوق لها فى منطقة القطب الجنوبى هى: الأرجنتين، واستراليا، وشيلى، وفرنسا، وبريطانيا، ونيوزيلنده، والنرويج، وانضمت لهم الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، واليابان، وبلجيكا وجنوب أفريقيا بل والبرازيل وبولنده والدنمرك وهولنده ورومانيا(!!)

وقد جاء فى نصوص المعاهدة أنه بإمكان الدولة التى وقعت هذه المعاهدة حتى ١٩٩١ ـ التنقيب واجراء البحوث فى القطب الجنوبى، إلا أن الخبراء لا يعتقدون بأن الأمور ستسير بهذه السهوله حيث أن ذلك يعتمد فى المقام الأول على المقدرة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية ـ بل والعسكرية ـ لكل دولة مما سيؤدى إلى خلافات مستقبلية عميقة الجذور.

والمتطلع إلى خريطة القارة القطبية الجنوبية اليوم يلاحظ أنها أصبحت مقسمة إلى قطاعات طولية غير متساوية تتبع الدول التى بادرت بالسيطرة عليها مبكراً وهى بريطانيا، وفرنسا واستراليا ونيوزيلنده والأرجنتين وشيلى والنرويج، وهذه القطاعات محدودة بخطوط الطول تدعى هذه الدول تبعيتها لها، وتبدو فى معظمها على شكل مثلثات تلتقى رؤوسها فى نقطة القطب

وتتسع قواعدها عند سواحل القارة المستديرة (شكل رقم: ٢-١) . وهذه القطاعات لم تنظمها الأتفاقات الدولية، الأمر الذى أدى إلى وجود بعض القطاعات تتنازع عليها أكثر من دولة، وتدعى كل منها الحق فى امتلاكها.

وتعد هذه القطاعات ـ نموذجا صارخاً للحدود السياسية الصناعية التى لا تستند إلى أى أساس جغرافى أو طبيعى، ولا يبررها سوى المطامع والرغبات فى الاستحواذ والتملك[1].

وقد بنت كل دولة ادعاءها فى ملكية جزء من القارة على أساس أسبقيتها فى الوصول إلى هذا الجزء، أو على أساس أنها أقامت فيه قواعد شبه دائمة، وكثير من هذه الادعاءات تتعارض مع بعضها البعض مما يسبب نزاعات بين هذه الدول، ولم يلق واحد من هذه الادعاءات اعترافا اجماعيا من باقى الدول[2].

وقد استندت بعض الدول فى امتلاك قطاعات من هذه القارة على حق الدولة فى امتلاك الساحل المواجه لها، مثلما فعلت استراليا، ونيوزيلنده، والأرجنتين وشيلى. أما المملكة المتحدة والنرويج والولايات المتحدة فقد استندت على مبدأ السبق فى الكشف أو الاشتراك فيه.

وفى أول ديسمبر ١٩٥٩ وقعت الدول اتفاق التعاون السلمى للبحث العلمى وعدم وجود أية قواعد عسكرية على أرض انتاركتيكا، وقد بدأ تنفذها فى ٢٣ يونيه ١٩٦١، ومع ذلك فقد أدعت بعض الدول ملكيتها لقطاعات فى القارة ـ فيما وراء دائرة عرض ٦٠° جنوباً، وهذه الدول هى :

١ ـ استراليا : يمتد قطاعها من خط طول ٤٥° إلى ١٣٦° شرقا، وكذلك بين ١٤٢ آلى ١٦٠° شرقا، وتبلغ مساحة هذا القطاع نحو ٦,٤ مليون كم٢ (بما فى ذلك جزر Macquaile و Heard و Mc Donald .

٢ ـ بريطانيا : ويمتد قطاعها بين خط طول ٢٠° ـ ٨٠° غربا وذلك منذ سنة

---

(١) نجيب يوسف بدوى ـ القارة القطبية الجنوبية ـ وزارة التعليم العالى ـ الادارة العامة للثقافة، مشروع الألف كتاب ـ ٤٠٤ ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ ـ ص ص ١٦ ـ ١٩.

(١) المرجع السابق ـ ص ص ٤٣ ـ ٤٤.

١٩٦٢، وبمساحة بلغت نحو ٣٨٨٥٠٠ كم٢ ، وقد اعتبرتها مستعمرة تشمل أيضا جزر Orkney وسوث شتلند Sonn Shet-land و وجراهام لاند، وقد نازعتها كل من الأرجنتين فى الجزء الواقع بين خطى ٢٥° و ٧٤° غربا، وشيلى فى الجزء الواقع من ٥٣° ـ ٩٠° غربا. بل وأقامتا محطات فى هذين الجزئين المتنازع عليهما.

٣ ـ فرنسا : واعلنتها مقاطعة فيما وراء البحار منذ ١٩٥٥/٨/٦ وتبلغ مساحة الأراضى الخاضعة لفرنسا ٣٩٥,٥٠٠ كم٢ تقريباً.

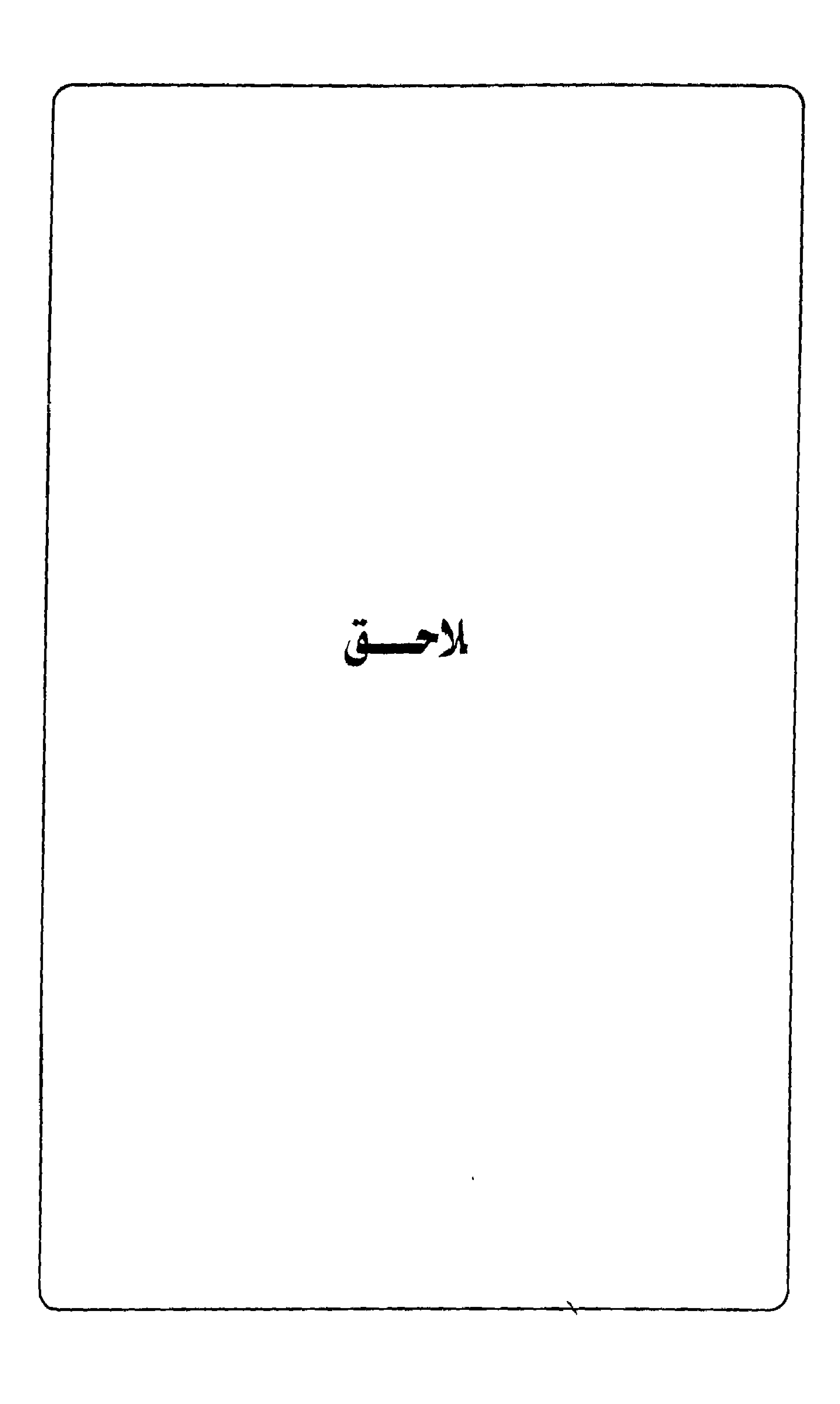
٤ ـ النرويج : وتقع أراضيها فيما بين خطى طول ٢٠° غربا ، ٤٥° غربا. وتعرف باسم Queen Maud Land .

٥ ـ نيوزيلندة : بين ١٦٠° شرقا و ١٥٠° غربا بمساحة تقدر بنحو ٤٥٣٠٠٠ كم٢ .

٦ ـ جنوب أفريقيا: جزيرة برنس ادوارد وجزيرة ماريون Marion ومساحتها ٢٥٥ كم٢ . وقد احتلتها جنوب أفريقيا سنة ١٩٤٧ .

٧ ـ الولايات المتحدة: ويقع قطاعها بين خطى طول ٨٠° و ١٥٠° غربا وقد أقامت فيه العديد من محطات البحوث بل ومحطة طاقة نووية ـ ومن هذه المحطات المحطة المشهورة Amundsen - Scott المقامة عند القطب الجنوبى تماماً.

٨ ـ روسيا : لها سبع محطات علمية ثابتة وقواعد بحثية فى انتاركتيكا وأكبرها مرنى Mirnyi فى الساحل الشرقى للقارة ـ وقد أقامت هذه المحطات فى القسم الذى تدعى استراليا بتعيته لها.



ملاحق

جدول (١) موجز تاريخ كشف أفريقيا

أولاً: فيما قبل الميلاد:

١٤٨٠ قبل الميلاد بعثة الملكة حتشبسوت إلى بلاد بنت

٦٠٠ ق.م. بعثة الملك نخاو للدوران حول أفريقيا

٤٧٠ ق.م. رحلة الملاح القرطاجى هانو Hanno إلى ساحل غرب أفريقيا

٤٥٠ ق.م. رحلة المؤرخ الاغريقى هيرودوت إلى مصر وقرطاجية

٢٢ ق.م. بترونيوس الرومانى يصل إلى نباتاً عاصمة كوش (النوبة)

ثانياً: في العصر العربي الإسلامي:

٩٤٧ م. الرحالة العربى المسعودى يزور مصر وشمال افريقيا وشرق افريقيا حتى مدغشقر (؟).

١١٥٠ م. الجغرافى العربى الادريسى يرتحل فى مراكش والسودان.

١٣٢٥ م. ابن بطوطة فى مصر والساحل الشرقى لافريقيا

١٣٤٢ م. ابن بطوطه يرتحل فى الصحراء الكبرى إلى السنغال وتمبكتو

ثالثاً: في العصور الوسطي الأوربية:

١٤١٦ م. بعثات هنرى الملاح على طول ساحل افريقيا الغربى إلى ريودورو

١٤٤١ م. البرتغاليون يكتشفون الرأس الأبيض (جنوب ريودورو)

١٤٦٩ م. فرناو دو بو Fernaò do Poo يكتشف جزيرة فرناندو بو

١٤٨٢ م. دييجو كاو Diego Cao يكتشف فى رحلته الأولى مصب الكنغو.

١٤٨٨ م. بارتاميو دياز Bartholomeu يكتشف خلال عاصفة بحرية انه يدور حول افريقيا بعد اجتيازه رأس العواصف (حالياً رأس الرجاء الصالح) ويضطر للعودة إلى البرتغال بعد تمرد البحارة.

١٤٩٧ م. فاسكو دا جاما Vasco da Gama يدور حول افريقيا فى يوم ٢٢ - ١١ - ١٤٩٧ ويرسو على شاطئ ناتال فى ٢٥ - ١٢ - ١٤٩٧.

١٤٩٨ م. فاسكو دا جاما يصل خليج دلاجوا فى ١٠ يناير وميناء مالندى فى ٢٤ ابريل ومنها يبحر (بواسطة المعرفة البحرية العربية) إلى

كاليكوت في الهند فيصلها في ٢٠ مايو من السنة نفسها ويعود إلى مالندى فى ٧ يناير ١٤٩٩ ورأس الرجاء الصالح فى ٢٠ فبراير.

رابعاً: مرحلة الكشوف العظمي في العصر الحديث:

• أولاً: غرب ووسط افريقيا:

١٧٩٥ - ١٧٩٧	مونجلو بارك Mungo Park يقوم بأول رحله له من نهر الجامبيا إلى نهر النيجر عند مدينة سيجو ويعود بالطريق نفسه ومؤكداً بذلك انفصال النهرين عن بعضهما.
١٨٠٥ - ١٨٠٦	رحلة مونجو بارك الثانية من جزيرة جورى (ذكار) عبر سنجامبيا إلى النيجر (عند باماكو) وسار مع النهر فى اتجاه المصب والراجح انه غرق فى النهر قرب بوسا عام ١٨٠٦.
١٨٤٩ - ١٨٥٦	أولى رحلات ديفيد لفنجستون D. Livingstone فى داخل افريقيا. اكتشف بحيرة نجامى فى ١ - ٨ - ١٨٤٩ وفي ١٨٥١ وصل إلى الزمبيزى الأعلى ومنه إلى أعالى نهر كساى ثم عاد
١٨٥٩ - ١٨٦٤	إلى لواندا فى ١٨٥٤ ومن هناك اتجه الى الساحل الشرقى واكتشف فى نوفمبر ١٨٥٥ مساقط فكتوريا على الزمبيزى ثم إلى كليميان في موزمبيق.
١٨٥٩ - ١٨٦٤	لفنجستون يصعد الزمبيرى فى سفينة ويكتشف نهر شيرى وبحيرة نياسا ويقوم بارتياد منطقة جنوب وغرب البحيرة ومنطقة نهر روفوما.
١٨٦٦ - ١٨٧٣	لفنجستون يبدأ من زنجبار إلى نهر روفوما ثم بحيرة نياسا ثم الساحل الجنوبى لبحيرة تنجانيقا (١٨٦٧) ثم بحيرة مويرو ونهر لوابولا (أعالى الكنغو) وفى ١٦٨٦ اكتشف بحيرة بنجويلو. فى ١٨٦٩ عاد إلى أوجيجى على بحيرة تنجانيقا ثم عبر البحيرة واكتشف عام ١٨٧١ نهر لوالابا (الكنغو الأعلى) وعاد فى نفس السنة إلى اوجيجى حيث قابل ستانلى فى اكتوبر. وفى مارس ١٨٧٢ عاد ستانلى إلى الساحل الشرقى ورحل لفنجستون إلى بحيرة بنجلويلو حيث مات فى ١ - ٥ - ١٨٧٣.

١٨٧٣ – ١٨٧٥	كاميرون Verncy L. Cameron يبدأ رحلة البحث عن لفنجستون من باجاموجو فى شرق افريقيا. التقى بمعاونى لفنجستون فى شهر اغسطس حيث حملوا نبأ وفاته إلى الساحل. يواصل كاميرون رحلته إلى بحيرة تنجانيقا ويكتشف نهر لوكوجا ويخترق الكنغو ويصل إلى بنجويلا فى ١٨٧٥ وبذلك يكون أول من اخترق افريقيا من الشرق إلى الغرب.
١٨٧٤ – ١٨٧٧	ستانلى يبدأ من باجاموجو رحلته إلى داخل افريقيا. يصل فكتوريا ١٨٧٥ ويدور حول سواحلها فى سفينة ثم يكتشف جبل رونزورى وبحيرة ادوارد ومن ١٨٥١ يدور حول سواحل بحيرة تنجانيقا كلها (٥١ يوما) ثم يستمر غرباً إلى نهر الكنغو ويسير إلى المصب فى بعثة مكونة من ١٨ قارباً ويصل المصب.
١٨٧٥ – ١٨٧٨	برازار de Brazza يكتشف منطقة نهر اوجوى ويؤكد انفصاله عن نظام جوض الكنغو.
١٨٨٩ – ١٨٨٠	برازا يبدأ من فرانسفيل فى ساحل جابون إلى ستانلى بول وينشئ مدينة برازافيل على الكنغو.
١٨٨٢ – ١٨٨٠	بوجى وفون فيسمان Von Wissman يبدآن من لواندا إلى كساى ثم نيانجوى على الكنغو. فيسمان يبدأ مننيانجوى عبر بحيرة تنجانيقا ويصل إلى الساحل الشرقى لافريقيا وبذلك يكون أول من يخترق القارة من الغرب إلى الشرق.
١٨٨٤ – ١٨٨٦	فون فيسمان، فون فرنسوا Von Francois ، فولف Wolf يقومون من انجولا إلى كساى ولولوا وينشئون مدينة لولوابورج ويسيرون مع كساى والكنغو إلى ستانلى بول.
١٨٨٦ – ١٨٨٧	فون فيسمان وفولف من بنانا إلى كساى ولولوا بورج ثم مع مارينل Le Marinel إلى نهر زانكورو ونهر لومامى حتى نيانجوى ثم عبر بحيرة تنجانيقا إلى بحيرة نياسا ونهر شيرى ثم الزمبيرى حتى المصب.
١٨٨٧ – ١٨٨٩	ستانلى على رأس ٦٢٠ رجلاً يبدأ من منصب الكنغو رحلة انقاذ أمين باشا (ادوارد شنيتزر) حيث قابله على بحيرة البرت وعاد إلى شرق افريقيا

١٨٩٠ - ١٨٩١	أمين باشا والعالم الانتروبولوجى ستولمان Stuhlmann يقومان من باجاموجو إلى بحيرة فكتوريا والبرت.
١٨٩٣ - ١٨٩٣	أوسكار باومان O. Baumann يبدأ من تانجا عبر بلاد الماساى ويكتشف بحيرة اياسى ونهر كاجيرا حتى المنبع ثم رواندا وبحيرة تنجانيقا ثم الساحل الشرقى.

ثانياً: افريقيا جنوب الزمبيزي:

١٧٩١ - ١٧٩٢	ادوارد فون رينن E. von Reenen يبدأ من كيب تاون شمالاً عبر الاورنج إلى منطقة وندهوك الحالية ويسجل اول معلومات عن قبائل الهريرو Herero والبرجداما.
١٨١٢	جون كامبل J. Campbell يكتشف منابع نهر المبوبو.
١٨٧٧ - ١٨٧٩	سربا بنتو Serpa Pinto يبدأ من بنجويلا عبر هضبة بيهى إلى الزمبيزى الأعلى وعبر شلالات فكتوريا إلى شرق بتشوانا ثم إلى بريتوريا والساحل الشرقى.
١٨٨٦ - ١٨٨٧	هانز ماير H. Meyer يقوم من كيبتاون إلى كمبرلى والترنسفال وموزمبيق وزنجبار ويتسلق جبل كليمانجارو (١٨٨٩).
١٨٩٢ - ١٨٩٤	جوتيه E. Gautier يقوم باكتشافات فى شمال وغرب مدغشقر.
١٩٠٥ - ١٩٠٦	هاردنج C. Harding يكتشف منابع الزمبيزى.

ثالثاً: منابع النيل:

١٧٦٩ - ١٧٧٢	رحلة جيمس بروس J. Bruce من مصوع إلى جندار وكشف بحيرة تانا ثم يعود عن طريق مصر.
١٧٩٣ - ١٧٩٦	رحلة W. G. Browne إلى دارفور.
١٨١٢ ١٨١٤	رحلة يوهان لودفيج بركهارت J.L. Burckhardt للنوبة.
١٨٢١ - ١٨٢٢	كايو F. Cailliaud ولتورزك Letorzec يصلان إلى التقاء النيلين الأبيض والأزرق (موقع الخرطوم الحاليه).
١٨٢٤	ادوارد روبل E. Ruppell يصل من دارفور إلى كردفان.
١٨٢٧	لينان دى بلفون L. de Bellefonds يبحر فى النيل الأبيض حتى درجة العرض ٣٠ ، ١٣°.
١٨٣١ - ١٨٣٣	ادوارد روبل يرتاد داخلية الحبشة من جندار إلى بحيرة تانا عبر البطانة إلى النيل الأزرق.

١٨٤١ — فيرن Werne ودارنـو d'Arnaud يبحران فى النيل الأبيض وبحر الجبل حتى درجة العرض ٤,٤٢°.

١٨٤٨ — كرابف Krapf وريمان Rebmann يكتشفان جبل كليمانجارو وفى ١٨٤٩ يرى كرابف جبل كينيا من بعيد.

برتون R. F. Burton يصل هرر من زيلع.

١٨٥٤ — برتون وسبيك Speke يرحلان من زنجبار ويصلان اوجيجى على

١٨٥٧ – ١٨٥٩ — بحيرة تنجانيقا فى فبراير ١٨٥٨. سبيك يرحل بمفرده شمالاً ويكتشف السواحل الجنوبية لبحيرة فكتوريا فى ١٨٥٨/٨/٣ ثم يعودان إلى الساحل الشرقى فى فبراير ١٨٥٩.

سبيك وجرانت Grant يرحلان من باجاموجو (على الساحل الشرقى

١٨٦٠ – ١٨٦٣ — مقابل زنجبار) إلى بحيرة فكتوريا وبحذاء ساحلها الغربى والشمالى. سبيك يكتشف مخرج النيل ويتتبعه شمالاً ويلتقى بجرانت فى غندو كرو.

١٨٦٤ — صمويل بيكر S.W.Baker يكتشف بحيرة البرت ومساقط مرشيزون.

١٨٦٩ – ١٨٧١ — جيورج شفاينفورت G. Schweinfurth يبدأ من الخرطوم إلى بحر الغزال ويكتشف المانجبتو والاقزام لأول مرة فى التاريخ.

١٨٧٥ — ستانلى H. Stanley يدور فى قارب حول سواحل بحيرة فكتوريا لمدة ٥٧ يوماً ويكتشف جبال رونزورى وبحيرة السنة نفسها.

رابعاً: الصحراء واقليم السودان:

١٨٢٢ – ١٨٢٥ — كلابرتون Clapperton، ودنهام Deham، ودأينى Oudney يبدأون من طرابلس إلى مرزوق ثم برنو وكوكا وبحيرة تشاد واكتشاف نهر شارى (دنهام ودأينى) وكلابرتون يزور سوكوتو ويصل إلى النيجر ويعود الثلاثة إلى طرابلس.

١٨٢٥ – ١٨٢٦ — لاينج Laing يبدأ من طرابلس إلى غدامس وعين صلاح إلى تمبكتو.

١٨٢٥ – ١٨٢٧ — كلابوتون ورتشارد لاندر R. Lander يبدآن من لاجوس عبر بلاد اليوريا إلى النيجر ثم سوكوتو.

١٨٥٠ – ١٨٥٥ — هاينرخ بارت H. Barth، وافوفرڤيج A. Overweg ورتشاردسن J. Richardson يبدأون من طرابلس إلى مرزوق – غات – اغادس – كاتسنا – كنو – كوكا. من هناك بدأ أوفرڤيج يكتشف منطقة تشاد وارتحل بارت إلى منطقة ادماوا (١٨٥١) واكتشف نهر البنوى ثم اكتشف مع اوفر فيج بلاد كانم وفى ١٨٥٢ رحل بارت من كوكا إلى

	باجرمي وفي ١٨٥٣ رحل إلى كنو وكاتسنا وسوكوتو إلى ثنية النيجر وتمبكتو وعاد إلى كوكا عام ١٨٥٤ حيث التقى بالرحالة فوجل. وفي ١٨٥٥ ترك كوكا عائداً إلى طرابلس.
١٨٥١ - ١٨٥٦	ادوارد فوجل E. Vogel يبدأ من طرابلس إلى كوكا ويقيم مع سلطان برنو حتى ١٨٥٦ فيرحل إلى واداى ويقتل هناك.
١٨٦٣ - ١٨٦٧	جرهارد رولفس G. Rohlfs يبدأ من مراكش إلى واحة تافيللت ثم واحة توات وغدامس إلى طرابلس وفي ١٨٦٥ يبدأ من طرابلس إلى غدامس وواحة كاوار إلى كوكا وبحيرة تشاد ثم هضبة جوس ونهر البنوى حتى التقائه مع النيجر عبر ايلوورين وبلاد اليوربا إلى إيبدان ولاجوس وبذلك فهو أول اوربي يصل واحة توات وأول اوربي يعبر الصحراء واقليم السودان ويصل من البحر المتوسط إلى ساحل غانا.
١٨٦٢ - ١٨٦٩	رولفس يدخل واحة اوجلة ومنها إلى واحتى جالو وسيوة.
١٨٦٩ - ١٨٧٤	ناختيجال G. Nachtigal يبدأ من طرابلس الى مرزوق ثم جبال تبستى ويعود إلى مرزوق ١٨٧٠ ثم يتجه إلى كوكا ويصلها ١٨٧١ ويرتحل في بلاد البرنو وكانم وفي ١٨٧٢ يزور الباجرمى وفي ١٨٧٣ يتجه إلى واداى ودارفور وكردفان وينتهى إلى الخرطوم ١٨٧٤.
١٨٧٩	رولفس يكتشف واحة الكفرة.
١٨٧٩ - ١٨٨٠	لنز Lenz يبدأ من طنجة عبر الأطلس الغربية إلى واحة تندوف وواحة تاودينى إلى تمبكتو ثم غرباً إلى السنغال.
١٨٩٨ - ١٩٠٠	فورو Foureau ولامى Lamy يبدآن من واحة بسكره إلى ورجله وهضبة آير إلى بحيرة تشاد (توفي لامى هناك) فورو يستمر مع نهر شارى صاعداً ويصل إلى الاوبنجى ثم ينحدر مع الكنغو حتى المصب.
١٩٠٨	جين تيلهو Tilho يكتشف المنطقة تشاد حتى منخفض بودليه. تيلهو يزور بركو ويرحل إلى تبستى وإردى وإندى ووادى ودارفور.
١٩١٢ - ١٩١٧	أحمد حسنين يكتشف واحة اركنو والعوينات.
١٩٢٣	كمال الدين حسين بالسيارات يجوب الصحراء الليبية الوسطى والجنوبية
١٩٢٤ - ١٩٢٦	ويكتشف واحة مرجا فزان

مصدر هذا الجداول:

محمد رياض وكوثر عبد الرسول - افريقيا: دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية - الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٣، ص ص ٢٨ - ٤٠.

جدول رقم (٢) موجز تاريخ كشف آسيا

٣٢٧ قبل الميلاد	الاسكندر الأكبر يزور البنجاب (الهند).
١٢٧٢	ماركو بول Marco Polo ـ الرحالة الايطالى يزور الصين.
١٣٢٥	رجل الدين الايطالى Odoric of Pordenone يزور التبت.
١٤٤٠	الرحالة نيقولو دى كونتى Niccolo dei Conti ـ من البندقيه ـ يكتشف جنوب الصين.
١٤٩٨	البحار ڤاسكو داجاما Vasco da Gama ـ البرتغالى ـ يزور الهند (طريق الكيب).
١٥٤٩	سان فرانسيس إكسفيير St. Francis Xavier الأسبانى ـ يزور اليابان.
١٧٦٢	المستكشف الألمانى Carsten Niébuhr يكتشف بعضا من شبه جزيرة العرب.
١٨٦٨	العالم الألمانى فرديناند ريختهوفن Ferdinand ridrthofen يكتشف أجزاء من الصين.
١٨٧٠ ـ ١٨٧٣	المكتشف الروسي Nikolai M. Przhevalsky يكتشف منغوليا.
١٨٩٠ ـ ١٩٠٨	العالم السويدى Sven Hedin يكتشف وسط آسيا.

جدول رقم (٣) موجز كشف أمريكا الشمالية

حوالى ٩٨٥	النرويجى Eric the Red يحتل جرنيلند.
١٠٠٠	المستكشف Leif Ericson يزور لبرادور ونوفاسكوشيا (؟).
١٤٩٢	كريستوفر كولمبس Christopher Columbus - الإيطالى - يزور ويكتشف جزر الهند الغربية West Indies (أول أوربى).
١٤٩٧	چيوڤانى كابوتو (جون كابوت) يزور ساحل أمريكا الشمالية. (أول أوربى).
١٥١٣	ڤاسكو دى بلباو Vasco N. de Balboa، المستكشف الأسبانى أول أوربى يبحر فى المحيط الهادى.
١٥١٣	بنكو دى ليون Ponco de Leo'n، المستكشف الأسبانى يكتشف فلوريدا.
١٥١٩ - ١٥٢١	المغامر الأسبانى Hernando corte's، يغزو المكسيك.
١٥٣٤	جاك كارتيير Jacques Cartier، البحار الفرنسى - أول أوربى يزور نهر سانت لورنس.
١٥٤٠ - ١٥٤٢	فرانسسكو كورونارو Francisco Coranado. المستكشف الأسبانى يكتشف جنوب غرب الولايات المتحدة.
١٥٤٠	هرناندو دى آلاركون Hernando de Alarcon، المستكشف الأسبانى يزور نهر كلورادو (أول أوربى).

١٥٤١	هرناندو دى ســـوتو Hernando de Soto ، المستكشف الأسبانى يزور نهر المسيسبى كأول أوربى.
١٥٧٦	البحار الانجليزى مارتن ڤوربشر Martin Forbish-er، أول أوربى يزور خليج فوريشر.
١٦٠٤	صمويل دى شامبلين Samuel de Chemplain ، المستكشف الفرنسى يكتشف ساحل .
١٦٠٩	هنرى هدسون Henry Hudson، بحار انجليزى يكتشف نهر هدسون.
١٦٨٢	سيير دى لاسال Sieur de la Salle المستكشف الفرنسى - يكتشف نهر الميسيسبى.
١٧٢٨	ڤيتوس برنج Vitus Bering، المستكشف الدنمركى - أول أوربى يصل إلى مضيق برنج.
١٧٤١	ڤيتوس برنج أول أوربى يصل إلى آلاسكا.
١٧٨٩	سير الكسندر ماكنيزى Sir Alexander Macken-zie - المستكشف الاسكتلندى - الكندى. أول أوربى يصل إلى نهر ماكينزى (كندا).
١٨٠٤ - ١٨٠٦	م. لويس و. ويليام كلارك Lwwis and W. Clark يكتشفون شمال غرب الولايات المتحدة.
١٨٧٩	المستكشف السويدى نيلز نوردنسكولد Nils Nor-densk old - يبحر فى الممر الشمالى الغربى (المحيط القطبى).
١٨٩٢	روبرت بيرى Peary ، المستكشف الأمريكى - يكتشف جرنيلاند.
١٩٠٦	المستكشف النرويجى R. Amundsen، يبحر فى الممر الشمالى الغربى.

جدول رقم (٤) موجز تاريخ كشف أمريكا الجنوبيه

١٤٩٨	كولومبس الايطالى بطأ القارة
١٥٠٠	يدور كابرال Pedro Alvarez Cabral ، البرتغالى ـ أول أوربى يزور البرازيل.
١٥٣٢ ـ ١٥٣٣	فرانسسكو بزارو Francisco Pizarro، المستكشف الأسبانى يغزو بيرو.
١٥٤١	فرانسسكو أورلانا francisco Orellana ـ المستشكف الاسبانى يكتشف نهر الأمازون.
١٦١٥	البحار الهولندى شوتن Schouten ، أول أوربـــى يصل إلى كيب هورن Cape Horn .

جدول رقم (٥) الأوقيانوسيه Oceania (استراليشيا)

١٥٢٦	المستكشف البرتغالى Jorge de Menezes، يزور پاپوا نيو غينيا.
١٦٤٢	البحار الهولندى أبل تاسمان Abel Tasman، يزور استراليا ـ وأول أوربى يصل إلى تسمانيا.
١٨٢٨	المستكشف الانجليزى John McDouall Stuart ـ يكتشف استراليا.
١٨٦١	المستكشفان الاستراليان Robert Burke and Wil- lian Wills يكتشفان استراليا.
١٦٤٢	البحار الهولندى أبل تاسمان Abel Tasman، يزور جزر نيوزيلند ويطلق عليا اسمها الحالى.
١٧٦٩	جيمس كوك James Çok، بحار أنجليزى ، يزور نيوزيلنده .

جدول رقم (٦) موجز كشف الأقاليم القطبية

١٥١٩ ـ ١٥٢٢	ماجلان يطوف حول الأرض.
١٥٣٢	الكابتن الأسباني Diego de rivadeneira يزور جزر جالا باجوس .Gala pagos Is.
١٥٩٦	الملاح الهولندى ويلم بارنتس Willem Barents ، يزور سبتزبرجن Spitzs bergen.
١٧٧٣	الملاح الانجليزى جيمس كوك يعبر الدائرة القطبية.
١٨٢٠ ـ ١٨٢١	الصياد الأمريكى Palmer ، (أركيبلاجو) والروسى Belling Shausen (أرض القارة) يزوران القارة القطبية الجنوبية ـ كأول أوربيين يصلان إليها.
١٨٤٠	المستكشف الأمريكى Charles Wilkes، يكتشف القارة القطبية الجنوبية (أنتاركتيكا).
١٩٠٩	المستكشف الأمريكى روبرت بيرى Pearyيصل إلى القطب الشمالي.
١٩١١	المستكشف النرويجى Roald Amundren يصل إلى القطب الجنوبى.

جدول رقم (٧) قارات العالم في أرقام

(١) المساحة

القارة	المساحة بألف كم٢	%	أعلي وأدني نقطة في السطح بالمتر		طول السواحل بالكيلو متر
			أعلي	أدني	
أوربا	١٠,٥٢٧	١و٧	٤٨١٠	ـ ٢٨	٣٧ ٩٠٠
آسيا	٤٤,٤١٣	٢٩,٧	٨٨٤٨	ـ ٣٩٤	٦٩ ٠٠٠
أفريقيا	٣٠,٣١٩	٢٠,٣	٥٨٩٨	ـ ١٧٣	٣٠ ٥٠٠
أمريكا الشمالية	٢٤,٢٤٧	١٦,٢	٦١٩٤	ـ ٨٦	٧٥ ٦٠٠
أمريكا الجنوبية	١٧,٨٣٤	١١,٩	٦٩٥٩	ـ ٤٠	٢٨ ٧٠٠
استراليشيا	٨,٥١١	٦,٠	٥٠٣٠	ـ ١٦	١٩ ٧٠٠
انتاركتيكا	١٣,٢٠٩	٨,٨	٥١٤٠	ــــ	٣٠ ٠٠٠
العالم	١٤٩,٤٦٠	١٠٠,٠	٨٨٤٨	ـ ٣٩٤	٢٩١ ٤٠٠

جدول رقم (٨) البحار والمحيطيات والأنهار والجزر والبحيرات

(أ) المسطحات المائية :

اسم البحر أو المحيط	المساحة بالكيلو متر المربع	أعمق نقطة بالمتر	متوسط العمق بالمتر
* المحيط الهادي:	١٧٩ ٦٨٠ ٠٠٠	١١,٠٣٤	٣٧٨٠
- بحر الفلبين	٥ ٧٢٦ ٠٠٠	١٠,٨٣٠	٤١٨٨
- بحر كورال	٤ ٧٩١ ٠٠٠	٩,١٧٤	٢٢٤٣
- بحر جنوب الصين	٣ ٥٣٧ ٠٠٠	٥,٥٥٩	١٠٢٤
- بحر تسمان	٣ ٣٣٦ ٠٠٠	٥,٩٤٤	٣٢٨٥
- بحر برنج	٢ ٣١٥ ٠٠٠	٤,١٩١	١٦٤٠
- بحر أوختسك	١ ٦٠٣ ٠٠٠	٣,٩١٦	٨٢١
- بحر اليابان	١ ٠٦٢ ٠٠٠	٣,٦٩٩	١٥٣٥
* المحيط الأطلنطي:	٩١ ٦٥٥ ٠٠٠	٨,٦٤٨	٣٥٩٧
- بحر Weddell	٢ ٩١٠ ٠٠٠	٦,٨٢٠	٢٨٧٨
- البحر الكاريبي	٢ ٧٧٦ ٠٠٠	٧,٤٩١	٢٤٢٩
- البحر المتوسط	٢ ٥٠٥ ٠٠٠	٥,١٢١	١٤٣٨
- خليج المكسيك	١ ٥٥٤ ٠٠٠	٤,٣٧٦	١٥٢٢
- بحر لبرادور	٨٤١ ٠٠٠	٤,٣١٦	١٨٩٨
- بحر الشمال	٥٦٥ ٠٠٠	٧٢٥	٨٧
- البحر الأسود	٤٢٢ ٠٠٠	٢,٢١٠	١٣١٥
- البحر البلطى	٤١٩ ٠٠٠	٤٧٠	٥١

تابع : جدول رقم (٨) البحار والمحيطات والأنهار والجزر والبحيرات

اسم البحر أو المحيط	المساحة بالكيلو متر المربع	أعمق نقطة بالمتر	متوسط العمق بالمتر
* المحيط الهندي :	٧٦ ١٧٠ ٠٠٠	٧,٧٢٥	٣٧١٠
- بحر العرب	٤ ٥٩٢ ٠٠٠	٥,٨٠٣	٣١٦٠
- خليج البنغال	٢ ١٩١ ٠٠٠	٣,٨٣٥	٢٥٨٥
- بحر Arafura	١ ٠٧١ ٠٠٠	٣,٦٨٠	١٥٤
- البحر الأحمر	٤٦٠ ٠٠٠	٣,٠٣٩١	٣٩٦
* المحيط القطبي:	١٣ ٩٥٠ ٠٠٠	٥,٤٥٠	١٣٢٨
- بحر بارنتس	١ ٤٠٥ ٠٠٠	٦٠١	٢٥٤
- البحر النرويجي	١ ٣٨٣ ٠٠٠	٤٤٨٧	١٧٢٤
- بحر جرينلند	١ ٢٠٥ ٠٠٠	٤٨٤٨	١٤٩٧
- بحر سيبيريا الشرقي	٩٣٦ ٠٠٠	١٥٥	٤٥
- خليج هدسون	٨٢٢ ٠٠٠	٢٥٨	١٢٨
- بحر بافن	٧٨٠ ٠٠٠	٢٤١٤	٨٦١

المصدر :

VNR, Pocket Atlas, Van Nostrand reinhold Company, N.Y. 1983.

(ب) أطول أنهار العالم :

النهر	الطول بالكم	مساحة الحوض بالكم٢
١ ـ النيل	٦٦٩٠	٢ ٨٨١ ٠٠٠
٢ ـ الأمازون	٦٢٩٦	٧ ٠٥٠ ٠٠٠
٣ ـ المسيسبى ـ المسورى	٥٩٧٠	٣ ٢٥٠ ٠٠٠
٤ ـ يانجتس كيانج	٥٧٩٧	١ ٩٤٢ ٠٠٠
٥ ـ أوب	٥٥٦٧	٢ ٩٧٥ ٠٠٠
٦ ـ هوانجهو (الأصفر)	٤٦٦٧	٧٧٢ ٠٠٠
٧ ـ ينسب	٤٥٠٦	(×)
٨ ـ بارانا	٤٤٩٨	(×)
٩ ـ إدتشك	٤٤٣٨	(×)
١٠ـ زائير (الكونغو)	٤٣٧١	٣ ٨٢٢ ٠٠٠

(×) بيانات غير متوفرة

(جـ) أكبر جزر العالم :

الجزيرة والقارة	المساحة (كم٢)
١ ـ جرينلند (أمريكا الشمالية)	٢ ١٧٥ ٠٠٠
٢ ـ نيوغينيا (الأوقيانوسيه)	٧٨٥ ٠٠٠
٣ ـ بورنيو (آسيا)	٧٤٦ ٤٥٦
٤ ـ مدغشقر (أفريقيا)	٥٨٧ ٠٤١
٥ ـ بافن (أمريكا الشمالية)	٥٠٧ ٤١٤
٦ ـ سومطرة (آسيا)	٤٣٣ ٨٠٠
٧ ـ هنشو (آسيا)	٢٢٧ ٤١٤
٨ ـ فكتوريا (أمريكا الشمالية)	٢١٧ ٢٧٤
٩ ـ بريطانيا العظمى (أوربا)	٢١٦ ٣٢٥
١٠ـ إلسمير (أمريكا الشمالية)	١٩٦ ٢٢١

(د) أكبر بحيرات العالم :


الإسم والقارة	المساحة (كم٢)	أعمق نقطة (بالمتر)
١ - بحر قزوين (آسيا)	٣٧١ ٠٠٠	١٠٢٥
٢ - بحيرة سوبيريور (أمريكا الشمالية)	٨٢ ٤١٤	٣٩٣
٣ - بحيزة فكتوريا (أفريقيا)	٦٨ ٨٠٠	١٢٥
٤ - آرال (آسيا)	٦٤ ١١٥	٦٧
٥ - هورن (أمريكا الشمالية)	٥٩ ٥٩٦	٢٢٦
٦ - متشجن (أمريكا الشمالية)	٥٨ ٠١٦	٢٨١
٧ - تنجانيقا (أفريقا)	٣٢ ٨٨٠	١٤٣٥
٨ - بيكال (آسيا)	٣١ ٥٠٠	١٦٢٠
٩ - جريت بيرليك (أمريكا الشمالى)	٣١ ٣٢٨	١٣٧
١٠- جريت سليفاليك (،، ،،)	٢٨ ٥٧٠	١٤٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة ت: ٤٨٧٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي ت: ٥٩٧٣١٤٦

دار المعرفة الجامعية

٠ ش سوتير - الأزاريطة ت: ٤٨٧٠١٦٣

٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي ت: ٥٩٧٣١٤٦


Bibliotheca Alexandrina
0945084